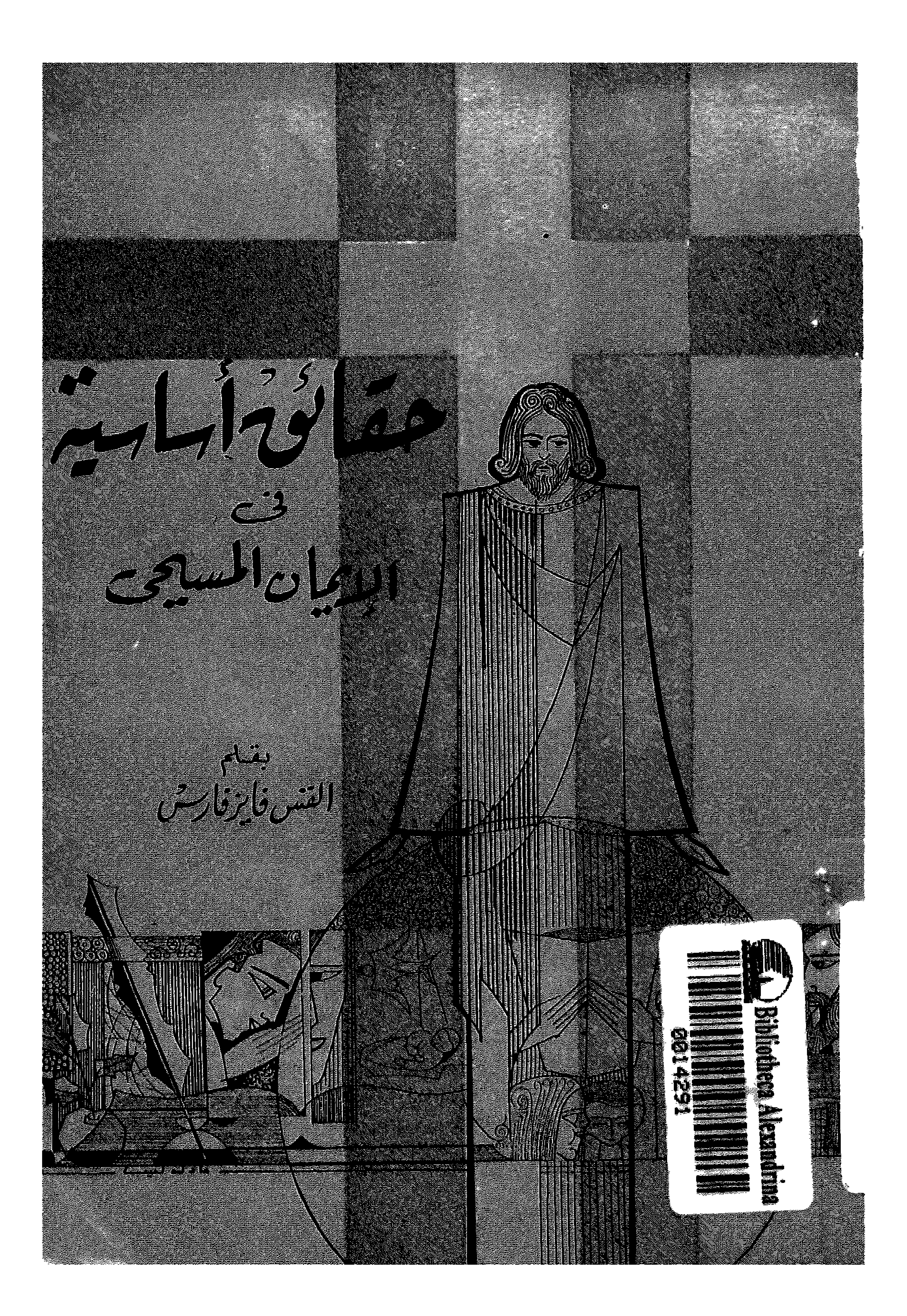

حقائق أساسية
في
الإيمان المسيحي
بقلم
القس فايز فارس
Bibliotheca Alexandrina
0014291

حقائق أساسية في الإيمان المسيحي

بقلم

القس فايز فارس

(طبعة ثانية مزيدة ومنقحة)

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ ـ القاهرة

١٠/١٧٥ ط ٧٨/٢(أ) ٥ـ٧ رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٢٠٢٥
طبع بمطبعة القاهرة الجديدة

مقـدمة الطبعـة الأولى

كثرت الكتب فى هذه الأيام بشكل ملحوظ ، واتسعت المجالات التى كتب فيها العلماء والأدباء والمفكرون ، وهذا أمر جميل ومقبول . الا أن جانب العقيدة لم ينل الحظ الكافى من هذا السيل المنهمر من انتاج الأقلام . ولسنا نريد أن نحلل هذه الظاهرة لكننا نعتقد أن الناس أصبحوا يميلون الى عنصر التشويق اكثر من عنصر التأمل والتفكير . وليست دراسة العقيدة أمرا هينا ، وليست قراءة كتب العقيدة شيئا سهلا كقراءة رواية ادبية ، أو مقال اجتماعى .

لكن جميع المفكرين فى كل العصور يدركون أن العقيدة هى أساس الحياة ، ونحن فى حياتنا اليومية العادية ، نتأثر دون أن ندرى بما نعتقده ، وينعكس ذلك على اتجاهاتنا فى الحياة العملية .

والذين اهتموا بالجانب الفلسفى من الحياة ، ركزوا انتباههم الى النظريات الحديثة التى تصف مختلف مناهج الفكر وأساليب الحياة ، وانساق الشباب وراء هذه النظريات مدفوعا بطبيعته المتلهفة الى كل جديد ، الساعية الى كل طريف . ولسنا ننكر على الشباب حقه فى التفكير ، لكننا نثق أنه وقد بدأ يفكر فلا بد أن يواجه مختلف المسائل الفكرية التى تحتاج الى تأمل عميق ، ودراسة مستفيضة . ومادام الانسان قد بدأ التفكير ، فمن الانصاف أن نضع أمامه شيئا من الحقائق الفكرية الايمانية ، التى تشرح العقيدة المسيحية ، كما نفهمها فى الكتاب المقدس .

لقد كانت العقيدة المسيحية الكتابية هى أساس كل نهضة دينية وروحية فى التاريخ ، وربما يرجع الفتور الروحى الذى نرى بعض مظاهره فى هـــذه الأيام ، الى اهمال دراسة العقيدة الصحيحة .

وقد طلب منى كثيرون من ابناء الكنيسة التى شرفنى الله برعايتها أن أقدم لهم سلسلة من الابحاث المبسطة فى الحقائق الاساسية للايمان المسيحى وشعرت أن من واجبى تلبية هذه الرغبة لأنها تتفق مع تفكيرى ووجدانى ، خاصة وأن الكتب التى تحتوى على مثل هذه الدراسة قليلة وقد نفدت أغلب طبعاتها القديمة .

ولست أدعى شيئاً من الابتكار فى تقديم هذه الموضوعات ، كما لا أقول انى اضفت فى هذا الكتاب شيئا جديدا أو تفكيرا حديثا ذلك لأن محاولة تتبع مختلف النظريات اللاهوتية الحديثة قد تقودنا الى متاهات لا يستطيع القارىء العادى أن يخرج منها بشىء نافع .

واننى وان كان يستهوينى مثل هذا البحث ، لكننى اشعر أن الوقت ليس ملائما له ، لذلك رأيت أن تقتصر هذه الدراسات على شرح مبسط للحقائق الاساسية فى الايمان المسيحى بحسب المذهب الكلفينى (نسبة الى جون كلفن مؤسس المذهب الانجيلى المشيخى) وان القارىء سيلاحظ أن معظم هـذه الحقائق موجودة بصورة أو أخرى فى كتب علم اللاهوت القديمة ، وشرح أصول الايمان ، والقواعد السنية . الا أنها موجودة بتوسع كبير لا تحتمله طـاقة القارىء العادى ، وبعضها فى صورة السؤال والجواب .

ولقد بدأت هذه السلسلة من الموضوعات بحديث عام عن الكتاب المقدس باعتباره الأساس الوحيد لهذه الدراسة ، فالايمان بالكتاب وما جاء به هو الافتراض الأول عند كل من يدرس العقيدة ، أو بمعنى آخر ، لا نقدم هنا جدلا عقليا فلسفيا ، بل شرحا دينيا كتابيا .

ونصيحتى الى القارىء أن يدرس هذا الكتاب بالترتيب لأن الحقائق الواردة فيه مبنية بعضها على البعض ، ومن الصعب فهم موضوع دون دراسة ما قبله .

وقد ختمت هذه السلسلة ببعض الاحاديث المسهبة الى حد ما ، عن مجىء المسيح ثانية ، نظرا لانشغال كثيرين فى هذه الايام ببعض الموضوعات المتعلقة بهذا الأمر .

وصلاتى أن يستخدم الله بروحه القدوس هذا الشرح ، لبنيان النفوس فى الايمان ، وزيادة معرفة الرب يسوع المسيح ، المخلص المجيد .

القس فايز فارس

مقدمة الطبعة الثانية

شكرا لله الذى رافق بروحه القدوس فصول هذا الكتاب فى طبعته الأولى فكان لها التأثير المبارك فى نفوس الكثيرين الذين عبروا للكاتب عن استفادتهم من الكتاب ، وشعورهم بأنه ملأ فراغا ملحوظا فى المكتبة العربية . وشكرا لمن أبدوا ملاحظاتهم القيمة عما وردبالكتاب ،وعما أحسوا أنه ينقصهمن ابواب .

وعندما نفدت الطبعة الأولى ، حاول الكاتب تنقيح الكتاب لطبعته الثانية وأضاف أيضا بعض الفصول عن التثليث والروح القدس ومظاهره ومواهبه وعن الصوم والوكالة المسيحية .

والله نسأل أن يستخدم هذا المجهود المتواضع لخير النفوس وبنيانها فى الايمان المسيحى ومعرفة الله .

المؤلف

الإهـــــــداء

إلى زوجتي

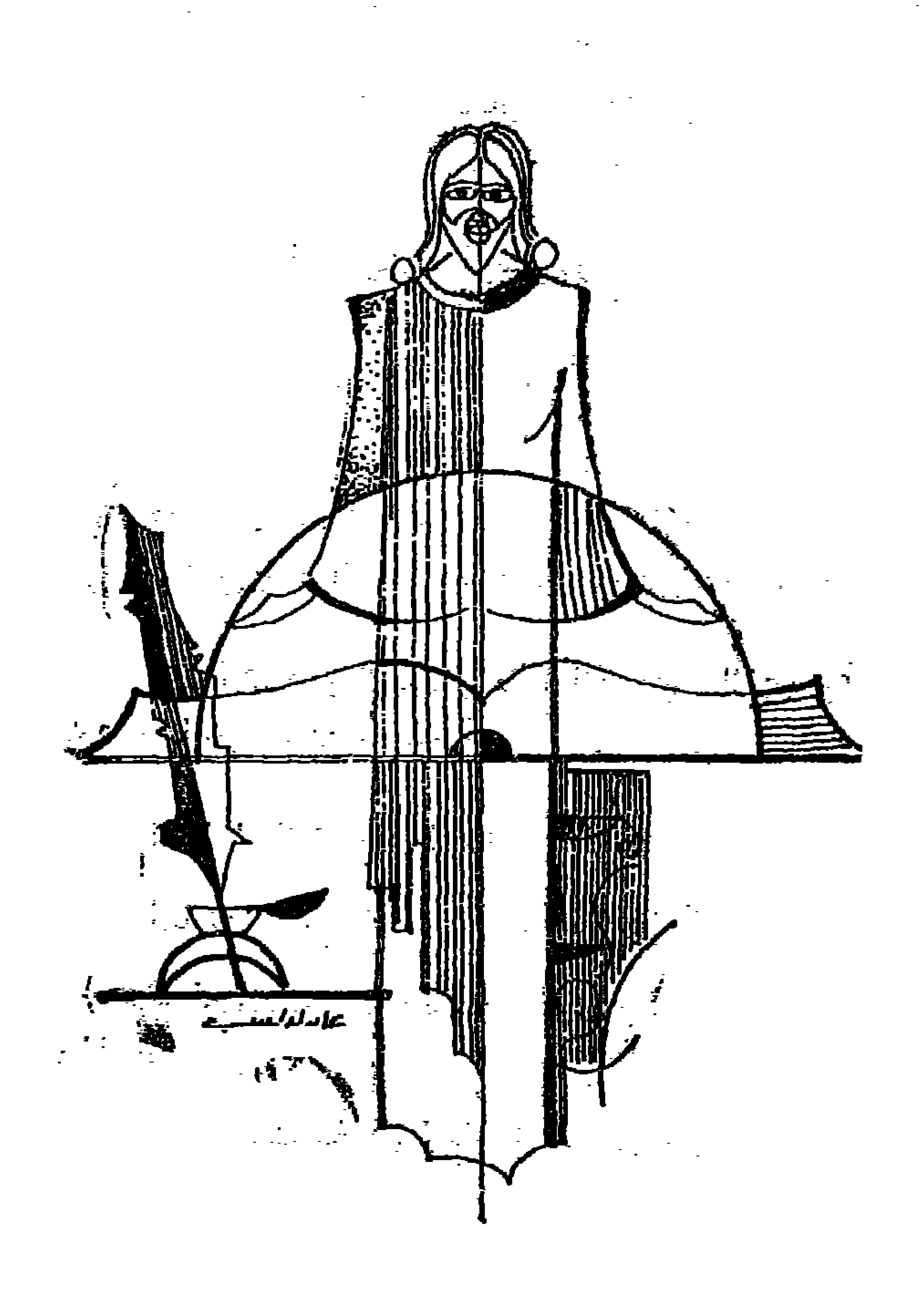
وقد شاركتني أعباء الخدمة

وعاونت في جهادها

فى هذا الكتاب

(١)

دستورنا للإيمان والأعمال



نحن نحيا فى عالم كبير متسع ، لكننا لسنا نحيا وحدنا . فحولنا نجد الطبيعة بمظاهرها العجيبة الخلابة ، والى جوارنا نجد أناسا نتعامل معهم ونختلط بهم .

وعندما نرى أمامنا الكون المترامى الاطراف ، نفكر فى أسراره وعلة وجوده ، فى الاله العظيم الذى خلقه من العدم ، ونتسائل : كيف يكون هذا الاله ؟ وماذا تكون صفاته ؟ وما علاقته بالعالم وبالناس الساكنين على هذه الأرض ؟ .

وعندما نتعامل مع الناس ، نتعلم أن لنا حقوقا نطالب بها ، وعلينا واجبات فرضت علينا . ونرى من الناس من يتخذ جانب الخير والعطف والحب، ومنهم من يتصف بالشر والانانية والعدوان ، ونحن نحيا وسط صراع بين الخير والشر ، ونحاول أن نختار لأنفسنا طريقا نسلكه فى الحياة .

ثم نرى الموت ينتزع البشر من حياة الأرض ، ويحملهم الى عالم مجهول ، فنتساءل : أين يذهب الناس بعد الموت ، وهل يمكن أن تكون هناك حياة أخرى فى عالم آخر ، وكيف تكون هذه الحياة ، وأين ، ومن الذى يتمتع بها ؟

كل هذه وغيرها أسئلة تدور فى خواطرنا . فنحن فى وجودنا فى هذه الحياة كمخلوقات عاقلة ، نحتاج الى شىء من المعرفة ، أو يمكن أن نقول اننا نحتاج الى دستور يبين لنا ما يجب أن نؤمن به ، وما يجب أن نعمله ؟

فكيف نهتدى الى مثل هذا الدستور الذى يوضح لنا ما يجب أن نعتقد به ، وما ينبغى أن نفعله ؟

ان امام البشرية واحدا من طريقين :

اما أن يضع الناس لأنفسهم هذا الدستور .

أو أن يتوقعوا من سلطة اقوى واسمى واعلى واحكم من البشر ان تعطيهم هذا الدستور .

او بكلمات أخرى : طريق بشرى ، وطريق الهى .

الطريق البشرى

هل يمكن للناس أن يضعوا لأنفسهم دستورا للايمان والأعمال؟ لقد حاول الناس منذ فجر التاريخ ان يضعوا لانفسهم دستورا لحياتهم : لايمانهم وأعمالهم .. فقد حاولوا أن يكتشفوا حقائق هذا الكون الغامضة ، وسعوا بعقولهم ليدركوا الغيبيات ، لكنهم عجزوا عن ادراك ما يريدون من حقائق فصاروا يتخبطون فى آراء ومذاهب متنوعة ومختلفة تتغير فى كل جيل ، ولم يتوصلوا من أنفسهم ولا بقوة عقولهم الى معرفة شىء عن صفات الله ، وما يتطلبه من الناس .

ومن يدرس تاريخ التفكير الانسانى يستطيع أن يتأكد أن كبار المفكرين والفلاسفة عجزوا عن أن يجدوا أجوبة شافية لبعض المشكلات المتصلة بالله والنفس والخطية والخلاص والحياة الابدية . فقد قال « سولون » : « ان قصد الآلهة مكتوم تماما عن البشر » — وقال سقراط : « ان كل معرفة صحيحة بالآلهة يجب أن تعلنها لنا الآلهة » وقال أفلاطون : « ليس لنا أن نعرف الحقائق الا من الآلهة أو من أنبياء الآلهة ، وليست هناك وسيلة نعرف بها ارادة الآلهة الا بنبى يعلنها لنا .. فان عقل الانسان يحتاج الى الانارة الالهية لفهم ما يتعلق بالله ، كما تحتاج العين الى نور الشمس لترى الموجودات » .

وهكذا قال كثيرون من المفكرين .

فالعقل الانسانى أضعف من أن يدرك هذه الأمور ، ويصل الى معرفتها من نفسه دون اعلان سماوى ، والقلب الانسانى ، وأن كان يصل بوجدانه الى بعض المعرفة ، لكنه معرض لعوامل الخداع . والانسان لو ترك نفسه لاحساساته الداخلية فلا يستطيع أن يعرف اذا ما كانت هذه الأفكار الباطنية من الله أو من الشيطان الذى يغير شكله الى شبه ملاك نور أو من خداع القلب والعاطفة ..

لذلك فان الطريق البشرى قاصر عن أن يضع للبشر دستورا صحيحا كاملا ثابتا لما يجب أن يؤمنوا به ، وما يجب أن يعملوه ، ويصدق على هذا قول بولس الرسول : « أين الحكيم . أين الكاتب . أين مباحث هذا الدهر . ألم يجهل الله حكمة هذا العالم . لأنه اذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة » (١ كو ١ : ٢٠ ، ٢١) .

وما جاء فى سفر أيوب : « أ الى عمق الله تتصل أم الى نهاية القدير تنتهى

هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل . أعمق من الهاوية فماذا تدرى .. أما الرجل ففارغ عديم الفهم .. » (أى ١١ : ٧ — ١٢) .

الطريق الالهى

ما دام الانسان عاجزا عن معرفة الله من نفسه ، ولأن الله خالق السماء والأرض والانسان كلى القدرة ، فلا بد أن يعلن الله نفسه للبشر الذين خلقهم، وقد أعلن الله نفسه للبشر فى الطبيعة « السموات تحدث بمجد الرب ، والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) . وقد أعلن الله ذاته أيضا عن طريق الخلق والعناية .. وكل هذه تظهر جوده ، وحكمته وقدرته ، لكن هذه وحدها ليست كافية لتمنح الانسان المعرفة بالله وبمشيئته ، هذه المعرفة الضرورية للخلاص.

فمن المستحيل على الانسان أن يعرف بقوى عقله كيف يمجد الله ويتمتع به الى الابد ، لأن ذلك يقتضى معرفة صفات الله ، والمصالحة معه ، وهــذه المعرفة تفوق قدرة البشر ، لذلك قد أعلن الله نفسه عن طريق الوحى .. اذ كشف هذه الحقائق بروحه القدوس الى جماعة من انبيائه وأصفيائه وقديسيه، وساقهم بالروح القدس أن يكتبوا هذا الوحى المقدس ، وعلمهم من الخطأ اثناء كتابته ، وهكذا جاءنا الدستور الالهى للايمان والأعمال : الكتاب المقدس .

فنحن اذا آمنا بوجود اله ، له صفات معينة ، ومشيئة معينة ، وعلاقة ما بالبشر ، فلا بد أن نؤمن بأن ذلك الاله يعلن ذاته ومشيئته عن طريق وحى الهى مقدس .

دور الأنبيــاء والرسل فى الوحى

كان الانبياء والرسل آلات فى يد الله ، استخدمهم حسب طبيعتهم لكتابة الوحى المقدس . ولم يكونوا كآلات دون احساس أو عقل ، ولم يستخدمهم الله كآلات ميكانيكية أو كأقلام لكتابة الوحى المقدس ، ولكنه استخدمهم بعقولهم الحية الناطقة العاقلة ، لذلك كان لــكل منهم أسلوبه الخاص فى التعبير عن الحقائق . فالعامى منهم تكلم كلام العامى كعاموس ، والحكيم بكلام حكمــة كسليمان ، والشاعر بالاسلوب الشعرى كداود ، ومحب التأمل حسب طبيعته كيوحنا ، والفيلسوف ذو العقل المنطقى كتب بحسب عقله مثل بولس الرسول، وهكذا نرى أن كل سفر فيه ما يدل على شخصية كاتبه . وهذا دليل على صحة الكتاب المقدس ، لانه مع اختلاف كتبة الأســفار المقدسة فى ثقافتهم وأسلوبهم وبيئتهم ، لكنهم جميعا كانوا يعبرون عن حقيقة واحدة هى مشيئة الله ، وتدبيره للخلاص .

ونحن فى دراستنا للكتاب المقدس لا نستطيع أن نفصل الجانب البشرى عن الجانب الالهى منه ، بمعنى أننا لا نستطيع أن ننسب الى بعض العبارات فيه بأنها تمثل الجانب الالهى ، وبعض العبارات الاخرى أنها تمثل الجـانب الانسانى ، وقد شبه بعضهم حقيقة الوحى بنور الشمس ينفذ خلال نوافذ زجاجية ملونة ، فانه يتلون بحسب لون الزجاج الذى ينفذ خلاله ، ولكنه يظل على الدوام نور الشمس بلا نزاع .

الكتاب المقدس هو الدستور الالهى

رأينا فيما سبق أن الانسان فى حاجة الى دستور للايمان والاعمال ، وانه لا يستطيع أن يضع هذا الدستور لنفسه ، وأن الله كلى القدرة هو الذى وضع هذا الدستور واعلنه للبشر .

وهنا قد يتساءل البعض : ما الذى يؤكد لنا ان هذا الكتاب المقدس الذى بين أيدينا هو وحى الله المقدس الذى أعلنه للبشر ؟

والأدلة على ذلك كثيرة ، لا يتسع المجال لشرحها ولكننا نوجز بعضـها فيما يلى :

١ — ان من كتبوا أسفار الكتاب المقدس ادعوا انهم رسل الله ، وأنهم بسلطان من الله يطلبون من الناس أن يقبلوا تعليمهم اطاعة لله الذى أوحى اليهم بهذه التعاليم . وقد شهد السيد المسيح نفسه أن العهد القديم كتب بوحى من الله ، واستشهد منه . كما تحدث الرسل صراحة بما يدل على اعتقادهم بسلطان تعاليمهم الالهية ، وطلبوا من الناس أن يقبلوا كلامهم لأنه كلام الله لا كلام انسان (١ تس ٢ : ١٣) . وقال بولس ان ما كتبه هو وصـايا الرب (١ كو ١٤ : ٣٧) . كما قال انه ان بشر أحد بانجيل آخر غير ما بشر به ولو كان ملاكا فليكن ملعونا (غلاطية ١ : ٨) . وقال يوحنا ما معناه أن من لايقبل شهادته فى المسيح يجعل الله كاذبا ، لأنها شهادة الله (١ يو ٥ : ١٠)

فاذا كنا لا نصدق كلام هؤلاء الرسل ، فاننا نحكم عليهم انهم اما مجانين أو كذبة ومخادعين . وكلا الأمرين لا يمكن ان يكون ، بدليل ما تبين لنا وللناس من حكمتهم وتقواهم وما صنعوه من آيات لاثبات رسالتهم .

٢ — ان الكتاب المقدس يتضمن حقائق سامية تكفى حاجات الطبيعة الانسانية ، وتحل ما عجزت عقول البشر عن حله من المعضلات ، وهو يوافق

نفوس البشر وطبيعتهم الأدبية ، ولا يمكن لمثل هذه الحقائق السامية أن تكون من اختراع البشر .

٣ — وحدة موضوع الكتاب المقدس ، فقد قام بكتابته نحو خمسين شخصا في أزمنة متباينة استغرقت نحو ألف وستمائة سنة ، وكان هؤلاء الكتاب من بيئات وثقافات مختلفة ، ولم يجتمعوا للكتابة معا ، لكننا نرى حقائق الكتاب المقــدس يكمل بعضها بعضا بكيفية لا يمكن بأى حال ان تصــدق على اية مجموعة من الكتب كتبت فى أزمنة أكثر تقاربا ، وهذا كله يدل على أن تلك الأسفار جميعها نشأت من عقل واحد هو عقل الله الذى أوحى بكتابتها الى كاتبيها ، فهو وحده المعلومة عنده جميع أعماله منذ الأزل .

٤ — مايحتويه الكتاب من النبوات والعجائب ، فان أكثر ما جاء فى العهد الجديد جاء تحقيقا لنبوات فى العهد القديم . مما يدل على أنه كتاب الله الموحى به من الروح القدس .

٥ — تأثير الكتاب المقدس فى اصلاح الناس وتغيير قلوب البشر ، حسب اختبار كثيرين من افاضل الناس .

هذا فضلا عن شهادة التاريخ والمخطوطات والحفريات والعلوم لصــحة الكتاب المقدس .

شــهادة الناس والعلوم للكتاب

١ — شهادة غير المؤمنين للكتاب المقدس :

مع أن كثيرا من الناس لم يؤمنــوا بالمسيحية فى القرون الأولى ، بل قاوموها وحاربوها ، لكنهم لم يتهموا المسيحيين بتغيير الكتاب المقدس أو تحريفه — وبعض الوثنيين من المؤرخين ذكروا فى كتبهم كثيرا من الاخبار التى وردت فى الكتاب المقدس ، واليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيحية سلموا بصــحة الاخبار الواردة فى العهد الجديد ، كوجود شخص اسمه يسوع المسيح — ومن هؤلاء يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور المعاصر لعهد المسيح ، اذ قال فى كتابه الثامن عشر فى الفصل الثامن : « وعاش نحو هذا الوقت يسوع ، انسان عالم — ان جاز تسميته انسانا — لأنه كان يعمل معجزات عجيبة ، وانقاد اليه كثيرون من اليهود ، ومن الامم . ومع أن بيلاطس صلبه ارضاء لعلماء اليهود ، الا ان أولئك الذين أحبوه لم يتركوه اذ قالوا أنه قام من الأموات فى اليوم الثالث وظهر لهم » .

٢ ــ شهادة المخطوطات القديمة للكتاب المقدس :

معروف أن العهد القديم كتب اصلا باللغة العبرية ، والعهد الجديد كتب أصلا باللغة اليونانية ــ وقد حدثت ترجمات متعددة للكتاب المقدس الى مختلف اللغات ، ويحاول علماء الكتاب ان يجدوا اقدم المخطوطات ، ليصلوا الى أصدق الروايات والحقائق ــ ومع كثرة هذه المخطوطات وتباعد ناسخيها بعضهم عن بعض ، فلا يوجد اختلاف جوهري بينها مما يثبت صحة الكتاب المقدس .

وأحدث هذه المخطوطات ، مخطوطات وادى قمران التى اكتشفت عام ١٩٤٧ بجوار الساحل الشمالى الشرقى للبحر الميت فى فلسطين ، فقد كان صبى اسمه محمد الديب يرعى أغنامه ، فضل خروف فى وادى قمران ، فأخذ يفتش عنه فرأى فتحة صغيرة فى جانب الجبل ، فرمى فيها حجرا فسمع صوت شىء ينكسر ، فدخل الى داخل الكهف مع صديق له فوجد أوانى طويلة بداخلها مخطوطات قديمة من الجلد .

وقد أخذ العلماء هذه المخطوطات ، وهى نحو أربعمائة مخطوطة فوجدوا أنها تحتوى على أجزاء من كل أسفار العهد القديم العبرانى ما عدا سفر أستير يتراوح وقت كتابتها الى نحو سنة ٢٠٠ ق . م .

وهذه المخطوطات تثبت أن النسخ التى لدينا من الكتاب المقدس حفظت بيد الهية دون تغيير طيلة السنوات الماضية .

٣ــ شهادة الحفريات للكتاب المقدس :

يوجد علم خاص ، متسع المجال هو علم الحفريات Archeology وقد بنى على تفتيش العلماء فى الخرائب والآثار ليكتشفوا بعض حقائق التاريخ .

وكلما تقدم هذا العلم ، كلما زادت الأدلة على صحة تاريخ الكتاب المقدس ، ولا مجال لسرد الكثير فى هذه الناحية ولكننا نذكر على سبيل المثال :

(أ) كمية من المخطوطات الهيروغليفية اكتشفت سنة ١٧٨٠ فى بنى حسن بمحافظة المنيا تثبت هجرة العبرانيين الى أرض مصر ، فقد وجدت صورة رجال أجانب يختلفون عن المصريين فى الملابس يقفون أمام نبيل مصرى وقد كشفت الكتابة الهيروغليفية أنهم ٣٦ شخصا من الجنس السامى من نسل

رجلٌ اسمه (أبيشاى) . وهو اسم مشهور من أسماء الساميين ، وقد أحضروا هدايا للنبيل من بينها كحل لتجميلٌ عيون زوجته .

(ب) كان بعض الناس يسخرون من قصة انقلاب سدوم وعمورة واحتراقهما مع كل مدن الدائرة والنباتات بالنار والكبريت .

لكن أحد علماء الحفريات (جان فنيجان) اكتشف عام ١٩٥١ أن جزءاً كبيراً من القشرة الارضية قد هبط فى وادى الأردن ، وفى أجزاء كثيرة منه اكتشف بوضوح آثار بركان واحجار نارية سوداء وحمم براكين على جبال الجليل .. وأرجع علماء الحفريات تاريخ هذا الهبوط الى نحو عام ١٩٠٠ ق.م . وأن خراب هذه المدن جاء نتيجة بركان ضخم وربما كان مصحوباً بانفجارات وبروق نتيجة أحتراق الغازات واللهب .

وهكذا نرى أن الحفريات تشهد لصدق حوادث الكتاب المقدس .

٤ ــ الكتاب المقدس والعلم :

ان الكتاب المقدس ليس كتابا علميا ، بمعنى أن الله قصد من الكتاب أن يكون رسالة روحية ، لا بحثا فى الطبيعة أو الكيمياء أو الفلك ــ ورغم ذلك فان الأسفار المقدسة اذا فسرت تفسيرا صحيحا ، طابقت الحقائق العلمية والطبيعية والتاريخية . فقد شهد كثير من علماء العلوم الطبيعية انه حتى الآن لم يجدوا مناقضة بين الكتاب وحقائق علمية مثبتة بشهادات كافية . علماً بأن كتبة الاسفار المقدسة لم يكونوا من العلماء ، ولم تكن العلوم الحديثة معروفة فى عصرهم .

ومما يؤيد ذلك أن قصة الخلق وترتيب الخليقة الوارد فى الأصحاح الأول من سفر التكوين ، يطابق تماما أحدث النظريات العلمية فى تدرج الكائنات والنباتات .

أما اذا أشار البعض الى بعض الأمور المخالفة للعلم والتاريخ ، فالرد على ذلك يتلخص فيما يلى :

(أ) وجوب التمييز بين ماظنه كتبة الكتاب ، وما علموه فربما ظنوا الشمس تدور حول الأرض ، ولكنهم لم يعلموا ذلك .

(ب) انهم استخدموا ما كان مشهورا من الكلام بين الناس مما يلاحظ عليه موافقته للحواس بدون اعتبار موافقته للعلوم .

(ج) ان مضادة الكتاب للآراء البشرية غير المثبتة فى مواضيع طبيعية ، ليست دليلا على عدم صدقه لأن تلك الآراء يحتمل عدم صدقها فهى تحتاج الى الاثبات .

(د) انه قد تختلف معانى وتعاليم الكتاب المقدس عن تفكيرنا لها . فقد نكون نحن مخطئين فى التفسير وربما يظهر خطؤنا فيما بعد بسبب التقدم فى المعرفة . ولكن التفسير الخطأ لا يشين الكتاب المقدس ، فقد ظلت الكنيسة مدة طويلة من الزمن تفسر الكتاب فيما يتعلق بالكون حسب الآراء البطليموسية فى الفلك ثم عدلت عن ذلك واخذت تفسره حسب الرأى الكوبرنيكى ، غير أن هذا لم يؤثر فى صدق الكتاب المقدس .

٥ — الكتاب المقدس واختلاف الترجمات :

توجد ترجمات متعددة للكتاب المقدس ، لكن ليس معنى هذا أن الكتاب قد تحرف أو تغير ، لأن الكنيسة المسيحية لم تناد بعصمة ما عندنا من ترجمات الكتاب المقدس ونسخه فى جميع الفاظها ، بل اعتقدت بعصمة النسخ الأصلية فقط التى كتبها الرسل والانبياء لأنها تحتوى على كل ما قصد الله أن يودعه فيها من المعانى .

فاذا لاحظ البعض وجود اختلاف بين بعض ترجمات الكتاب المقدس ، فهذا لا يمس الأصل ، وحتى هذا الإختلاف فلا يوجد الا فى مسائل بسيطة لا تمس ما هو جوهرى فى الديانة المسيحية .

الكتاب المقدس كامل

الكتاب المقدس كله كلام الله ويتضمن كل ما أعلنه الله للبشر وعينه دستورا للايمان والاعمال ، وهو وحده كاف لارشادنا فى كل ما يتعلق بحياتنا الدينية — نحن لا ننكر أن الانبياء والمسيح والرسل علموا أمورا كثيرة منها ما لم يكتب ومنها ما كتب لكن اعتقادنا أن الكتاب المقدس يحتوى على ما أراد الله أن يبقيه للبشر ليكون دستورا لحياتهم ، ولا يجوز الاعتماد على أى شيء غيره ...

والكتاب المقدس بأسفاره القانونية كامل ، ولا يحتاج الى زيادة ولا يجوز أن ننقص أو نحذف منه .

« ناموس الرب كامل يرد النفس . شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيما . وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب . أمر الرب طاهر ينير العينين . خوف الرب نقي ثابت الى الأبد . أحكام الرب حق عادلة كلها . أشهى من الذهب والابريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشهاد . أيضا عبدك يحذر بها وفي حفظها ثواب عظيم » (مزمور ١٩ : ٧ — ١١) .

وقد اهتمت الكنيسة المسيحية في عصورها الأولى بتحقيق قانونية الاسفار المقدسة ، وراجعت النسخ القديمة للكتاب المقدس ، وبحثت نسبة الاسفار الى كاتبيها ، ودرست الأدلة الداخلية من محتويات السفر وأسلوبه وحوادثه، والأدلة الخارجية من شهادة آباء الكنيسة والمؤرخين والمخطوطات، الى أن استقرت الآراء على أن أسفار الكتاب المقدس الحالية وهي ستة وستون سفرا هي الاسفار القانونية للكتاب المقدس ، تسعة وثلاثون منها في العهد القديم وسبعة وعشرون في العهد الجديد .

وقد حاول البعض أن يضيفوا بعض الاسفار الاخرى الى العهد القديم ، وبعض الاناجيل الى العهد الجديد ، ولكن هذه الاسفار والاناجيل لم يثبت صحة نسبتها الى كاتبيها ، واتضح أنها كتبت في عصور متأخرة عن باقي الاسفار التي تروي نفس الاحداث ، لذلك رفضتها الكنيسة . وقد أطلق عليها اسم أسفار (الأبو كريفا) أي الاسفار « المخفية » لأن بعضها عبارة عن رؤى تحدث عن أمور مستقبلة كانت بطبيعتها مخفية وكتبت في أوقات محنة لتشجيع الشعب .

وأسفار ابو كريفا العهد القديم هي اسدراس الأول والمكابيين الأول والثاني واضافات الى سفر دانيال وهي :

(أ) نشيد الثلاثة الفتية المقدسين وتتمة سفر دانيال .

(ب) تاريخ سوسنة .

(جـ) وتاريخ انقلاب بيل وبقية سفر استير ورسالة ارميا وصلاة منسى وسفر باروخ وسفر طوبيا وسفر يهوديت ، وسفر اسدراس الثاني وسفر حكمة سليمان وسفر حكمة يشوع بن سيراخ .

ولم تقبل الكنيسة هذه الاسفار فى العهد القديم لأن علماء اليهود لم يضعوها ضمن كتبهم القانونية ، ولأن هذه الكتب نسبت الى اناس لم يكتبوها أصلا ، ولا ترتفع الى المستوى الروحى الذى فى الاسفار القانونية ، وبعضها يحتوى على تعاليم خرافية تتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس ، ومعظمها كتب بين سنة ٢٠٠ قبل الميلاد و ١٠٠ بعد الميلاد ، وحسب عقيدة اليهود أن الاعلانات الالهية توقفت بعد نبوة ملاخى . ومما يؤكد عدم قانونية هذه الاسفار أنها كتبت باللغة اليونانية بينما كتبت أسفار العهد القديم كلها باللغة العبرانية .

ولم يقبل الآباء المسيحيون الأولون اعتبار هذه الكتب قانونية فى العهد القديم ، ومع أنهم اقتبسوا بعض الاقوال الواردة فيها الى انهم لم يضعوها فى نفس منزلة الكتب القانونية ، وقد أجازوا قراءتها للاستنارة فقط .. الا أن مجمع ترنت (المجمع التريدنتيني) للكنيسة الكاثوليكية فى القرن السادس عشر الميلادى قرر اعتبارها قانونية وضمها الى أسفار العهد القديم ما عدا كتابى اسدراس وصلاة منسى . ولا يخفى على القارىء أن شهادة مجامع الكنيسة وحدها ليست كافية لاثبات قانونية هذه الأسفار خصوصا فى تاريخ متأخر كهذا .

أما ابو كريفا العهد الجديد فتحتوى عدة كتب فيها تواريخ واناجيل موضوعة ومصنوعة ، منسوبة الى أناس لم يكتبوها ، وقد أنشأها بعض ذوى الاغراض لمآرب ذاتية أو لاثبات وجهات نظر معينة ، لكن تحقق من البحث أنها لا تنتسب الى الرسل المكلفين بالوحى المقدس ، وتقل مرتبتها الروحية عن كتب العهد الجديد .

مما سبق نستطيع أن نتبين أن الاسفار الستة والستين هى وحدها كلمة الله الموحى بها ، والتى تصلح أن تكون دستورا لايماننا واعمالنا .

الدستور الوحيد المعصوم

هل يوجد هناك دستور آخر معصوم من الخطأ بالاضافة الى الكتاب المقدس ؟ والجواب على ذلك كلا ... فالكتاب المقدس هو القانون الوحيد المعصوم ، ولا يوجد قانون غيره الا ويكون معرضا للخطأ ، لأن الكتاب المقدس وحده هو كلمة الله الموحى بها منه .

واذا درسنا الكتاب المقدس ، نجد أن الله يوضح لنا أن كلمة الله وحدها كافية لارشاد الانسان وتوجيهه ولا يحتاج الانسان الى غيرها سواء

كانت تقاليد أو روايات الآباء أو قرارات مجامع الكنيسة ، فان كل هذه يمكنها أن تفسر الكتاب المقدس ، وتبحث عن النسخ القديمة ، وتناقش المبادىء الواردة فى الكتاب ، ولكن ليس لها الحق او السلطان أن تزيد على الكتاب أو تنقص منه .

وقد قيل عن كلام الوحى المقدس « وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع . كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٥ — ١٧) . لقد قيل هذا عن العهد القديم ويصدق أيضا على العهد الجديد .

ونحن نلاحظ أن الله ، جل شأنه ، أوصى بأن لا نزيد شيئا على شريعته ففى تثنية ٤ : ٢ قال « لا تزيدوا على الكلام الذى أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكى تحفظوا وصايا الرب الهكم التى أنا أوصيكم بها » .

وفى خاتمة العهد الجديد يقول : « لأنى أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب ان كان احد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب ، وان كان أحد يحذف من اقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب (رؤيا ٢٢ : ١٨ ، ١٩) .

والشواهد الكتابية كثيرة لتأييد هذه الحقيقة — ان الكتاب المقدس هو القانون الوحيد المعصوم للايمان والأعمال ، والله لا يأمرنا بقبول غيره مهما كانت مصادر التعاليم الاخرى ومهما كانت قداسة معلميها من آباء الكنيسة وقديسيها ، ونحن مكلفون أن نبحث الكتاب المقدس وندرسه لنرى هل تتفق تعاليم من يعلموننا مع الكتاب فنقبلها أو نختلف فنرفضها ، لنكون مثل أهل بيرية الذين وصفوا بالقول أنهم « قبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا » (أع ١٧ : ١١) . وقد قال بولس الرسول لأهل غلاطية « انا بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما (ملعون) » (غل ١ : ٨) .

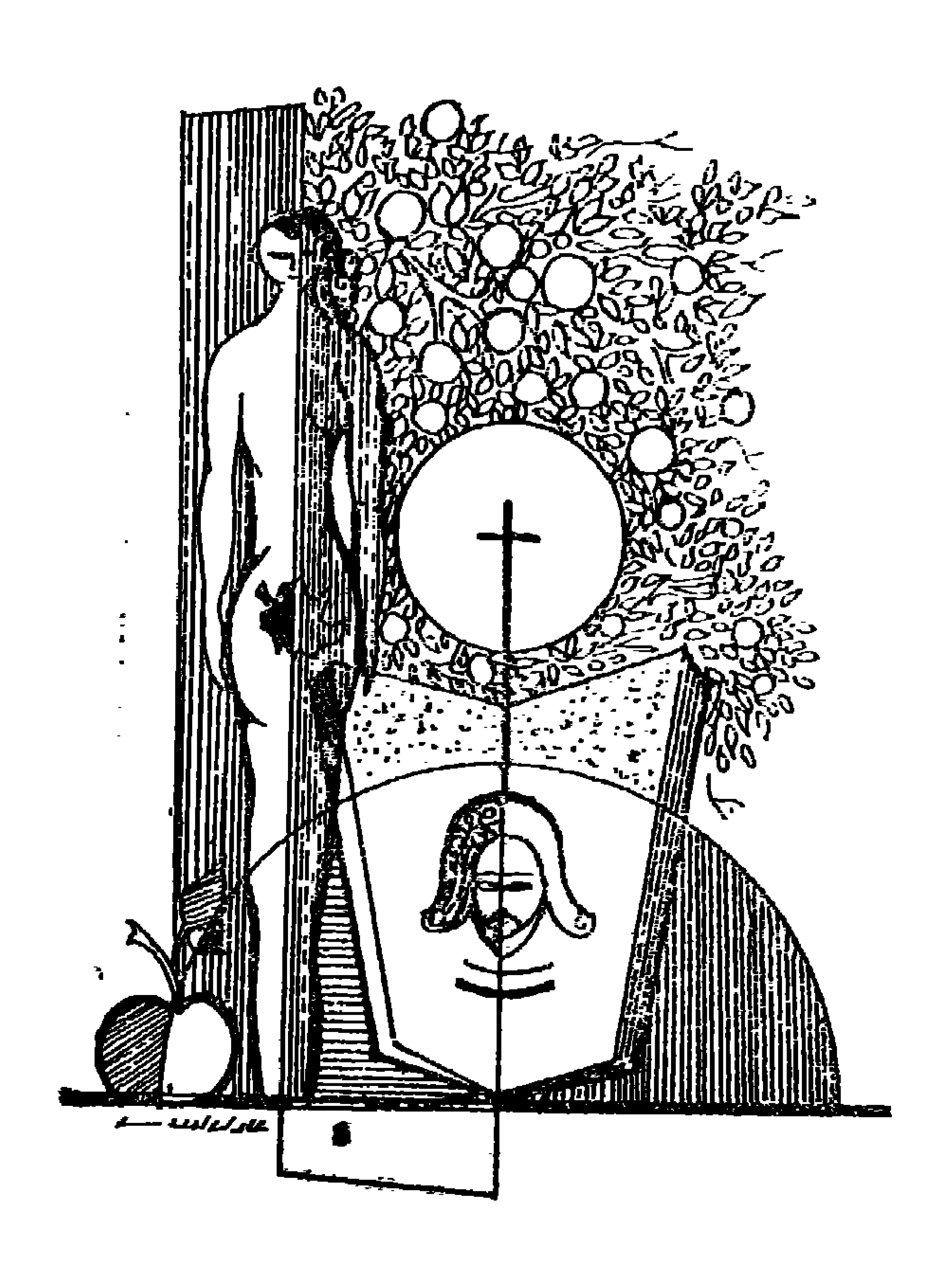
أن حكمة الله اقتضت ان يكتب الكتاب المقدس ولا يتناقله الناس شفاها بعد مدة وجيزة من الزمن ، لأن هناك أخطارا كثيرة فى التقاليد المتوارثة شفاها فهى تتغير ويحرفها ناقلوها حسب اهوائهم . وقديما وبخ السيد المسيح الكتبة والفريسيين لانهم اتخذوا لهم مجموعة من التقاليد حلت محل كلمة الله أو

اتخذت مقاما مساويا لها — اذ قال لهم : « لماذا تتعدون وصـــية الله بسبب تقليدكم . فان الله اوصى قائلا اكرم اباك وامك .. واما انتم فتقولون من قال لابيه او امه قربان هو الذى تنتفع به منى . فلا يكرم اباه او امه . فقــد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (متى ١٥ : ٣ — ٦) .

فلنؤمن ايمانا راسخا بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحى بها ، وانه القانون الوحيد المعصوم للايمان والأعمال . ولنرفض كل ما يتعارض مع تعليم هذا الوحى المقدس .. الى الشريعة والى الشهادة . ان لم يقولوا مثل القول ، فليس لهم فجر (اشعياء ٨ : ٢٠) .

٢

عهد الأعمال



الكتاب المقدس ليس كتابا فى العلوم الطبيعية أو الجغرافيا أو التاريخ ، لكن الكتاب المقدس هو الدستور الذى وضعه الله ليعلمنا كيف نمجده ونتمتع به الى الابد ، وهذه هى غاية الانسان العظمى فى هذه الحياة ، والتى بدونها لا تصير للغايات الأخرى قيمة على الاطلاق . وما أكثر الناس الذين يهتمون بالغايات الثانوية فى الاهمية ، كالراحة والسعادة والصحة والجمال والشهرة والمـــال .. لكنهم اذا لم يحققوا الغاية العظمى من حياتهم ، عاشوا حياة بلا معنى ، كلها سأم وملل وضيق .

ومجد الله الذاتى موجود فى ذات الله منذ الأزل ، ولا ينقص بعدم تمجيد الانسان لله ، ولا يزيد بتمجيد الانسان له « انظر الى السموات وابصر ولاحظ الغمام انها أعلى منك . ان اخطأت فماذا فعلت به ، وان كثرت معاصـــيك فماذا عملت له . ان كنت بارا فماذا أعطيته أو ماذا يأخذه من يدك . لرجل مثلك شرك ، ولابن آدم برك » (أى ٣٥ : ٥ ــ ٨) .

ومع ان الخليقة غير الناطقة تمجد الله « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) ، لكن الله يطلب من الناس أن يمجدوه . « هبوا الرب يا عشائر الشعوب . هبوا الرب مجدا وعزة . هبوا الرب مجد اسمه . احملوا هدايا وتعالوا الى أمامه . اسجدوا للرب فى زينة مقدسة » (أيام الأول ١٦ : ٢٨ ، ٢٩) .

« أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله . انكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشـــتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى الله » (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) .

فالكتاب المقدس غايته الأساسية أن يشرح للانسان تدبير الله لخلاصه ، ويعلق ما أراد الله اعلانه للانسان عن حقائق الايمان والأعمال . فغاية الكتاب المقدس غاية روحية أصـــلا ، ولا يجب أن نتخذه أساسا لأبحاث علمية أو تاريخية ، والا ضللنا السبيل الى معرفة هدف الكتاب . ان هذا لا يعنى أن الكتاب المقدس يحتوى على أخطاء علمية أو تاريخية .. كلا .. فالكتاب صحيح

فى كل معلوماته ، ولكن اذا رأينا أن الكتاب ترك بعض الاحداث التاريخية دون أن يرويها ، أو قدم لنا صورا رمزية لشرح بعض الحقائق ، أو شرح بعض الحقائق الطبيعية بأسلوب الناس العاديين لا بأسلوب العلماء ، فان هـذه ليست عيوبا فى الكتاب على الاطلاق ، بل ان الكتاب يذكر من الحقائق ما هو ضرورى لتحقيق الهدف منه فحسب ..

خلق الانســان

بهذا التقديم نستطيع أن ندخل الى قصة خلق الانسان وسقوطه كمـا يرويها سفر التكوين فى أصحاحاته الأولى . ويروى لنا سـفر التكوين فى الاصحاح الأول ، ان الله بعدما خلق النور والجلد والنباتات والشمس والقمر والزحافات والطيور والحيوانات البرية .

قال « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض . فخلق الله الانسان على صورته . وعلى صورة الله خلقه . ذكرا وأنثى خلقهم » (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) . « وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض . ونفخ فى أنفه نسمة حياة . فصار آدم نفسا حية » (تك ٢ : ٧) .

وليس قصدنا فى هذا الكتاب أن نتعرض لقصة الخليقة بكل ما يثـار حولها من تساؤلات مثل : هل الأيام الستة للخليقة أيام فعلا أو حقبات من ملايين السنين ؟ وما مقدار التطور الذى جازت فيه الكائنات ؟ وغـير ذلك من الأسئلة ، فهذه لها مجال آخر ، ولا يضيرنا اذا كانت الخيقة قد تمت فى ملايين السنين أو فى ستة أيام ، واذا كانت الكائنات قد تطورت على مر العصـور وأى الأنواع والأجناس جازت فى هذا التطور فان هذه الاحتمالات لا تضعف من قصة الكتاب المقدس ولا من سلطانه ، لأن الله قصد أن يبين لنا أنه هو الخالق على اى حال ، وانه واضع نسمة الحياة فى الانسان ...

والذى يعنينا هو معنى خلق الانسان على « صورة الله » .

ومعنى هذا التعبير ليس أن الله سبحانه له صورة محسوسة كما نرى فى البشر من رأس وعينين ويدين ، فان الله روح غير محدود غـير متغـير ، وصورة الله صورة روحية لا جسدية .

والمقصود أن الله ميز الانسان على ما سواه من المخلوقات ، باعطائه طبيعة روحانية مشابهة له ، فهو يشــبه الله فى ملكاته العقلية ، ومواهبه الروحية وهو يميل طبيعيا الى الله ، وله سلطة على المخلوقات ، وهو حر الاختيار والارادة ، نتيجة لقدرته على التفكير واتخاذ القرارات ، وبذلك امتاز امتيازا فائقا عن اذكى الحيوانات ، كما ان الله خلق الانسان فى حالة من البر والقداسة والكمال الأدبى ، وبذلك يكون الله قد أعطى للانسان هذه الصورة التى تشابه صـــورة الله الروحية مع الفـــارق الكبير بين طبيعة الله غير المحدودة ، وطبيعة الانسان المحدودة فالانسان مخلوق بار قادر على ارتكاب الخطية .

هذه الصورة التى خلق عليها الانسان ، ضاع جزء منها بعد ســـقوط الانسان ، وهو حالة البر والقداسة والكمال الأدبى ، ولكن بقى جزء منها وهو الطبيعة الروحانية والقوى العقلية . فالانسان رغم سقوطه على صورة الله من هذه الناحية اى أن له قدرة على التعقل والتفكير وفى هذا يقول يعقوب الرسول عن اللسان « به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على صورة الله ومجده » (يع ٣ : ٩) . وقول الله فى (تكوين ٩ : ٦) « سافك دم الانسان بالانسان يســفك دمه لأن الله على صـــورته عمـــل الانسان » .

لكن الانسان بسقوطه فقد حالة الطهارة والقداسة الاصلية التى خلق عليها ، لذلك فان الولادة الثانية معناها العودة الى لبس الانسان الجديد كما ورد فى (كولوسى ٣ : ١)« ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » وفى (أفسس ٤ : ٢٣ ، ٢٤) « وتتجددون بروح ذهنكم وتلبسون الانسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » .

ويصور الأسقف لسلى نيوبيجن هـــذه الحقيقة بالقـــول : « ان خلق الانسان على صورة الله ليس معناها طبع صورة الله على الانسان كمـــا توضع صورة الملك على العملة ، لكنه أشبه بانطباع صـــورة القمر فى ماء البحيرة فى ليلة صافية . فاذا هاجت المياه او تكاثرت الغيوم بين القمر والمياه فان الصورة تتشوه أو تتلاشى أو تتعذر رؤيتها . فالصورة فى الماء تقوم على علاقة خاصة وحالة خاصـــة بين القمر والمـــاء .. هكذا فى العلاقة بين الله والانسان ، فصورة الله فى الانسان تتوقف على علاقته بالله ، فاذا تقطعت هذه العلاقة يفقد الانسان انسانيته .. » .

ونحن نورد هذا التصوير للشرح فحسب ، لكن نذكر أن المقصود بصورة

الله المخلوق عليها الانسان ، القدرة العقلية والارادة التى تميز الانسان من الحيوان ، وهذه باقية فى الانسان ، كما تشير الى حالة القداسة الاصلية والكمال الادبى ، وهذه كانت فى الانسان عندما خلق ، لكنه فقدها بسقوطه كما سيأتى بعد ..

عهد الأعمال

هذا العهد تم عند خلق الانسان ، وتم بين الله والانسان الذى يمثله آدم باعتباره نائبا عن الجنس البشرى . وخلاصة هذا العهد هو أن الله وضع الانسان فى جنة عدن ، وفى أفضل الظروف ، ووعده بالحياة الأبدية اذا أطاع شرط العهد وهو عدم الاكل من شجرة المعرفة التى فى وسط الجنة ، كما أنذره بالموت ان خالف هذه الوصية الواحدة ..

ويسمى عهد الأعمال لأنه مبنى على عمل معين يقوم به آدم وهو الطاعة ، لأن آدم لو أطاع شروط العهد لنال الحياة الأبدية بأعماله أو بطاعته ، ويسمى أيضا عهد الحياة لأن فيه وعدا بالحياة الأبدية .

ولم يذكر لنا كاتب سفر التكوين صريحا هذا العهد لكن الكتاب المقدس ذكر لنا ما يؤكد هذا العهد .

فقد ذكر لنا الكتاب الوصية المخصوصة التى أوصى بها الله آدم وعقاب مخالفته لها « وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » (تك ٢ : ١٦ ، ١٧) .

وقد تسمى هذا عهدا فى الكتاب المقدس فقد قيل فى هوشع (٦ : ٧) « ولكنهم كآدم تعدوا العهد . هناك غدروا بى » .

ومع أن الكتاب فى هـذا الموقف لم يذكر وعدا صريحا بالحياة . لكن كلام الله أنه ان أكل يموت ، يستلزم بالتأكيد أنه ان كان لا يأكل لا يموت ، وقد شرح العهد الجديد هذا الوعد بالحياة فى قول السيد المسيح للناموسى الذى جاء يسأله « ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ » فبعد أن أشار السيد الى ما هو مكتوب فى الناموس قال له « افعل هذا فتحيا » (لوقا ١٠ : ٢٥ — ٢٨) — وبولس يشرح أن الحيـاة مرتبطة بالطاعة فى ترتيب الله بقوله فى روميه (١٠ : ٥) « ان الانسان الذى يفعلها سيحيا بها » .

ولعل آدم وهو فى حالة الكمال كان يأكل من شجرة الحياة ، وهى رمز للمسيح الذى صار ينبوع الحياة الأبدية لشعبه كما كانت تلك الشجرة ينبوع حياة لأبوينا الأولين ولكل ذريتهما لو لم يعصيا أمر الله .

لذلك طرد الله آدم بعد سقوطه — لئلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ، فقد كانت هذه الشجرة ختما لعهد الأعمال أو العلامة الظاهرة للدلالة على مكافأة الطاعة . لذلك يعبر الكتاب المقدس عن السعادة الأبدية المستقبلة بالتعبير « شجرة الحياة » (رؤ ٢ : ٧ ، ٢٢ : ٢ ، ١٤) .

هذا العهد اذا — عهد الاعمال — تم بين الله وآدم عند خلقه ، ولو أن آدم أطاع شروط هذا العهد ، لنال الحياة الابدية هو ونسله ، على سبيل مطالبة الله بالوفاء بوعده ، لا كدين على الله ، أو كحق من حقوق الانسان ، لأن خالق الانسان حر فى التصرف فيما خلق .

ولكن آدم اذ خالف الوصية ، نقض شرط العهد ، وبذلك انتهى عهد الاعمال منذ سقوط آدم الى اليوم والى الابد . ولا يستطيع انسان ما أن يطالب الله بالحياة الأبدية مهما عمل وأطاع فانه بالاضافة الى أنه لا يستطيع أحد بعد السقوط أن يوفى مطالب الله وشريعته التى أعلنها للبشر ، فان الله غير ملزم بأن يهب الحياة الأبدية لأحد أيا كان ومهما عمل لأن عهد الاعمال قدانتهى بين الله والبشر ، ذلك لأن آدم كان نائبا عن الجنس البشرى وقد نقض الجنس البشرى هذا العهد فى شخص آدم ، وبزوال العهد ، زال الوعد بالحياة الأبدية بشرط الأعمال والطاعة .

نيـابة آدم عن البشر

وهذه النيابة واضحة تماما فى الكتاب المقدس ، فالعهد قطع مع آدم من أجل نفسه ومن أجل نسله أيضا ، لأن آدم هو أب للجنس البشرى كله . وعندما خلق الله آدم ، خلق فى صلبه كل الجنس البشرى ، اذ يقول الكتاب « فخلق الله الانسان على صورته . . ذكرا وانثى خلقهم » (تك ١ : ٢٨) . والسلطان الذى أعطاه الله لآدم على حيوانات البرية وسمك البحر وطيور السماء ، هو لكل البشر . فآدم ليس شخصا عاديا بل هو ممثل لكل الجنس البشرى . والعهد الجديد يوضح هذه الحقيقة بالقول : « لأنه كما فى آدم يموت الجميع ، هكذا فى المسيح سيحيا الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٢) . « من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) .

وقد ذكر بولس الرسول فى رومية ٥ آدم انه كان على مثال الآتى اى المسيح عندما قال « لكن قد ملك الموت من آدم الى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الاتى » (رو ٥ : ١٤) .

فما هو التشابه بين آدم والمسيح ، او آدم الأول وآدم الثانى ؟ — الواقع أن هناك وجوها كثيرة للاختلاف ، فالانسان الأول من الأرض ترابى،والانسان الثانى الرب من السماء . وبآدم كان الاثم والموت ، وبالمسيح كان البر والحياة (رو ٥ : ١٢ — ٢١) ووجه الشبه الوحيد هو أن لآدم وظيفة نيابية عن البشر كآدم الثانى الذى هو نائب الخطاة ، وبذلك لقب انه « مثال الآتى » . فكما كان آدم نائبا عن الجنس البشرى فى الخطية والهلاك ، هكذا صار المسيح نائبا عن المؤمنين به من البشر للخلاص . فلو أننا أزلنا من آدم هذه الوظيفة النيابية ، لهدمنا حقيقة جوهرية فى كل نظام الفداء وتدبير الله للخلاص ، بحسب ما هو مبين فى الكتاب المقدس .

وبعض الناس يتساءلون : ما ذنب البشر لكى يجنوا ثمرة خطية لم يقترفوها أصلا ، ويقعوا تحت حكم الله ودينونته بسبب عصيان فرد واحد أيا كان ذلك الفرد ؟ .

ونحن — كمؤمنين بالكتاب وبسلطان الله فى ملكوته — لا ينبغى أن نسأل هذه الأسئلة لأنها تتدخل فى مشيئة الله الذى لا يسأل عما فعل ، وهى مخاصمة الله ، وقد قال الكتاب « ويل لمن يخاصم جابله . خزف بين اخزاف الأرض . هل يقول الطين لجابلة ماذا تصنع . أو يعدل عملك ليس له يدان (اش ٤٥ : ٩) .

لكنا لمزيد من الايضاح ، ولمعاونة المبتدئين فى الدراسة على تقبيل هذه الحقائق الالهية والنظام السماوى نذكر هذه النقاط :

١ — ان طبيعة الحياة التى نحياها تؤكد لنا أن الابناء كثيرا ما يحملون بعض نتائج شرور الآباء ، وكثيرا ما يستفيدون من نتائج كفاحهم ايضا . وعلم الوراثة يبين لنا أن بعض الأطفال قد يولدون مشوهين أو اغبياء أو مرضى بسبب أحوال والديهم ، وبعض الاطفال يولدون فى أحوال افضل بسبب ظروف والديهم — وقد وضع الله هذا النظام ، ونحن نتقبله فى الحياة العادية ، فلماذا نعترض عليه فى حالة آدم وهو أب للجنس البشرى . يقول الرب « لأنى أنا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى » . (عدد ١٤ : ١٨) .

٢ ــ ليس لانسان ما حق اختيار والديه ، لذلك لا نستطيع أن نعترض بأننا لم نختر آدم نائبا عنا ، لأن النيابة فى النظام الالهى والطبيعى تختلف عن اختيار النواب فى النظم الاجتماعية والسياسية .

٣ ــ انه كان أمام البشر أن ينالوا بالبركة والحياة الأبدية بطاعة آدم دون أن يكونوا قد قاموا هم بالطاعة ، وفى هذه الحالة لا اعتراض .

٤ ــ ان الله وضع آدم فى حالة يترجح منهـــا الطاعة الكاملة بحيث لو امتحن الله كل انسان بعهد أعمال ، وهو فى الظروف التى كان آدم فيها ، لمــا ترجح حفظه للوصية بأكثر مما ترجح حفظ آدم للوصية ..

٥ ــ نظام النيابة ــ كما أنه جعل البشر خطاة فى آدم ، لكن نعمة الله فتحت باب الخلاص عن نفس الطريق ، بنيابة المسيح عن الخطاة المؤمنين به ، وتقديمه الحياة الأبدية لهم بحسبان بره ..

فان رفضنا نيابة آدم عنا فلماذا نقبل نيابة المسيح عنا ؟

اســـــئلة

١ ــ لمــاذا أعطى الله وصية عدم الاكل من شجرة المعرفة لآدم ؟

الجـــواب :

السبب الذى أوصى لأجله الله آدم بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر هو مجرد امتحان آدم وحواء من جهة محبة الله وطاعته .. بمعنى أن الأكل من هذه الشـــجرة كان يكون جائزا لو أن الله لم يقدم هذه الوصـــية لآدم ..

ويرجح أغلب الشراح أن هذه الوصية كانت لمدة معينة ، ولو أن آدم ثبت فى الطاعة هذه المدة المعينة لامتحانه لبقى فى رضى الله وصار فى مأمن الى الأبد هو ونسله من خطر السقوط فى الخطية . ويستدلون على ذلك بمـــا جاء عن الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم وسقطوا والذين حفظوها وثباتهم فى القداسة وفى رضى الله ..

وقد تساءل كثيرون عن حقيقة شجرة معرفة الخير والشر ، فقال البعض انها شيء رمزى فحسب ، وقال آخرون انها شجرة اذا اكل الانسان من ثمرها نال معرفة الخير والشر ، بدليل قول الله بعد سقوط آدم « هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر » .

وطبيعى أن الشجرة لم تكن فيها قوة ذاتية لمنح المعرفة ، ولكن حسب تعيين الله ينال من يأكل منها هذه المعرفة .

والمقصود بمعرفة الخير والشر ليس معرفة الانسان العقلية الناضجة لأن آدم كان مخلوقا ناضجا ولم يكن طفلا ، وليس القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ ، لأنها كانت لديه ، والا لما كان يمكنه أن يدرك خطر العصيان وبركات الطاعة .

ولكن الأرجح أن تكون هذه المعرفة هى اختبار نتيجة عمل الخير والشر التى هى اما السعادة أو الشقاء . فالأكل من الثمر المنهى عنه جعل آدم يعرف باختباره الذاتى للفرق بين الخلا والشر — أما الله فانه يعلم طبيعة الشر ونتائجه من قدرته على معرفة كل شيء ، ولكن آدم لم يقدر أن يعرف ذلك الا بالاختبار الذاتى الذى حصل عليه حين اخطأ .

● ● ●

ونستخلص من هذه الوصية أن الله أعطى الانسان حرية واستقلالا لكنه حدده بشرط طاعة الله — والخطأ الذى سقط فيه آدم انه شك فى كلام الله وأراد أن يكون كالله ، حسب خداع الحية ، وبذلك أراد أن تكون له حرية غير مشروطة — أى أن يكون الها — وبدل أن يحب الله من كل قلبه ونفسه وفكره وقدرته ، صار يحب نفسه بكل القلب والنفس والفكر والقدرة .

٢ — هل تطلع البشرية للمعرفة عن طريق العلم يعتبر كسرا لوصية الله ؟ ..

والجواب على ذلك أن المعرفة اذا جاءت فى طريق طاعة الله كانت بركة للانسان ، واذا نالها الانسان عن طريق العصيان صارت شقاء له وللبشرية جمعاء .

ليس هناك ما يمنع العلمـــاء ان يبحثوا فى أسرار الطبيعة والكون وأن يصعدوا الى الفضاء ، اذا ما كانوا يعترفون بقـــدرة الخالق ، وكلمـــا زادت اكتشافاتهم زاد تمجيدهم لله خالق الاكوان — انهم بهـــذا يسيرون فى طريق الطاعة ، والسموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه . وفى طريق طاعة الله تستخدم هذه الاكتشافات للخير .

اما اذا سار العلماء فى طريق المعرفة ، منكرين قوة الله ووجوده ، جاعلين من انفسهم آلهة ، فان هذا الاتجاه سيكون وبالا على البشرية ، اذ يقودها الى استخدام الاكتشافات والفضاء والذرة وغيرها فى الفناء والدمار .. لأنها تفتقر الى الايمان بالله والمحبة التى لا يمكن أن توجد ما لم يوجد الايمان .

٣ — هل يوجد ما يسمى الخطية الموروثة ؟ وكيف تورث ؟

الخطية الموروثة هى الفساد الطبيعى الذى أصـــاب الجنس البشرى نتيجة لسقوط أبوينا الأولين ونتيجة لهذا الفساد فان الانسان أصبح يميل الى عمل الشر وأصبحت الجهالة مرتبطة بقلب الولد (أمثال ٢٢ : ١٥) .

وهذا يجعل الانسان عرضة لارتكاب الخطايا الفعلية ، بخلاف الانسان قبل السقوط فقد كان يميل الى طاعة الله .



الخطيـــة



ينفر بعض الناس من مجـــرد ذكر كلمة « الخطيـــة » ... وبعض المفكرين والباحثين يعيبون على المسيحية انها تصور الانسان فى صورة قاتمة بشعة بنسبة الخطية الى الانسان حتى وهو فى طفولته ، ويقولون ان هذا الاتجاه يسبب شعورا بالاثم عند الأبرياء ، ويصيبهم بمتاعب نفسية وفكرية .

فهل تتجنى المسيحية على البشر ، وتصـــفهم بما ليس فيهم ؟ أم أن المسيحية تصف الواقع وان كان مريرا ، وتقدم العلاج لهذا الواقع المـــرير المؤسف ؟

وهل الخطية مجرد غلطة عابرة ، يمكن اصلاحها بالتدريب والتهذيب أم انها فساد فى قلب الانسان واعماقه ، تحتاج الى علاج أكثر فاعلية وتعمقا من مجرد التربية والتهذيب السطحى لسلوك الانسان وكلماته ؟

حقيقـــة الخطيـــة

وللاجابة على هذا التساؤل نبدأ بشهادة الكتاب المقـــدس ونؤيدها بشهادة الاختبار : مع ان الكتاب المقدس وحده شهادة كافية كاملة . كمـــا سبق أن أوضحنا من قبل .

الكتاب المقدس لا يكتفى بأن يبين لنـــا ان نقض آدم لعهد الأعمـــال محسوب على نسله فحسب (وهذه هى الخطية المحسوبة) . لكنه يعلمنا انه بسقوط الانسان فسدت الطبيعة البشرية من اعماقها ؛ وفقـــدت البر الأصلى ، وأصبحت طبيعة الانسان شريرة خاطئة . وفى ذلك نقرأ قـــول المرنم : « هانذا بالاثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مزمور ٥١ : ٥) وقول الحكيم : « الجهالة مرتبطة بقلب الولد » (ام ٢٢ : ١٥) . وقد وصف السيد المسيح حياة الانسان ، فوضح أن الشر لا يأتى من اللسان ، أو من الأفعال العارضة الشريرة ، بل ينبع من القلب ، « لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة ، زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل . جميع هذه الشرور تخرج من الداخـــل وتنجس الانسان » (مرقس ٧ : ٢١ — ٢٣) .

وقد بين بولس الرسول ان جميع الناس سواء فى هذه الحالة ، سواء من تقبلوا شريعة الله كاليهود ، أو غيرهم كاليونانيين ، اذ كتب فى الأصحاح الثالث من رسالة رومية « فماذا اذا . أنحن أفضل . كلا البتة . لأننا قد شكونا ان اليهود واليونانيين اجمعين تحت الخطية . كما هو مكتوب انه ليس بار ولا واحد . ليس من يفهم . ليس من يطلب الله . الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد » (رومية ٣ : ٩ — ١٢)

ومن هذا الفساد الكائن فى طبيعة الانسان الشريرة تنتج جميع الأعمال الشريرة والأفكار الشريرة ، التى هى الخطايا الفعلية التى يسقط فيها جميع الناس ، ولم يسلم منها شخص واحد ولد على ارضنا ، الا يسوع المسيح القدوس الذى بلا خطية .

وقد ظن بعض المفكرين قديما أن مركز الخطية طبيعة الانسان الجسدية ، وأنه كلما قهرنا الجسد ، وجعلنا الروح تتسلط على الجسد ، تغلبنا على الخطية . ولا يزال هذا التعليم يؤثر بطرق مباشرة وغير مباشرة فى أفكار كثير من الناس وأسلوب حياتهم — لكن هذا يتنافى مع تعليم الكتاب المقدس ومع الواقع أيضا . فالكتاب لا يعتبر جذور الخطية فى الجسد ، بل فى النفس والعقل والروح كالكبرياء والبر الذاتى والحسد . والمخلوقات التى يعتبرها الكتاب المقدس أكثر اثما من الجميع هى الشياطين ، وهم الأرواح الساقطون الذين ليس لهم أجساد ، ولا أميال جسدية شهوانية . وأشنع خطايا البشر عدم الايمان بالله ، والكبرياء ، وعداوة ملكوت الله ، وهذه خطايا لا علاقة لها بالجسد على الاطلاق .

ومع أن كلمة « جسد » « وجسدانى » تستخدم فى الكتاب المقدس للدلالة على الفساد أو الخطية ، لكن هذا اللفظ يستخدم للاشارة الى طبيعة الانسان الفاسدة روحا وجسدا بدون تجديدها بالروح القدس ، وذلك مثل قول الله « فقال الرب لا يدين روحى فى الانسان الى الأبد . لزيغانه هو بشر (وهى نفسها كلمة **جسد**) ... ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم » (تكوين ٦ : ٣ ، ٥) .

والخطية ليست عملا نعمله بقدر ما هى اتجاه أو حالة نعيشها .

* * *

هذه هى شهادة الكتاب المقدس الصادقة عن طبيعة الانسان الشريرة الخاطئة ، وقد تأيد هذا الرأى الصادق باختبار البشر فى مختلف عصور التاريخ . فأصحاب النظريات المتفائلة بكمال البشر (utopian Idealism) قد تحطمت نظرياتهم بسبب هذا الأساس الخاطىء .

ومع التقدم الكبير الذى أحرزته الانسانية ، وقدرة الانسان أن يسيطر على قوى الطبيعة ، لم يستطع الانسان أن يحقق السيطرة على ارادة الانسان الشريرة ، وشهواته ، وريائه وأنانيته ، ومخاوفه ... بل ان كل تقدم للانسان ارتبط بمزيد من شروره وسوء استخدامه لهذا التقدم . فقد تحسنت الطرق ، وازدادت سرعة السيارات ، وفى نفس الوقت زاد تهور الذين يقودون السيارات فزادت الحوادث ...

واخترع الانسان الطائرة لتسهيل المواصلات ، فاستخدمها فى القاء القنابل للفتك بالناس والمنشآت ... تقدمت العلوم ، فاستخدم الناس العلوم فى حبك الجرائم ...

* * *

وقبل أن يستطيع علم « التحليل النفسى » أن يكتشف الرغبات الشريرة المكبوتة فى عقل الانسان الباطن ، وراء القناع الزائف البادى فى مظهر الأدب والرقة والمجاملة ، كشف لنا كتاب الله القناع عما فى داخل نفس الانسان من شر ورياء وخداع . وقد قال الوحى : « القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس من يعرفه » (ارميا ١٧ : ٩) ــ ويعلمنا الكتاب ان أسوأ أنواع الشرور هو خطية « البر الذاتى » « والرياء » ــ ويتضح ذلك بجلاء فى المثل الذى ذكره يسوع : « وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين ، هذا المثل . انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا واحد فريسى والآخر عشار أما الفريسى فوقف يصلى فى نفسه هكذا : اللهم أنا أشكرك أنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار . أصوم مرتين فى الأسبوع ، وأعشر كل ما أقتنيه . وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع على صدره قائلا اللهم ارحمنى أنا الخاطىء . أقول لكم ان هذا نزل الى بيته مبررا دون ذاك » (لوقا ١٨ : ٩ ــ ١٤) .

وكما أن الشيطان يتخذ لنفسه صورة ملاك نور ، هكذا الخطية قد تلبس ثوب النقاوة والطهارة ، وقد تتخذ لها من الدين رداء ، ومن اقدس

الطقوس والممارسات قناعا ، وهذا يؤكد لنا الفساد الأصيل فى الطبيعة البشرية .

نتيجة الخطية

عرفنا الآن ان حقيقة الخطية لا تحتاج الى برهان ، وان المسيحية لا تتجنى على الانسان ، لكنها تصف أمرا واقعا ، وروايات الكتاب المقدس عن أصل الخطية تشرح لنا سر هذا الفساد الكائن فينا . . . اى أن حديث الكتاب عن خطية الانسان لا يجعل الناس يحسون بالاثم وهم أبرياء ، لكنه يكشف لهم حقيقة نفوسهم ليقودهم الى تبين نتائج هذه الخطية وطريق الخلاص منها .

ان النتيجة الظاهرة للخطية هى اختلال جميع العلاقات فى حياة الانسان ، فالانسان أصبح مصابا بالقلق والخجل لعدم وجود الانسجام فى داخل الانسان نفسه ، وأصبح يشعر بأن عليه أن يجاهد ويصارع ضد قوى الطبيعة ليكسب عيشه بعرق جبينه ، واختل نظام العلاقات بين الانسان واخيه الانسان ، واحتلت الأنانية والكراهية بدل المحبة والتعاون ، وفوق الكل صار الانسان غريبا عن الله بل عدوا . وتصف لنا الأصحاحات الأولى من سفر التكوين صورة لهذا الاختلال فى خجل الانسان واختبائه من الله ، وصراعه ضد الطبيعة ، وعداء قايين لهابيل أخيه .

واصبح الانسان مثل الابن الضال ، بعيدا عن بيت ابيه ، يبحث عن المتعة والحرية ، فلا يجد الا الشقاء والعبودية والجوع .

أما من ناحية الله ، فقد صار الانسان تحت الحكم الالهى الرهيب بالموت .. الموت الجسدى ، فهو من تراب والى تراب يعود ، والموت الروحى وهو حالة الانفصال عن الله ، والموت الأبدى وهو النتيجة الحتمية للموت الروحى .

طريق الخلاص

ما السبيل اذا للخلاص من الخطية ونتائجها ؟

لو كانت الخطية مجرد أغلاط يرتكبها الانسان ، لكان من الممكن أن يعالجها الانسان بالتربية والتقويم والتهذيب . ولكننا أوضحنا أن الخطية

فساد متأصل فى نفس الانسان ، لا يمكن لجميع وسائل التهذيب والتربية وكل علوم الأخلاق والآداب ان تزيلها .

ولو كانت الخطية مجرد أوهام او احساس بالذنب ، لكان من الممكن ان نعالجها بالطب النفسى ، والتبصر والاستنارة .

ولو كانت الخطية مجرد جهل بالحياة الصالحة ، لكان العلم هو طريق الخلاص ، ولكننا أوضحنا انه مهما زادت العلوم تقدما ، فانها لا تقلل من انتشار الخطية ..

ولو كانت الخطية عجزا وضعفا انسانيا فحسب ، لكان من الممكن اتباع بعض وسائل التدريب على ضبط النفس ، وقوة الارادة ، حتى نقوى هذا الجانب الضعيف من الانسان .

لكن الخطية لا يمكن التخلص منها بكل هذه الوسائل . وجميع الذين يحاولون ان يزيلوا الخطية بأساليب التربية والتهذيب وقوة الارادة والتعليم والتبصر ، لا يمكنهم ابدا ان يقدموا للانسان طريقا للخلاص .

نحن لا ننكر فائدة هذه الأساليب ، وضرورتها فى التهذيب الخارجى للانسان ، وتوجيهه نحو السلوك الصحيح فى المجتمع ، نحو نفسه ونحو الآخرين ، لكن كل هذه الوسائل لا يمكنها ان تزيل الشر المتأصل فى الانسان ، وتزيح عنه حكم الموت الصادر من الله ضد الخطية « لأن أجرة الخطية هى موت » .

فكيف يكون الخلاص اذا ؟

وماذا يعمل الانسان لكى يخلص ؟

والجواب هو أن الانسان لا يستطيع أن يعمل شيئا يخلص به نفسه من الخطية ، أو يخلص به غيره منها ... ذلك لأن الكتاب المقدس يعتبر جميع الناس « أمواتا بالذنوب والخطايا » .

والموت هو حالة العجز الكامل ...

والميت لا يستطيع أن يفعل شيئا لنفسه ، كما لا يستطيع أن يفعل شيئا لغيره .

هذه حقيقة هامة وجوهرية فى الديانة المسيحية ، ان الخلاص ليس من عمل الانسان ، ولا من قدرته ، ولا من ترتيبه ، لأن الانسان ميت بالذنوب والخطايا ...

ان الله هو الذى اعد الخلاص للبشر ...

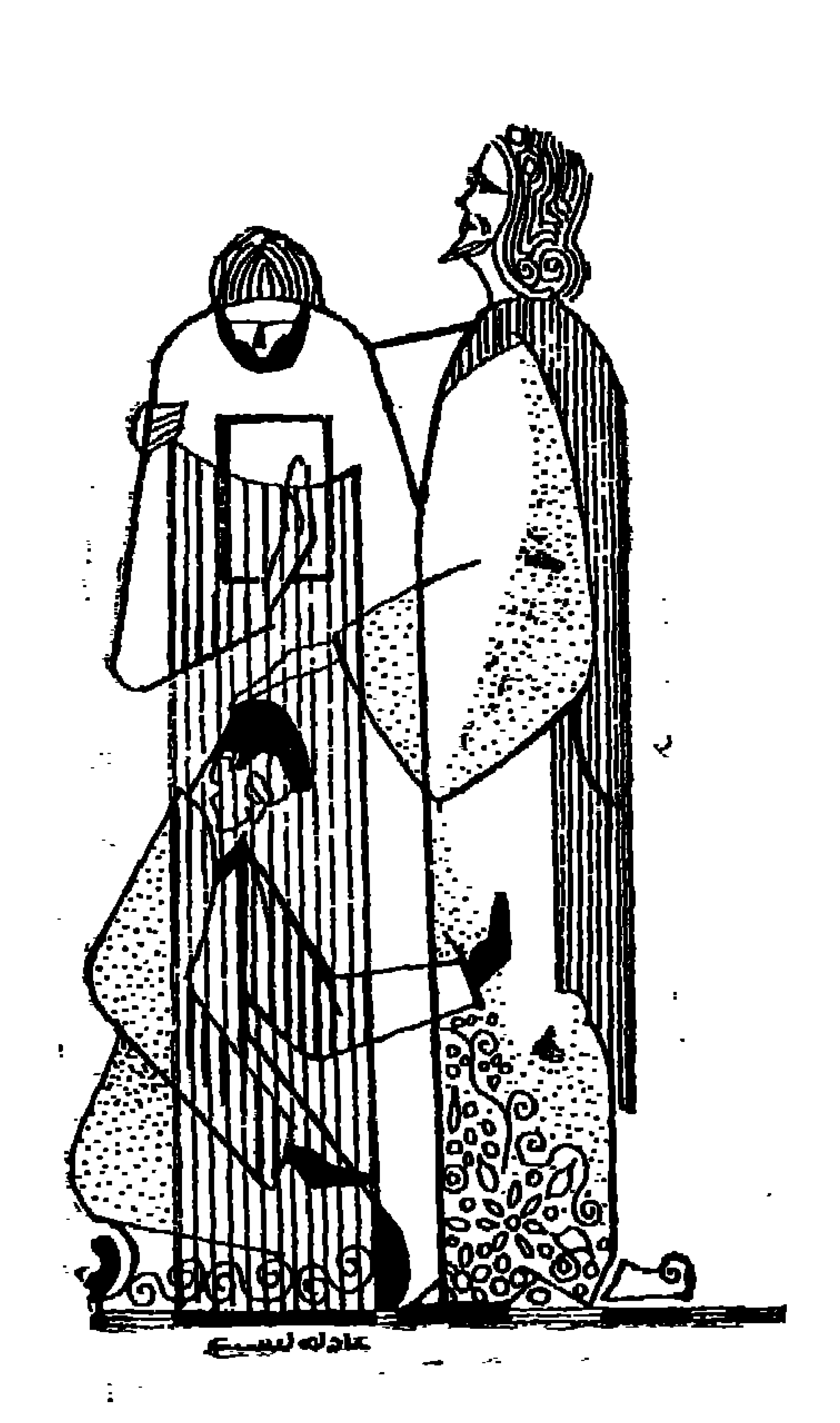
والله هو الذى قدم الخلاص للبشر ...

والله هو الذى يخلص الناس ، دون أن يعملوا شيئا ... ودون أن يبذلوا اى مجهود ، ودون ان يستحقوا هذه الرحمة وهذه العناية . وهذه هى (النعمة) .

« وانتم اذ كنتم امواتا بالذنوب والخطايا ... الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى احبنا بها . ونحن اموات بالخطايا احيانا مع المسيح . بالنعمة انتم مخلصون . وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع . لأنكم بالنعمة مخلصون بالايمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أفسس ٢ : ١ ، ٤ — ٩) .

٤

عهد النعمة



وقفنا أمام خطية الانسان ، فوجدناها خطية محسوبة عليه بسبب تعدى آدم ، وفسادا موروثا فى الجنس البشرى ، وخطايا فعلية يفعلها الانسان ... وكلها أجرتها موت .

وفى الكتاب المقدس تشبيهات كثيرة للخطية .

فهى تشبه بالمرض ، اشارة الى افسادها حياة الانسان واصابته بمختلف العلل .

وهى تشبه بالعبودية أو الأسر ، لأنها تقيده بقيود وهى وهدة الهلاك وحفرة الموت ، وحمأة الاثم ، والرذيلة وفوق الكل هى حالة موت وانفصال عن الله وعن القداسة .

وقد لاحظنا وأظهرنا ان الميت لا يمكن ان يخلص نفسه او يخلص غيره ... فهو يحتاج الى قوة اسمى منه تمتد اليه لتقيمه ، وقلنا ان الخلاص من الخطية هو اعمال الله وحده لأنه لا يقدر احد من البشر الموتى بالخطية ان يفعل شيئا للخلاص منها .

ماذا عمل الله ليخلص الانسان من حالة الخطية والشقاوة والموت التى وصل اليها ؟

ان الله ، وهو سلطان فى خلائقه ، يفعل ما يشاء ولا يقول له احد لماذا تصنع هكذا ، شاء بحسب مسرته ان يدبر وسيلة ليخلص مختاريه من الموت الأبدى .

فعقد عهد نعمة ، لينقذهم ، ويدخلهم الى حال الخلاص ، بواسطة فاد يفديهم ، وهكذا ينال هؤلاء الحياة الأبدية هبة من الله وعطية مجانية منه .

هذا هو « عهد النعمة » . وليس المقصود بكلمة « عهد » الاشارة الى عصر من العصور ، بل لفظ « عهد . هنا يشير الى نوع من التعاهد او الاتفاق أو التدبير الالهى .

ولقد درسنا من قبل « عهد الأعمال » الذى عقد بين الله وآدم بصفته نائبا عن الجنس البشرى ، والذى بمقتضاه وعد الله آدم ونسله بالحيـــاة بشرط الطاعة ، وانذره بالموت هو ونسله فى حالة العصيان . وقد نقض آدم عهد الأعمال ، ولم يثبت فيه بعصيانه ومخالفته وصية الله ؛ لذلك سقط الجنس البشرى كله فى الخطية والتعاسة . . .

فما هو « عهد النعمة » ؟ ومع من عقد هذا العهد ؟

ان هذا العهد عقـــد ، لا مع النـــاس ، ولكنه تم بين الآب والذين من الثالوث الأقدس وقد قام الابن فى هذه الحالة ليكون نائبا عن نسله الروحى من المختارين . وقد لقب السيد المسيح بلقب وسيط عهد النعمة لانه هـــو الذى تعاهد مع الله الاب نيابة عن مختاريه ، وهو الذى حفظ شروط العهد، فهو ضامن العهد ايضا . ولنتأمل الان فى كلمتى « عهد » و « نعمة » .

العهـــــد

يشترط لكل عهد وجود طرفين ، وشروط خاصة لهذا العهد ، ووقت معين لقيام هذا العهـــد .

اما الطرفان فهما الآب والابن كما ذكرنا ، والكتاب المقدس يذكر لنـــا بوضـــوح طرفى هـــذا العهـــد .

ففى نبوة اشعياء يتحدث الله قائلا : « انا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم » (اش ٤٢ : ٦) .

وفى هذا العهد قبل الابن ان يتخذ لنفسه جسدا بشريا ويولد من امرأة تحت الناموس ، ويحفظ ما كان ينبغى على الناس ان يحفظوه ، ويحتمـــل ما كان عليهم ان يحتملوه قصاصا على خطاياهم ، وان يقدم نفسه ذبيحة لله عن خطايا البشر .

وهذا واضح فى شواهد كتابية متعددة منهـــا ..

« ذبيحة وقربانا لم ترد ولكن هيأت لى جســـدا . بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر . ثم قلت هأنذا أجيء فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعـــل مشيئتك يا الله » (عب ١٠ : ٥ — ٧) .

« ولكن لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولودا من امراة مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس » (غل ٤ : ٤ ، ٥) . وقول السيد : « ينبغى ان اعمل اعمال الذى ارسلنى ما دام نهار » (يو ٩ : ٤). وقوله ايضا : « والذى ارسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين افعل ما يرضيه » (يو ٨ : ٢٩) . وقول بولس : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا » (غل ٣ : ١٣) . وقوله ايضا : « أسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح ايضا وأسلم نفسه لأجلنا قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة » (أف ٥ : ٢) .

وفى هذا العهد قبل الآب أن يمهد الطريق للابن ، ويعطيه أجرة تعبه ويخلص جميع الذين ينوب عنهم المسيح ويبررهم ويقدسهم ويمجدهم .

واثباتا لذلك من الكتاب نقرأ فى نبوة اشعياء « أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . ان جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها » (اش ٥٣ : ١٠ ، ١١) .

وفى صلاة المسيح الشفاعية قول المسيح للآب : « أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته ، والآن مجدنى انت أيها الآب بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم ... أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم ... من أجلهم أنا أسأل ... قدسهم فى حقك ... أيها الآب اريد ان هؤلاء الذين اعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك احببتنى قبل انشاء العالم » (يوحنا ١٧) .

أما وقت اجراء هذا العهد فهو منذ الأزل قبل تأسيس العالم ، ولكن اظهر هذا العهد حسب اعلانات الله المتدرجة على مر العصور فى اوقات خاصة .

يستهل بولس رسالته لتيطس بالقول : « بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح لأجل ايمان مختارى الله ومعرفة الحق الذى هو حسب التقوى ، على رجاء الحياة الأبدية التى وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية وانما أظهر كلمته فى أوقاتها الخاصة بالكرازة » (تى ١ : ١ ـ ٣) . ويقول بطرس للمؤمنين : « انكم افتديتم ... بدم كريم ... دم المسيح معروفا سابقا قبل تأسيس العالم » (١ بط ١ : ١٩ ، ٢٠) انظر ايضا (رو ١٦ : ٢٥ ، أف ٣ : ٩ ، كو ١ : ٢٦) .

النعمــة

لكن لماذا أطلق على هذا العهد « عهد النعمة » ؟

والسبب هو تمييزه عن عهد الاعمال ، ففى عهد الاعمال كان شرط الحياة هو طاعة الانسان لوصية الله ؟ اما فى هذا العهد فلا شروط على الانســان بل يقدم الله للانسان خلاصا مجانيا ، بلا استحقاق ، وبلا ثمن ، وبلا مقابل ، ولا يطالبهم بأعمال او طقوس أو ممارسات أو ذبائح ... وهذه هى النعمة ، كما هو مكتوب فى هوشـع ٤ : ١٤ « أحبهم فضلا » .

ان شروط عهد النعمة قد تممها الرب يسوع المسيح فى طبيعته البشرية، وفتح لنا بذلك بابا للرجاء الأبدى ، ففى عهد الأعمال كانت الطـاعة شرطا للبركة ، لكننا فى عهد النعمة ننال البركة ، ونتيجة لهــذه البركة نحب الله ونطيعه .

وفى عهد الاعمال يبين الله للانسان ما ينبغى على الانسان أن يعمل ، أما فى عهد النعمة فان الله يظهر للبشر ماذا فعله لأجلهم كما جاء فى اشعياء ٢٦ : ١٢ « يا رب تجعل لنا سلاما لأنك كل اعمالنا صنعتها لنا » . والله هو العامل فى المؤمنين أن يريدوا ويفعلوا لأجل المسرة . (فيلبى ٢ : ١٣) .

* * *

ويخطىء البعض اذ يظنون أن « عهد النعمة » يبدأ من العهد الجديد وموت المســيح وقيامته .. فالواقع أن جميع الذين نالوا الخلاص منــذ بدء الخليقة ، نالوه بالنعمة ، ولم يخلص أحد بالأعمال منذ بدء الخليقة ، اذ نقض عهد الأعمال فى آدم . واذا قرأنا قصة السقوط فى سفر التكوين نرى ان الله وعد آدم بالخلاص ، فى حديثه الى الحية قائلا : « واضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) . أى ان المخلص مولود المرأة سيسحق راس الشيطان .

وقد كان الايمان هو شرط الخلاص فى العهد القديم كما فى العهد الجديد، والمسيح هو الفادى فى العهد القديم كما فى العهد الجديد .

فالمسيح كان يتكلم فى الانبياء ، والانبياء كانوا يتحدثون فى العهد القديم بروح المسيح ، ويتنبأون عن النعمة . وقد قال بطرس : « نائلين غاية ايمانكم

خلاص النفوس . الخلاص الذى فتش وبحث عنه انبياء . الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم . باحثين أى وقت أو ما للوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم اذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والامجاد التى بعدها » (١ بط ١ : ٩ — ١١) .

ويتحدث كاتب الرسالة الى العبرانيين عن قديسى العهد القديم قائلا : « فى الايمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها واقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » (عب ١١ : ١٣) .

* * *

وقد قسم علماء اللاهوت عهد النعمة الى عصور اربعة :

١ — من آدم الى ابراهيم .

٢ — من ابراهيم الى موسى .

٣ — من موسى الى مجىء المسيح بالجسد .

٤ — من مجىء المسيح الى انقضاء العالم .

وقد كان الله يعلن حقه تدريجيا فى هذه العصور الى ان اكتمل الحق الالهى ، وانتهت الاعلانات السماوية بمجىء المسيح ، وتأسيس الكنيسة المسيحية ، واكتمال كتابة الوحى المقدس .

١ — ففى العصر الاول من آدم الى ابراهيم ، أعلن الله حقه وخلاصه بالوعد الالهى لآدم انه سيكون من نسله من يسحق رأس الشيطان كما أعطى الله نظام العبادة عن طريق الذبائح للانسان ، لأن هذا موافق لحكم الضمير البشرى ، ان الكفارة تكون بسفك دم ، ولذلك قبل الله تقدمة هابيل لانها كانت ذبيحة دموية .

٢ — وفى العصر الثانى من ابرهيم الى موسى ، احتسب الله ايمان ابرهيم بالله برا . أى أن الايمان فى ذاته ليس برا ولكنه بالنعمة احتسب برا ، وايمان ابرهيم كان ايمانا بقدرة الله على الاقامة من الأموات أى بأن الله « يحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة » (رو ٤ : ١٧) .

وظل نظـــام الذبائح موجودا بصـــورته الأولى الى أن نظمته الشريعة الطقسية بعد موسى . كما أعلن الله فى هذا العصر أن المخلص سيكون من سبط يهوذا .

٣ ــ وفى العصر الثالث من موسى الى مجىء المسيح بالجسد نرى الله يعطى لشعبه شريعة الكهنة والذبائح وهى بجملتها اشارة الى ذبيحة المسيح . لأن ذبائح الحيوانات لا يمكن أن تكفر عن خطية البشر . وانمـــا كانت رمزاً للمسيح .

وفى هذا العصر أعطى الله الشريعة الأدبية وهى الوصايا العشر .

واعطاء الناموس لموسى ، لا يعنى أن الانسان يتبرر بأعمال الناموس ، بل أن الناموس يؤكد للناس خطيتهم ، ويظهر بكيفية واضحة حاجتهم الى النعمة ..

كما يقول بولس فى رسالة رومية :

« ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس ، لكى يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله . لأنه بأعمـــال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه . لأن بالناموس معرفة الخطية » (رو ٣ : ١٩ ، ٢٠) .

٤ ــ أما العصر الرابع وهو العصر الانجيلى من مجىء المسيح الى انقضاء العالم ، ففيه أعلن الله حقه واضحا كاملا لا برموز ولـــكن فى ابنه الوحيد . وهذا العهد الجديد يختلف عن عهد الناموس العتيق فى أنه عام ، ليس محصورا فى شعب واحد لكنه لجميع الأمم ، وروحى لأن الرموز الجسدية انتهت ، وهو عهد الروح القدس الذى أرسله المسيح بفيضـــان ليسكن مع المؤمنين وفيهم .

وهو العهد الاخير الذى لا يوجد اعلان أكمل منه ، وكل اعلانات بعده تعتبر باطلة ليست من الله . لأننا نجد فى العهد القديم اعلانات عن نظم أخرى أفضل منه ، لكننا لا نجد فى الكتاب المقدس أية اشارة الى أن هناك نظاما أفضل من النظام المسيحى ، لأن فيه ختام كلام الله فى ابنه الوحيد . كما يقول كاتب الرسالة الى العبرانيين :

« الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى به أيضا عمل العالمين . الذى وهو بهـاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ، بعدما صنع تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم » (عب ١ : ١ — ٤) .

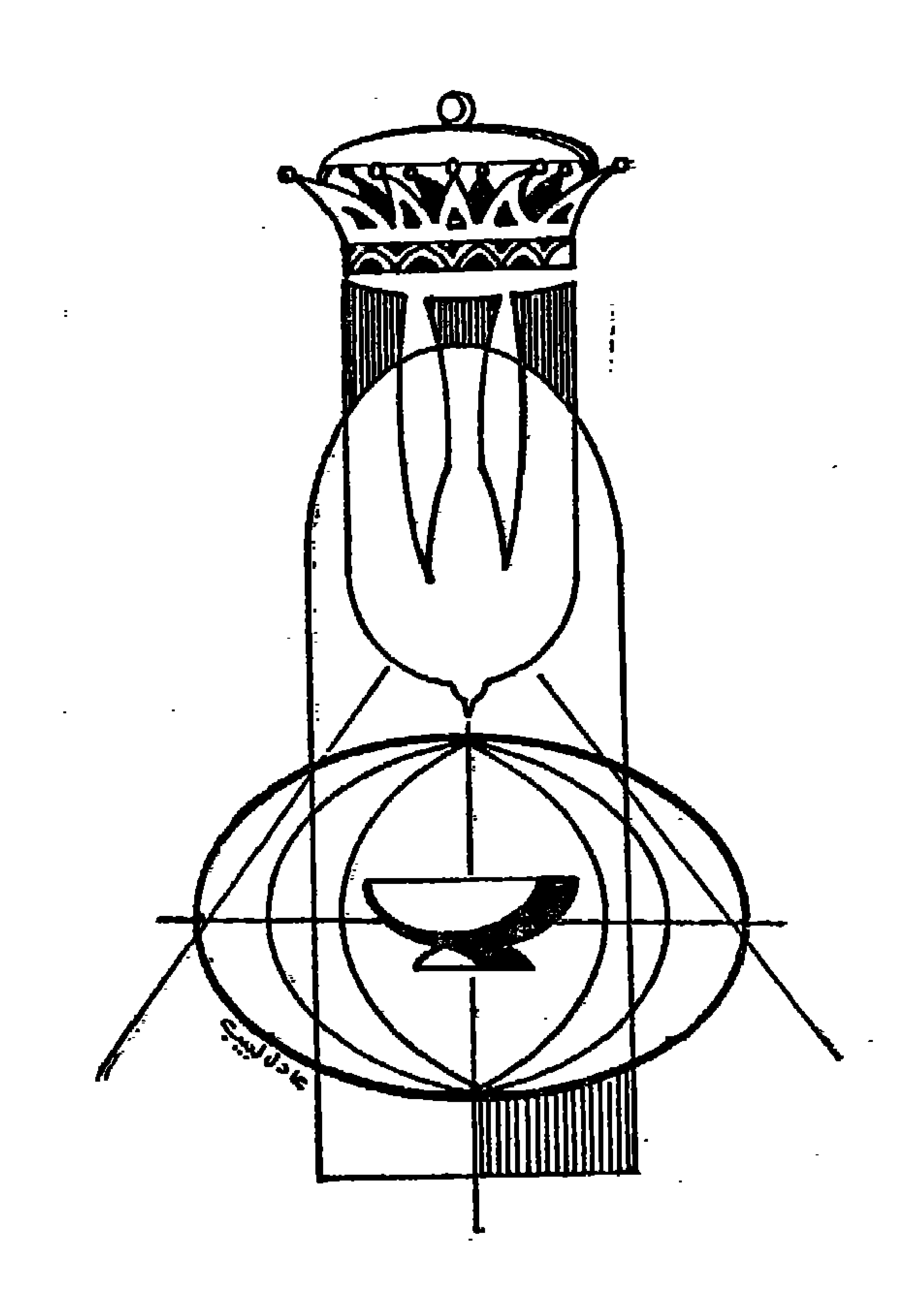
وبعد الابن لا يوجد اعلان أفضل .

هذا هو الطريق الذى اختاره الله لخلاص المختارين — النعمة .

« لأنكم بالنعمة مخلصون بالايمان . وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٨ ، ٩) .

٥

عقيدة الثالوث



يؤمن المسيحيون باله واحد ، ولسنا نريد هنا أن نبرهن على وجود الله ووحدانيته فهذه حقيقة أولية عند كل المؤمنين ومجال مناقشتها الفلسفة وليس شرح التعليم المسيحى . الا أن المسيحيين يؤمنون بأن هــذا الاله الواحـــد فى جوهره الذى لا يتجـــزأ له ثلاثة أقانيم : الآب والابن والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة اله واحد ، جوهر واحد ، متساوون فى القــدرة والمجــد ..

وفى اللغة الانجليزية يستخدمون كلمة Persons أى أشخاص بدلا من كلمة أقانيم ــ لكننا فى اللغة العربية نستخدم كلمة « أقنوم » وهى كلمة يونانية الأصل لتدل على شخصية متميزة لكنها فى نفس الوقت غير منفصلة من الاشتراك فى الجوهر الواحد ، حتى لا يلتبس الأمر لو أننا استعملنا كلمة (شخص) باعتبار أن الشخص ذات منفصلة مستقلة .

وقد حاول البعض أن يقربوا الى الاذهان فكرة الثالوث مع الوحدانية باستخدام تشبيهات بشرية ــ فقالوا على سبيل المثال :

اننا نتحدث عن الشمس فنصف قرص الشمس البعيد عنا بأنه الشمس ونصف نور الشمس الذى يدخل الى بيوتنـــا بأنه الشمس ، ونصف حرارة الشمس التى تدفئنا بأنها الشمس ، ومع ذلك فالشمس واحدة لا تتجزأ ، وهذا عند الشارحين يماثل الآب الذى لم يره احد قط ، والابن الذى هو النور الذى أرسله الآب الى العالم ، والروح القدس الذى يلهب حياتنا ويدفئنـــا بحياة جديدة .

وقال آخرون ان الثالوث يشبه بالانسان المركب من جسد ونفس وروح ومع ذلك فهو واحد ، والشجرة وهى ذات اصل وساق وزهر .

على أن كل هذه الأمثلة لا يمكن أن تفى بالغرض بل انها أحيانا تعطى صورة خاطئة عن حقيقة اللاهوت .

فالتشـــبيه الأول الخـــاص بالشمس يعبر عن الثالوث لأن النـــور والحرارة ليست شخصيات متميزة عن الشمس . والانسان وان صح أنه

مركب من نفس وجسد وروح لان الرأى الأغلب هو انه من نفس وجسد فقط وتشمل النفس الانسانية ما يطلق عليه بالروح) ولكن على افتراض انه ثلاثى التركيب فان هذه الثلاثة ليست جوهرا واحدا بل ثلاثة جواهر — وفى المثال الثالث فان الأصل والساق والزهر هى ثلاثة اجزاء لشىء واحد .

والواقع انه لا يوجد تشبيه بشرى يمكن ان يعبر عن حقيقة الثالوث ، لأنه ليس لله تعالى مثيل مطلقا فى الكون . ان تعليم الثالوث يتضمن :

١ — وحدانية الله .

٢ — لاهوت الآب والابن والروح القدس .

٣ — ان الآب والابن والروح القدس أقانيم يمتاز كل منهم عن الآخر منذ الأزل والى الأبد .

٤ — انهم واحد فى الجوهر متساوون فى القدرة والمجد .

٥ — ان بين أقانيم الثالوث الأقدس تمييزا أيضا فى الوظائف والعمل لأن الكتاب يعلم ان الآب يرسل الابن ، وان الآب والابن يرسلان الروح القدس — ولم يذكر ان الابن يرسل الآب ولا أن الروح القدس يرسل الآب أو الابن . مع ان الآب والابن والروح القدس واحد فى الجوهر ومتساوون فى القدرة والمجد .

٦ — ان بعض اعمال اللاهوت تنسب فى الكتاب المقدس الى الآب والابن والروح القدس مثل خلق العالم وحفظه . وبعض الاعمال تنسب على الخصوص الى الآب مثل الاختيار والدعوة ، وان بعض الأعمال تنسب خصوصا الى الابن مثل الفداء ، وبعض الاعمال تنسب خصوصا الى الروح القدس مثل التجديد والتقديس .

٣ — مصدر عقيدة الثالوث :

ان تعليم التثليث لا يوجد مثله فى كل الخليقة ومصدره الوحيد هو الاعلان الالهى فى الكتاب المقدس شأنه فى ذلك شأن بعض التعاليم الاخرى كالتجسد والكفارة وحلول الروح القدس فى المؤمنين ، وكلها اسرار يعجز العقل البشرى عن ادراكها لأنها تفوق العقل وان لم تكن مضادة للعقل .

وقد ظن البعض ان هناك تعاليم مشابهة للثالوث فى بعض النظريات القديمة مثل اعتقاد فلاسفة الهنود فى الاله برهم الذى يقولون عنه انه جوهر الهى بسيط غير شاعر بنفسه خال من الصفات صدر عنه ثلاثة آلهة تنوب عنه وتفوق غيرها من الالهة مقاما واسم الأول براهما وهو الخالق اصل كل شىء، واسم الثانى وشنو وهو الحافظ لكل شىء واسم الثالث شيوا وهو المخرب — كما قال البعض ان فى تعاليم افلاطون افتراضات عقلية من جهة الله تشبه قليلا لفظا لا معنى . تعاليم الكتاب عن الثالوث . لكن كل هذه الآراء لا تطابق تعليم الكتاب المقدس ولا تفسره ولا تؤيده .

فالمصدر الوحيد كما ذكرنا لتعليم الثالوث هو كلمة الله — ولا يعيب هذه العقيدة غموضها وعدم ادراك العقل لها أولا لسموها ثانيا لأن اللغة البشرية قاصرة عن ايضاح اسرارها ، ثالثا لقصور العقل البشرى نفسه ولكن لا يصح أن نرفض هذه العقيدة لسبب صعوبة فهمها .

وكتاب أسفار الكتاب المقدس اقروا بأن فى تعاليمهم واعلاناتهم اسرارا غامضة لا تدرك ، وقالوا ذلك صراحة .

كقول موسى : « السرائر للرب الهنا والمعلنات لنا ولبنينا » (تثنية ٢٩ : ٢٩) .

وقول بولس : « لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ .. لأننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز .. لأننا نعرف بعض المعرفة » (١ كو ١٣) .

وقول بطرس عن رسائل بولس : «ان فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب ايضا لهلاك أنفسهم » (٢ بط ٣ : ١٦) .

وقول بولس : « ما ابعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » (رومية ١١ : ٣٣) . « ان الانسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة لأنه انما يحكم فيه روحيا » (١ كو ٢ : ١٤) .

وما دام الامر كذلك ، ومادمنا نقبل كلمة الله باعتبارها القانون الوحيد المعصوم للايمان والأعمال ، لذلك يليق بنا ، ويكفى لنا أن نبرهن من الكتاب المقدس على أقنومية الابن ولاهوته ، وعلى أقنومية الروح القدس ولاهوته ، ثم نتأمل فى النصوص والألفاظ التى تثبت تعليم الثالوث فى الكتاب المقدس والتى ورد فيها ذكر الأقانيم الثلاثة معا .

٢ ــ اثبات لاهوت الابن :

١ ــ لقد نسبت الألقاب الالهية أو أسماء الله الى الابن ــ والشواهد على ذلك كثيرة ، منها « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) .

« فأجاب توما وقال له ربى والهى » يو ٢٠ : ٢٨ .

« لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » أ ع ٢٠ : ٢٨ .

« ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الها مباركا الى الابد» رو ٩ : ٥ .

« وأما عن الابن كرسيك يا الله الى دهر الدهور » عب ١ : ٨ .

« ونعلم أن ابن الله قد جاء واعطانا بصيرة لنعرف الحق . ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الاله الحق والحياة الأبدية » ١ يو ٥ : ٢٠ .

٢ ــ لقد نسبت الكمالات الالهية الى الابن فى الكتاب المقدس ومنها :

الازلية « هذا كان فى البدء عند الله » يو ١ : ٢ .

« قبل أن يكون ابرهيم أنا كائن » يو ٨ : ٥٨ .

« مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » يو ١٧ : ٥ .

« انا هو الالف والياء ، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء » رؤ ١ : ٨ .

وعدم التغير :

« وأما عن الابن .. أنت يا رب فى البدء أسست الأرض والسموات هى عمل يديك . هى تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تنتهى » عب ١ : ٨ ــ ١٢ .

« يسوع المسيح هو هو امسا واليوم والى الابد » .
عب ١٣ : ٨

وحضوره فى كل مكان :

« لانه حيث اجتمع اثنان او ثلاثة باسمى فهناك اكون فى وسطهم »
مت ١٨ : ٢٠ .

« وليس احد صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء » (يو ٣ : ١٣) .

وعلمه بكل شىء :

« ليس احد يعرف الابن الا الآب . ولا احد يعرف الآب الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له » . متى ١١ : ٢٧ لو ١٠ : ٢٢

« لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لانه كان يعرف الجميع . ولانه لم يكن محتاجا ان يشهد احد عن الانسان لانه علم ما كان فى الانسان » .
يو ٢ : ٢٤ ، ٢٥

وقوله لملائكة الكنائس : « أنا عارف أعمالك » رو ٢ : ١٣ ، ١٩ .

وقدرته غير المحدودة :

« حامل كل الاشياء بكلمة قدرته » عب ١ : ٣ .

« الرب القادر على كل شىء » رؤ ١ : ٨ ، رؤ ١١ : ١٧ .

كل هذه الكمالات الالهية منسوبة الى الابن ، وبما ان صفات الله هذه غير منفصلة عن الجوهر الالهى ، فينتج بالضرورة ان المسيح اله .

٣ ـــ ولقد نسبت الأعمال الالهية الى المسيح مثل :

الخلق :

« كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » يو ١ : ٣ .

« فانه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى . . الكل به وله قد خلق » . كو لوسى ١ : ١٦ .

والعناية بالكائنات :

« دفع الى كل سلطان فى السموات وعلى الأرض ... وها انا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر » متى ٢٨ : ١٨ ، ٢٠ .

« الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل » كو لوسى ١ : ١٧ .

وصـنع المعجزات :

« لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضـا يحيى من يشـاء » يو ٥ : ٢١ .

« لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الاعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى » يو ٥ : ٣٦ .

والدينونة :

« لأن الآب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن » يو ٥ : ٢٢ .

« ومتى جاء ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معـه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض » متى ٢٥ : ٣١ ، ٣٢ .

« لأنه لابد اننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا » ٢ كو ٥ : ١٠ .

٤ ـ ولقد أمر الكتاب الناس بتقديم العبادة والسجود للمسيح وهـذه لا تحق الا لله وحده وهذا دليل على أن المسيح هو الله .

« لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب » يو ٥ : ٢٣ .

« فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب يسوع أقبل روحى . ثم جثا عى ركبتيه وصرخ بصوت عظيم أيها الرب يسوع اقبل روحى » أ ع ٧ : ٥٩ ، ٦٠ .

« متى أدخل البكر الى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله » عب ١ : ٦ .

هذا قليل من كثير ، فان الكتاب المقدس بكل اسفاره يشهد بلاهوت المسيح ، لأن الذى له القاب الله ، وصفات الله ، وأعمال الله ، واكرام الله، وعباده الله ، وعرش الكون والقدرة والبركة والسلطان والمجد الى ابد الدهور وهو مصدر الحياة والنور والحكمة ، لا يكون غير الله .

اما وقد اوضحنا لاهوت المسيح ، فانا نقول انه فى نفس الوقت تتميز شخصية الآب عن شخصية الابن وهذا هو معنى الأقنومية ، التمييز مع اتحاد الجوهر ، ففى كل الآيات التى ذكرناها وفى غيرها قيل عن الابن انه مرسل من الآب ، وانه جاء منه ، ويرجع اليه ، ويقبل منه وصية ويفعل ارادته ، ويحبه ، ويحب منه — واستخدام الضمائر أنت ، وهو ، وانا يدل على أن اقنومية الابن ، تتميز عن اقنومية الآب أى أنهما شخصيتان متميزتان .. مع وحدة الجوهر ، وهذا هو السر العجيب .

٣ — اثبات لاهوت الروح القدس وأقنوميته .

من المسائل الهامة التى جرى فيها البحث فى شأن الروح القدس مسألتان :

الأولى : هل الروح اقنوم الهى أى شخصية متميزة أو هو عبارة عن قوة الهية تظهر فى اجراء أعمال الله الروحية .

والثانية : اذا كان الروح القدس اقنوما فهل هو أزلى غير محدود أم هو محدث غير محدود — او بالاجمال هل هو اقنوم الهى أم لا .

ومن الضرورى أن نثبت أقنومية الروح القدس أولا لأن البعض يتصورون أنه قوة أو تأثير وبذلك ينهار ركن من أركان تعليم الثالوث .

١ — الدليل على أقنومية الروح القدس :

وكل الادلة كما أسلفنا من نصوص كلمة الله ، وهى الاعلان الالهى للحق السماوى :

(أ) استعمال الضمائر المختصة بالذوات العاقلة فى الأصل اليونانى عند الكلام عن الروح القدس . ومن هذا القبيل استعمال ضمير المذكر العاقل له فى كلامه عن نفسه وفى كلام الغير عليه .

جاء فى سفر الأعمال « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه » (أع ١٣ : ٢). وقول المسيح انه أرسله وقوله « متى جاء المعزى الذى سأرسله انا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى (يو ١٥ : ٢٦) . انظر أيضا (يو ١٦ : ١٣ ، ١٤) .

(ب) الأفعال المنسوبة اليه الدالة على الصفات الذاتية والتى تدل على أن المتصف بها كائن عاقل ذو مشيئة وادراك وقدرة ومحبة . مثل :

(الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله » (١ كو ٢ : ١٠ ، ١١) .

« فهو يعلمكم كل شيء » (يو ١٤ : ٢٦) .

ومما يدل على مشيئته « هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء (١ كو ١٢ : ١١) — ومما يدل على محبته قول الرسول بولس « فأطلب اليكم أيها الاخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معى فى الصلوات » (رو ١٥ : ٣٠) ومن هذا القبيل ما يدل على أنه يقاوم ويحزن ويغاظ الخ (مت ١٢ : ٣٠ ، ٣٢ ، أع ٥ : ٣ ، ٤ ، ٩ ، ٧ : ٥١ ، اف ٤ : ٣٠) .

(ج) الأفعال المنسوبة الى الروح القدس تدل على الأعمال الخاصة بالذوات العاقلة فقيل فى الروح انه يدين ، ويشهد ، ويعلم ، ويرشد ، ويمنح مواهب للبشر ، ويوبخ ، ويمجد ، ويحيى ، ويحزن ، ويغاظ ، ويرضى .

٢ — الادلة على لاهوت الروح القدس :

١ — انه دعى الله ونسب اليه ما نسب الى الله . فكثيرا مما نسب فى العهد القديم الى الله مثل دعوة الله لاشعياء (اش ٦ : ٨ ، ٩) وقطع عهد مع بيت اسرائيل (ار ٢١ : ٣١ — ٣٤) نسب هو نفسه فى العهد الجديد الى الروح القدس ، فقال بولس « حسن كلم الروح القدس آباءنا باشعياء النبى (أ ع ٢٨ : ٢٥ ، ٢٦) — وقيل عن الاسرائيليين انهم جربوا الرب (مز ٩٥ : ٨ — ١١) وأشار استفانوس الى نفس العمل بأنه مقاومة للروح القدس (أع ٧ : ٥١) .

وقال بطرس لحنانيا « لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ثم قال له « أنت لم تكذب على الناس بل على الله » (أ ع ٥ : ٣ ، ٤) .

وغير ذلك من الشواهد كثير .

٢ ــ نسبة الصفات الالهية اليه ــ مثل العلم بكل شيء والهامه الأنبياء وارشاده الرسل وفحصه أعماق الله (اش ٤٠ : ١٣ ، نح ٩ : ٣٠ ، ١بط ١ : ١١ ، ٢بط ١ : ٢١ ، يو ١٦ : ١٣ ــ ١٥ ، ١كو ٣ : ٩ ــ ١١) .

وانه قادر على كل شيء مثل الآيات التي تشير الى اشتراكه في خلق العالم وفي الخلق الروحي واعطائه المواهب الروحية (تك ١ : ٢ ، أي ٣٣ : ٤ ، زك ٤ : ٦ يوئيل ٢ : ٢٨ ، ٣٢ ، يو ٣ : ٥ ؛ أع ٢ : ٤ ، ١٦ ــ ٢١ ، مت ١٢ : ٢٨ ، رو ١٥ : ١٩ ، ١كو ١٢ : ٨ ، ١١) وانه حاضر في كل مكان كما يتضح من الآيات التي تدل على سكنه في كل مؤمن ، ومكوثه في الكنيسة الى الأبد (١كو ٦:١٩ ، يو ١٤ : ١٦ ، ١٧) .

٣ ــ نسبة أعمال الله اليه مثل الاشتراك في خلق العالم (تك ١ ــ ٢) والهام الأنبياء (حز ١١ : ٥ ، ١بط ١ : ١١ ، ٢بط ١ : ٢١) والقدرة على اقامة الأموات (رو ٨ : ١١) وتجديد القلب (يو ٣ : ٥) والانباء بالمستقبل (يو ١٦ : ١٣) وانارة قلوب البشر ومنحهم مواهب روحية (أف ١ : ١٧ ، ١٨ ، ١كو ١٢ : ٧) وتقديس المؤمنين (٢تس ٢ : ١٣) .

٤ ــ اعطاؤه الكرامة التي تحق لله وحده مثل العبادة (مت ٢٨ : ١٩) « عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » ــ ووجود اسم الروح القدس في البركة الرسولية مع الآب والابن (٢كو ١٣ : ١٤) وقول بولس الرسول « لأن به (بالمسيح) لنا كلينا قدوما في روح واحد الى الآب (أف ٢ : ١٨)» .

٣ ــ كيف يكون الروح القدس هو الله ويعطي ويسكب على البشر من الله ؟ .

الجوهر الالهي واحد ، والاقانيم ثلاثة وهم متساوون في القدرة والمجد، غير أن بينهم امتيازا في نصيب كل منهم في عمل الفداء ، فنرى أن الآب أرسل الابن ، وأن الآب والابن أرسلا الروح القدس . وأن الابن أكمل مشيئة الآب وقدم نفسه ذبيحة لايفاء العدل الالهي ، وأن نصيب الروح القدس من عمل الفداء هو انارة البشر وتبكيتهم على الخطية وتجديدهم وتقديسهم ، لذلك دعى عهد الانجيل بأنه « خدمة الروح » (٢كو ٣ : ٨) وذلك لأهمية عمله في نظام الانجيل .

لكن هذا لا يمس شأن الأقانيم ولا ينفى الوهية احد منهم ولا اشتراكه في الجوهر الالهى الواحد .

اما ما جاء فى شأن اعطاء الروح القدس وسكبه فهو مجازى يدل على ما يحدثه الله فينا بواسطته من الأعمال الالهية بحلوله فى قلوبنا ، وهو يشبه قول بولس الرسول البسوا الرب يسوع المسيح اى تشبهوا به وقوله لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح (غل ٣ : ٢٧) .

٤ ــ بعض الاشارات الى الثالوث فى الكتاب المقدس :

لم يرد تعليم التثليث فى الكتاب المقدس جملة واحدة بالتصريح بل فى آيات متفرقة ، غير أن جوهر هذه العقيدة منصوص عليه من أول الكتاب الى آخره مثل :

١ ــ وجوده فى الاعلانات المتتابعة وانجلاؤه بالتدريج ففى سفر التكوين تلميحات الى تعليم التثليث لا تفهم تماما الا بنور اعلانات جاءت بعدها مثل ورود اسم الله فى العبرية بصيغة الجمع (الوهيم) وكذلك الضمائر التى تعود على هذا الاسم فى هذا السفر مثل « نصنع الانسان على صورتنا » (تك ١ : ٢٦ ، ٣ : ٢٢ ، ١١ : ٧ ، أش ٦ : ٨) .

« هوذا الانسان قد صار كواحد منا » .

« من أرسل ومن يذهب من أجلنا » .

وقد يقول البعض ان كلام المتكلم بصيغة الجمع نوع من التعظيم كما يتكلم الملوك لكن علماء اللغات القديمة وضحوا ان تلك العادة لم تعرف فى القديم بين ملوك الشرق ، ويؤيد ذلك انه لا يوجد فى العهد القديم مثال له فى كلام الملوك .

فمثلا قال فرعون ليوسف « قد جعلتك على كل أرض مصر » (تك ٤١ : ٤١ وقول نبوخذ نصر « صدر منى أمر .. » (دا ٤ : ٦) .

٢ ــ نجد فى أسفار الكتاب المقدس الأولى تمييزا بين يهوه وملاك يهوه وأن لملاك يهوه (الذى يشير الى المسيح) القابا الهية ومن أسمائه أيضا الكلمة والحكمة وابن الله وانه ابن داود ورب داود (تك ٣١ : ١١ ،

١٣ ، ٤٨ : ١٥ ، ١٦ ، مز ٤٥ : ٦ ، ٧ ، مز ١١٠ : ١ ، ٢ ، أش ٩ : ٦ ، ٤٤ : ٦ ، ٧ ، ٢٤) .

٣ — ألفاظ الصورة الموضوعة للمعمودية فقد أمر السيد المسيح أن يعمد المؤمنون باسم الآب والابن والروح القدس وهذا يدل على اقنومية كل منهم ومساواتهم .

٤ — البركة الرسولية وهى طلب نعمة المسيح من المسيح ، ومحبة الآب من الآب ، وشركة الروح القدس من الروح القدس .

٥ — ظروف معمودية السيد المسيح فحين تعمد خاطبه الآب وحل عليه الروح القدس مثل حمامة .

٥ — فائدة تعليم التثليث فى ايضاح التعاليم المسيحية :

١ — ان تعليم التثليث يرفع من شأن اللاهوت ويوضح كمالاته ، فالتوحيد دون التثليث يحصر اللاهوت ويجعله فى غاية الانفراد بل فى غاية الجمود . فلو قلنا ان الله محبة ، فمعنى ذلك أن الله يحب — لكن الله أزلى، وسائر المخلوقات وقتية لم تكن عند الله منذ الأزل ، فكأنما صفة المحبة لم تكن عاملة بل عاطلة عند الله منذ الأزل ، وحاشا ان يكون عند الله صفة معطلة ولو قلنا ان الله يحب نفسه فليس فى محبة النفس لوازم السعادة التامة — ولكن عندما ندرك تعليم التثليث نعرف أن الآب يحب الابن والابن يحب الآب، وهذا منذ الأزل — وهكذا فى موضوع أن الله متكلم ، فاذا لم يكن هناك تعليم التثليث فمن كان يكلمه الله .

لكن فى تعليم التثليث نرى فى مشاورة الأقانيم الثلاثة واتحادها ومحبة أحدها للآخر ما يجعل فى اللاهوت كل مقتضيات السعادة الأزلية وبدون هذا التمييز الأقنوتى لا يكون لله سوى المخلوقات لتكون موضوع المحبة والعشرة مع اللاهوت ، وبذلك يكون منكرو التثليث يفترضون ضرورة وجود مخلوقات لكمال سعادة اللاهوت أو أن الله لم يكن وحده منذ الأزل أو أن العالم أزلى — وهذا خلاف تعليم الكتاب .

٢ — ان التثليث وسيلة اعلان الله نفسه للخليقة فكل من الآب والابن والروح القدس اله من جوهر واحد فالابن يعرف الله كمال المعرفة ولذلك

يقدر ان يعلنه بكماله بنـــاء على معرفته التامة ، وكذلك الروح القدس من جوهر اللاهوت ولذلك يقــدر أن يعلن اللاهوت لأرواح البشر ، بواســطة الأقانيم الثلاثة يقترب اللاهوت تمام الاقتراب الى المخلوقات المحدودة ، ولولا هذا الاقتراب كان الله بعيدا عنا محجوبا عن ادراكنا منفصلا عن اختبارنا ، ولم يكن للدين المسيحى ما يمـيزه عن غيره من الأديان فى وضــوح اعلانه اللاهوت وبيانه الصفات الالهية لقلوب البشر .

٣ ـــ ان التثليث وسيلة الى اتمام الله عمل الفداء بكل لوازمه ، فالابن تجسد واعلن وكفر وشفع فينا ورتب كل وسائط التبرير والمصالحة ، والخلاص وذلك لا يمكن لمن هو أدنى من الله نفسه ، لأن الله وحده يقدر أن يصالحنا مع الله ـــ وكذلك يقال فى عمل الروح القدس فانه وحــده يقدر أن يجدد قلوبنا ويطهرنا وينير عقولنا ويقربنا روحيا من الله ويقدسنا التقديس اللازم للدخول الى حضرة الله ـــ وهذا عمل لا يعمله الا الله ـــ فلو كان الله واحدا بمعنى ينفى التثليث لم يصح أن يكون مخلصا ومقدسا وقاضيا معا على كيفية تتم فيها كل لوازم فداء الخاطىء من لعنة الشريعة وافساد الشر والهلاك الروحى .

٤ ـــ ان التثليث يجعل الله مثالا للحياة البشرية فيما يتعلق بالمعاشرة الحبية والألفة الأهلية وذلك بمعاشرة الأقانيم الثلاثة معــا بالمحبة والألفة والاتحاد . فنرى حقيقة الابوة فى الأقنوم الاول ، والنبوة فى الأقنوم الثانى ، وفى هذه النسبة الخطيرة المتبادلة مايرفع شأن النسبة الأبوية والنسبة البنوية بين البشر، ويقدرنا على التمثل بحياة اللاهوت ، ويميز جنسنا عن غيره من الخلائق تمييزا ســاميا ـــ فلو جردنا اللاهوت من كل شــعور بالمحبة للغير جعلناه قوة مجردة وسلبناه صفة الالفة الحبية الا فيما يتعلق بالمخلوق الاقل شأنا منه ، وافرزناه عما هو أعلى خواص حياتنا أى محبة بعضنا لبعض .

٦ ـــ الرد على الاعتراضات التى يظنون أنها تجعل اقنوما غير متساو مع الآخر .

١ ـــ تبدو بعض الآيات كأنها تظهر أن الابن اقل شأنا من الآب مثل :

ابى أعظم منى (يو ١٤ : ٢٨) .

انا لا أقدر أن افعل من نفسى شيئا (يو ٥ : ٣٠) .

الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى (يو ١٤ : ١٠) .

والواقع ان هذه الآيات وغيرها لا تشير الى طبيعة الابن بل الى وظيفته في عمل الفداء ، وفي هذا هو خادم للآب ، ونائب عن البشر في حمل خطيتهم ذلك لانه أخلى نفسه من مجده .

وبهذه الصفة تقلد المسيح سلطانا معينا حتى يتمم عمل الفداء ، ثم يسلم الملك لله الآب .

٢ ــ كذلك توجد آيات اخرى تفيد بأن الله «سيعطى الروح القدس» أو « يسكب الروح القدس » ممــا جلعت البعض يشكون في أقنومية الروح القدس ، على اننا يجب أن نفهم هذه الأقوال مجازيا للدلالة على نوالنا فوائد الروح وقوته وليس فيها دليل على أن الروح أدنى مرتبة من الآب والابن ــ كما لا نفهم من قــول الكتاب « البسوا المســيح » ان اللابس أعظم من الملبوس .

٧ ــ النسبة بين الآب والابن :

يصف الكتاب المقدس هــذه النسبة بنســبة ابن الى ابيه ــ وتوجد طريقتان لايجاد هذه النسبة هما الولادة والتبنى ــ والبشر يصيرون أبنــاء الله بالتبنى في عائلة الله وبالولادة الجديدة بروحه القدوس ، وهــذه العلاقة تختلف عن النسبة بين الأقنوم الأول والثانى ، فان هذه النســبة صارت بما يسمى « الولادة الأزلية » وهو تعبير لا يدل على ما يفهمه البشر من كلمة « ولادة » ولا يدل على أن الآب أوجد الابن في زمان من الأزمنة الأزلية أو أن الآب علة وجود الابن ــ بل يراد بهذا التعبير ذلك الفعل الأزلى الذى به يلد الآب منذ الأزل اقنومية الابن لا جوهره وذلك من التزام الطبيعة الالهية ليس باختيار الارادة وبذلك يكون الابن رسم جوهر الآب منذ الأزل ويدوم في الآب والآب فيه منذ الأزل ، لذلك يعرف في قانون الايمان النيقوى بأنه (مولود غير مخلوق) .

ان نسبة الابن الى الآب تتضمن المشابهة في الطبيعة والمحبة المتبادلة ووراثة الابن للآب ــ أما علاقة البشر كأبناء الله بالله فيقصد بها أنهم مولودون منه بروحه ونامون في شبهه ونائلون انعاماته .

فان كنتم للمسيح فأنتم اذا نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة (غل ٣ : ٢٩) ..

« طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون . أحبوا اعدائهم ...
لكى تكونوا ابناء ابيكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ٩ ، ٤٤ ، ٤٥) .

٨ — نسبة الروح القدس الى الآب والابن :

يسمى الأقنوم الثالث « الروح » دليلا على نسبته الى الآب والابن وكيفية فعله فى الخليقة . أى أن **الروح** تسمية لأقنوميته لا لكون الجوهر السرمدى الذى يعم الثلاثة الأقانيم هو روح .

ويسمى « الروح القدس » ليس لكونه يمتاز بقداسته عن الأقنومين الأول والثانى بل اشارة الى نوع فعله لأنه هو مصدر القداسة فى كل الخليقة. فكما أن الابن يسمى بـ « الكلمة » لكونه الاله المتكلم ، كذلك الروح تسمى « الروح القدس » لكونه الفاعل فى القداسة .

وتعتقد بعض الطوائف أن الروح القدس منبثق منذ الأزل من الآب فقط اى أن نسبة الروح القدس الى الآب تتميز نوعا عن نسبته الى الابن .

لكننا كانجليين نعتقد أن الروح منبثق من الآب والابن معا أى لا يوجد تمييز بينهما .

ومن الشواهد على صحة ذلك :

(يو ١٥ : ٢٦) ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى .

بمقابلته مع (يو ١٤ : ٢٦) « واما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء » .

(يو ١٦ : ٧) « لأنه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن ان ذهبت ارسله اليكم » .

(غل ٤ : ٦) « ثم بما انكم ابناء ارسل الله ابنه الى قلوبكم صارخا يا ابا الآب » .

(رو ٨ : ٩) ولكن ان كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له »

(فى ١ : ١٩) « ومؤازرة روح يسوع المسيح » .

(١ بط ١ : ١١) « أو ما الوقت الذى يدل عليه روح المسيح الذى فيهم » .

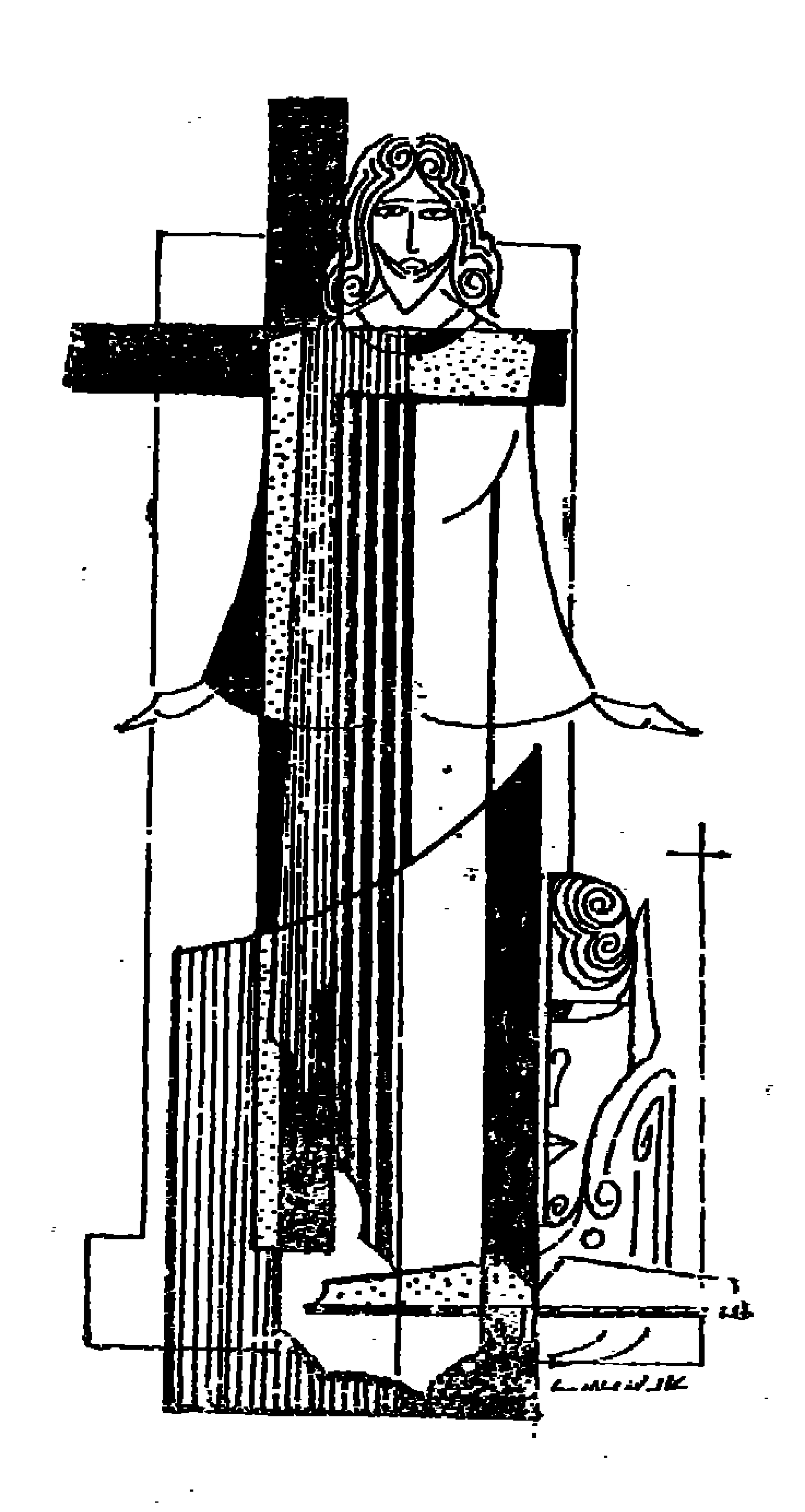
وكما أن الله الابن هو المنظور والمتكلم فىعمل الفداء وفى كل فعل اللاهوت فى الخليقة .

كذلك الله الروح هو الأقنوم الذى يفعل فى الخليقة سيما فى الخطاة تجديدا لقلوبهم وتقديسا لهم.

ان عقيدة الثالوث من أهم العقائد فى المسيحية لأن الناس لا يعرفون الله الا بالابن ، ولا يختارون الا بالاب ، ولا يتقدسون الا بالروح القدس ، وهكذا نرى أن عمل الفداء تأسس على الثالوث الأقدس ، فليس للناس تبرير ولا تقديس ولا تبنى ولا كفارة ولا شفاعة الا من وجود الثلاثة الاقانيم ، لذلك فعند دخول الانسان فى الكنيسة المسيحية يطلب منه الاقرار بالاعتقاد بالثالوث الأقدس حسب قول الرب « تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

٦

المخلـــص



فى دراستنا السابقة من كتاب الله ، وهو القانون الوحيد المعصوم للايمان والأعمال ، رأينا كيف ان الجنس البشرى كله سقط وفسدت طبيعته ، وكيف أن الله بنعمته المتفاضلة دون استحقاق من البشر ، قد رتب طريقا للخلاص .

ونحن الآن نتجه بأنظارنا الى هذا المخلص .

أولا

من هو المخلص

عند ميلاد يسوع فى قرية بيت لحم منذ نحو ألفى عام ، ظهر ملاك الرب لجماعة من الرعاة وقال لهم : « لا تخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو ٢ : ١٠ ، ١١) .

ونحن نلاحظ أن كل طفل يولد لأسرته ، لكن يسوع ولد لجميع الشعب، لذلك يقول الملاك : « ولد لكم » . وهــذا تحقيق للنبوة القديمة الواردة فى اشعياء النبى : « الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور . . لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا الها قديرا أبا أبديا ، رئيس السلام» (اش ٦ : ٢ ، ٩) .

هذا هو المخلص الوحيد ، الذى قال عنه بطرس بالروح القدس ، وهو يشهد له أمام رؤساء اليهود : « انه باســم يسوع المســيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم الذى أقامه الله من الاموات . بذاك وقف هذا (يشــير الى الأعرج الذى شفى) أمامكم صحيحا . هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيهــا البناؤون الذى صار رأس الزاوية . وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٠ — ١٢) .

اذا ففى تدبير الله ومقاصده الأزلية ، أن يكون يسوع الناصرى ، هو مسيح الرب . مخلص البشر . لذلك نرى أن الكتاب المقدس كله بعهديه يجد مركزه ومحوره فى شخص هذا المخلص .

ثانيا

يسوع المسيح موضوع الكتاب المقدس

ونستطيع أن نضيف الى الحقائق التى درسناها عن الكتاب المقدس . هذه الحقيقة التى تؤكد صحة الكتاب المقدس ، وفى نفس الوقت تشهد ليسوع انه موضوع الكتاب المقدس .. فهذا الكتاب الذى كتبه عشرات الأفراد ؛ فى مئات من السنين ، يدور حول يسوع ، من سفر التكوين الى سفر الرؤيا ..

فالعهد القديم يقدم لنا تاريخ أمة ... والعهد الجديد يقدم لنا تاريخ انسان خرج من هذه الأمة ..

والعهد القديم يشير بنبواته اليه ، والأناجيل تتحدث عن حياته على الأرض ، وسفر الأعمال يروى تاريخ الكنيسة التى وضع بذورها ، والرسائل تشرح تعاليمه ، وسفر الرؤيا يتحدث عن ملكه فى المستقبل .

يبدأ الكتاب المقدس بوعد الله بخلاص الجنس البشرى الذى سقط بخطية آدم . وطريقة ذلك الخلاص حسب وعد الله ستكون بوساطة « نسل المرأة» الذى سوف « يسحق رأس الحية » التى تشير الى الشيطان . ثم وعد الله ابرهيم انه « فى نسله تتبارك جميع قبائل الأرض » ، وكان يشير الى المسيح ثم تأسست الامة اليهودية التى قصد الله أن يجىء المسيح منها ، ثمتوالت النبوات عنه وعن عمله ، فكان انتظاره رجاء كل اليهود ثم زادهم اشتياقا ما لاقوه من آلام عندما توالت الهزائم على امتهم ، فكانوا ينتظرون « المسيا المنتظر » .

وفى « ملء الزمان » .. فى الوقت المعين جاء يسوع المسيا الى العالم ، متجسدا فى بطن مريم العذراء ، لكنه جاء فى صورة متواضعة غير تلك التى كان اليهود يتوقعونها ، فقد كانوا يظنون أن المسيا سيأتى فى صورة ملك ذى سلطان سياسى عظيم ، لكن يسوع كان يفكر ويسعى لانشاء ملكوت سماوى روحى ، وهكذا وقع الخلاف بين اليهود وبين يسوع ، فرفضوه ، واشتكوا عليه ، واسلموه ليد بيلاطس البنطى الوالى الرومانى ، فصلبه ، ودفنوه .. لكنه انتصر على الموت وقام فى اليوم الثالث من بين الأموات ، وبعد أربعين يوما صعد الى السماء بعد ان طلب من تلاميذه ان ينشروا انجيله فى كل الأرض ..

وهكذا سارت الكنيسة المسيحية فى العالم تنشر الانجيل ، وتعانى أحيانا آلام الاضطهاد ، لكنها نمت وتكاثرت .

ثالثـــا

كيف نتحقق ان يســوع هو المســيا

كلمة « مسيا » لفظ عبرانى معناها المسيح او الممسوح من الله ، وقد نشأ هذا اللقب من عادة اليهود أن يمسحوا أنبياءهم وملوكهم وكهنتهم بالدهن لتكريسهم لوظائفهم . وقد كان يطلق على الملوك بنوع خاص لفظ « مســيح الرب » . وقد صار هذا اللقب فيما بعد قاصرا على الفادى المنتظر لخلاص شعبه ..

ومن يدرس الكتاب المقدس بعقل متفتح للفهم ، دون تحيز أو هوى ، يستطيع أن يتحقق بتأكيد قاطع ان المسيا الموعود به لليهود ، جاء فعلا فى شخص يسوع الناصرى الذى ولد فى بيت لحم ، وعاش وصلب وقام وصعد الى السماء فى مستهل القرن الأول الميلادى . ذلك لأن نبوات الكتاب المقدس صريحة وقاطعة ومتعددة ، وتصف لنا شخص المسياوصفاته وآلامه وأعماله قبل مجيئه بآلاف ومئات السنين ، كأنها تصف حقيقة قد حدثت فعلا .

وسنذكر بعض النبوات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

١ ـــ النبوات عن الاسرة التى يولد منها المسيح :

وقد تعينت هذه الأسرة فى العهد القديم بالتدريج .

(أ) قال الله للحية : « واضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نســلك ونسلها . هو يسحق رأسك وانت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) . وهذا يبين أن الحرب بين الانسان والشيطان لم تنته ، وأن الغلبة فى النهاية لنسل المرأة .

(ب) ثم حصر هذا النسل فى بيت ابرهيم بقول الله :

« ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨) ، وتجدد هذا الوعد لاسحق بن ابرهيم عندما قال الله له : « وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض (تك ٢٦ : ٤) . ثم حصر هذا الوعد فى نسل يعقوب بن اسحق

إذ قال الله له : « وتبارك فيك وفى نســلك جميع قبائل الأرض » (تك ٢٨ : ١٤) .

(جـ) وتخصص الوعد فى سبط يهوذا عندما بارك يعقوب أولاده بقوله ليهوذا : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) . ثم حصر الوعد فى نســل داود الملكى ، وذلك بنبوات كثيرة منها نبوة اشعياء « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب » (اش ١١ : ١ ، ٢) . ونبوة ارميا « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض .. وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب برنا » (ار ٢٣ : ٥ ، ٦) . وقد كان الاعتقاد عند اليهود أن المسيح سيكون من بيت داود ، ومن ألقابه « ابن داود » ، ولذلك لمــا سأل يسوع الفريسيين : « ماذا تظنون فى المســيح . ابن من هو . فقــالوا له ابن داود » (متى ٢٢ : ٤٤) .

ومما يجــدر بالذكر أن الله رتب أن يحتفظ اليهود بسلسلة أنســابهم والأسباط التى ينتمون اليها حتى فى وقت السبى ، واندثرت هذه السلسلة بعد خراب أورشليم عام ٧٠ الميلادى ، لأن الغرض منها كان تأكيد أن يسوع من نسل داود حسب الجسد ، وقد انتهى هذا الغرض بمجىء المسيح .

٢ ـــ النبوات عن مكان ميلاد المسيح وكيفيته وظروفه :

وقد كانت النبوات أن المسيح يولد فى بيت لحم ، فقد تنبأ ميخا قبــل ميلاد المسيح بسبعمائة سنة قائلا : « أما أنت يا بيت لحم افراته وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (ميخا ٥ : ٢) . وقد أقر رؤساء اليهود أن المسيح سيولد فى بيت لحم عندما ســألهم هيرودس الملك (متى ٢ : ٥) .

كما سبق اشعياء وتنبأ عن ميلاد المسيح من عذراء بقوله : « ولــكن يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد ابنــا وتدعــو اســمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) .

كما تنبأ اشعياء وملاخى بأن الله سيرسل نبيا ليعد أمامه الطريق ، فقال اشعياء « صوت صارخ فى البرية اعدوا طرق الرب . قوموا فى القفر سبيلا لالهنا » (اش ٤٠ : ٣) . وقال ملاخى : « هأنذا أرسل ملاكى فيهىء الطريق أمامى » (ملا ٣ : ١) . وقد تحقق هذا فى يوحنا المعمدان (مت ٣ : ١ ، ٣ — لو ١ : ١٧) .

٣ — النبوات عن عمل المسيح والامه :

وهذه كثيرة نذكر منها :

عن عمله « روح السيد الرب على لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأعصب منكسرى القلب لأنادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق (اش ٦١ : ١) .

وعن دخوله الانتصارى « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون . اهتفى يا بنت اورشليم . هوذا ملكك يأتى اليك . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان (زك ٩ : ٩) .

وعن آلامه نبوات كثيرة أكثرها وضوحا مزمور ٢٢ واشعياء ٥٣ الذى توصف فيه آلام المسيح وصفا تفصيليا كما من شاهد عيان ، وذلك قبل حادثة الصلب بمئات السنين .

ونستخلص من كل هذا أن الله أراد أن يعلن بوضوح أن هذا الآتى هو مخلص العالم من الخطية ، فان التنبؤ بأحداث بهذا الوضوح قبل وقوعها بأزمان طويلة أمر فوق قدرة البشر وذكائهم .

رابعا

ما هو عمل المخلص ؟

عندما ظهر ملاك الله فى حلم ليوسف رجل مريم العذراء قال له « لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢٠ ، ٢١) ومعنى كلمة يسوع بالعبرية هو مخلص وهى نفس كلمة يشوع .

فما هو عمل هـــذا المخلص ؟

١ ـــ جاء المخلص ليعلن الله الآب للبشر ، فكشف لنا طبيعة الله انها محبة . والله محبة ليس لانه أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد فحسب ، بل لأن هناك محبة ازلية بين الآب والابن . قال يسوع : « لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله » (يو ٥ : ٢٠) .

« الله لم يره احد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر» (يو ١ : ١٨) .

والحياة الأبدية هى معرفة الآب والابن . « وهذه الحيـــاة هى الحياة الأبدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ١٧ : ٣) .

٢ ـــ وقد جاء المخلص لكى يكمل الناموس الذى لم يستطع البشر أن يكملوه ، وبذلك يحسب بر الناموس الذى أكمله المسيح برا لكل من يؤمن به ـــ وهذا الحسبان هو من عمل النعمة الالهية ـــ لأن الله لم يكن ملتزما أن يحسب بر المسيح برا لنا ، لكنه رضى بذلك فضلا ونعمة ومحبة .

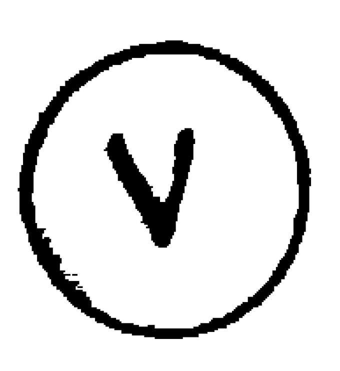
٣ ـــ وقد جاء المخلص ليحمل عن البشر خطاياهم وعقاب الخطية الذى يقتضيه العدل الالهى ، وبذلك يحمل خطية كثيرين ويشفع فى المذنبين .

وفى هذا قال اشعياء بالنبوة : « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملهـــا ونحن حسبناه مصابا مضروبا ومذلولا . وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا .. وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » (اش ٥٣ : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٢) .

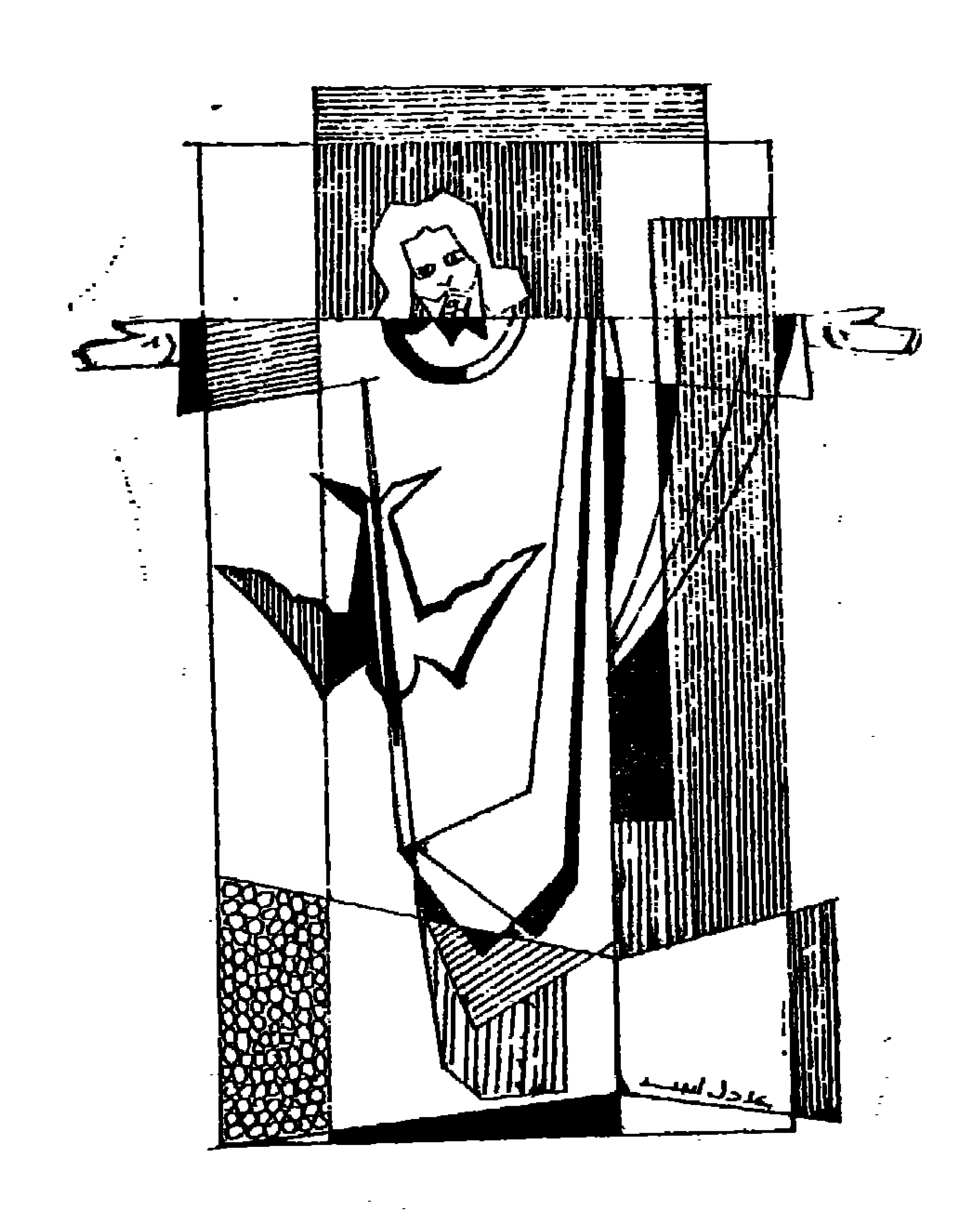
٤ ـــ وقد جاء المخلص ليعلن للبشر مشيئة الله بواسطة كلمته وروحه لأجل خلاصهم .

٥ ـــ وقد جاء المسيح ليخضع البشر لنفسه ويملك عليهم ويحامى عنهم ويقهر أعداءه .

(وهذا ما سـيظهر عند دراستنا للموضوعات المقبلة وهى تجســد المسيح ـــ كهنوت المسيح ـــ كفارة المسيح ـــ ملك المسيح) .



تجسد المسيح



يروى لنا سفر الخروج فى الاصحاح الثالث ، أن موسى وهو يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان ، ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة (وهى نوع من الاشجار) فنظر موسى واذا العليقة تتوقد بالنار ، لكنها لم تكن تحترق. فقال موسى ، اميل لأنظر هذا المنظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة .

ويقول الكاتب بالوحى المقدس : « فلما رأى الرب أنه مال لينظر ، ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى . فقال هأنذا . فقال لا تقترب الى ههنا . اخلع حذاءك من رجليك . لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة . ثم قال : أنا اله أبيك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب . فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر الى الله .. » (خروج ٣ : ٤ — ٦) .

ان ملاك الرب الذى ظهر فى العليقة بلهيب نار انما هو شخص المسيح، وكأنما كان ذلك المنظر العظيم ، منظر النار المتقدة فى العليقة ، ولكنها لاتحرقها، اشارة الى ذلك السر العجيب ، سر التجسد ، واتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص المسيح ، ذلك السر الذى قال عنه بولس الرسول بالوحى : «عظيم هو سر التقوى .. الله ظهر فى الجسد ، بزر فى الروح ، تراءى لملائكة ، كرز به بين الأمم ، أومن به فى العالم ، رفع فى المجد » (اتى ٣ : ١٦) .

ونحن عندما نتناول بالدراسة هذا الموضوع العجيب ، نتقدم الى أرض مقدسة ، ونسمع صوت الله ينادينا « اخلع حذاءك من رجليك ، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » .

فلنخلع شكوكنا البشرية ، وحيرتنا الانسانية ، ولنقر ونعترف بعجزنا عن ادراك أسرار الله العجيبة التى هى فوق ادراك العقل . ولنتقدم بروح الايمان والخضوع لنقبل كلمة الله الصادقة ، التى أعلنها فى الكتاب المقدس.

ونحن عندما ندرس حقيقة تجسد الروح ، لا نحاول أن ندرس براهين عقلية لنقنع بها غير المؤمنين ، وانما نحن ندرس ما جاء فى الكتاب المقدس ، ففى مثل هذه الأمور ينبغى أن الايمان يسبق الفهم والرؤية ، فهذه الأمور لا يمكن تفهيمها للبشر ولا بالبشر ، بل بالايمان نفهم ، ونحن نؤمن أولا ثم يرينا الله ويرشدنا الروح القدس . وقد قال الرب يسوع لمرثا عند قبر لعازر « أن

آمنت ترين مجد الله » (يوحنا ١١ : ٤٠) . فالايمان ينبغى أن يسبق المعرفة .

والعقل والمنطق لا يدعونا ان نرفض كل ما نستطيع ادراكه ، لأن طبيعة الله وصفاته وحكمته لا يمكن ادراكها بالعقل ، فنحن نؤمن بوجود الله وأزليته بوجوده فى كل مكان فى وقت واحد ، وعلمه بكل شىء وبكل ما يحدث منذ الأزل والى الأبد ، وكلها أسرار فوق العقل البشرى ، لكننا نقبلها بالايمان.

فلنأت ، فى خضوع لسلطان كلمة الله قائلين : « أومن يا سيد فأعن عدم ايمانى » (مرقس ٩ : ٢٤) .

وفى هذا البحث ، سنوضح من الكتاب كيف أن يسوع المسيح اله كامل حق . وانسان كامل ، ثم نفكر قليلا فى ضرورة حدوث التجسد بالصورة التى حدث بها .

أولا
المسيح الاله الحق

عندما نتحدث عن التجسد ، نقصد أن ابن الله الوحيد فى ملء الزمان ولد من مريم العذراء بالروح القدس ، وعاش على أرضنا كانسان . ويصف لنا بولس الرسول اتضاع المسيح وتجسده بالقول : « الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس ، واذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » (فيلبى ٢ : ٨ ، ٩) .

لكن هذا الامتناع العجيب ، لا يغير الحقيقة المؤكدة وهى أن المسيح اله تام ، وكما وصفه كاتب الرسالة الى العبرانيين بالقول : « الذى به أيضا عمل العالمين ، الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عب ١ : ٢ ، ٣) .

وكما سبق وذكرنا أننا لا نقصد هنا أن نثبت ما فوق العقل ، لعقل الانسان القاصر ، وأن الايمان بلاهوت المسيح يحتاج الى عمل الروح القدس لاقناع الانسان ، كما ذكر بولس الرسول انه « ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب الا بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣) .

لكننا من شهادة الكتاب المقدس الصادقة الصريحة نستطلع أن نتأكد من هذه الحقيقة . ولسنا نريد أن نحصى كل هذه الادلة ونذكرها ، لكننا نورد

هنا بايجاز شيئا قليلا من ادلة كثيرة على أن يسوع المسيح هو الله . نذكر أربعة انواع من الشهادة : شهادة الكتاب المقدس عنه ، وشهادة المسيح عن نفسه ، وشهادة اعماله عنه ، وشهادة الصفات المنسوبة اليه .

١ — فالكتاب المقدس بجميع أسفاره يشهد بذلك :

فقد ذكر اشعياء بالنبوة ان العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل ومعناها « الله معنا » (اش ٧ : ١٤) — ثم قال فيما بعد « ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا أبديا رئيس السلام » (اش ٩ : ٦) . وفى نبوة ملاخى يقول الله : « ها انا أرسل ملاكى فيهيء الطريق أمامى ويأتى بغتة الى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به » (ملاخى ٣ : ١) . فهنا نرى الله يقول : « يهيىء الطريق أمامى » وبعد ذلك يطلق على هذا الاتى لقب « ملاك العهد » ، وفى العهد الجديد نرى يوحنا المعمدان يشهد عن نفسه أنه يعد الطريق للمسيح ، فقد قال لمن سألوه : « ماذا تقول عن نفسك » عندئذ أجاب : « أنا صوت صارخ فى البرية قوموا طريق الرب » (يوحنا ١ : ٢٢ ، ٢٣) . وبذلك تحقق قول الملاك لزكريا عن عمل يوحنا أنه « يرد كثيرين من بنى اسرائيل الى الرب الههم ويتقدم أمامه بروح ايليا » ، (لوقا ١ : ١٦ ، ١٧) . أى أنه يتقدم أمام الرب الاله . وقد تقدم يوحنا المعمدان أمام المسيح .

لذلك ذكر يوحنا البشير فى مستهل انجيله « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » (يوحنا ١ : ١) . كما ذكر فى رسالته الاولى « ان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الاب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١ يو ٥ : ٧) .

وقد حاول بعض المنحرفين والمضلين أن يشككوا الضعفاء فى هذه الحقيقة بمحاولة تفسير هذه الايات تفسيرا آخر ، أو الاستناد الى عدم وجود بعضها بالصورة الحالية فى النسخ القديمة ، لكنهم يقفون عاجزين أمام قوة الأدلة وكثرتها مثل قول بولس لقسوس الكنيسة : « لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أعمال ٢٠ : ٢٨) . مع أن المسيح هو الذى اقتنى الكنيسة بدمه ، ولو كان المسيح ليس هو الله ، لما صدق هذا القول .

وشرح كاتب الرسالة الى العبرانيين أقوال الله النبوية فى مقارنة أوصاف الملائكة بأوصاف الابن بالقول : « وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته

بهاها وخدامه لهيب نار . وأما عن الابن كرسيك يا الله الى دهر الدهور » (عب ١ : ٧ ، ٨) . وقول يوحنا الرسول : « ونعلم أن ابن الله قد جاء واعطانا بصيرة لنعرف الحق . ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الاله الحق والحياة الابدية » (١ يو ٥ : ٢٠) .

٢ ـ وقد شــهد المسيح عن نفسه انه اله :

فقد اطلق على نفسه أنه « ابن الله » ولم يقصد بذلك انه واحد من ابناء الله الكثيرين ، بل نسبة خاصة الى الله لا تصدق الا عليه وتجعله مساويا لله ، اذ قال لتلاميذه أن يذهبوا ويعمدوا كل الامم باسم « الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) . وقوله : « ليس أحد يعرف الابن الا الآب . ولا أحد يعرف الاب الا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » (متى ١١ : ٢٧) .

وعندما سأله رئيس الكهنة : « أفأنت ابن الله » قال لهم : « انتم تقولون انى أنا هو . فقالوا ما حاجتنا بعد الى شهادة لأننا سمعنا من فمه (لوقا ٢٢ : ٧٠ ، ٧١) . وقد فهم اليهود من ذلك انه يعتبر نفسه مساويا لله ، واتهموه بذلك ، ولم ينف هذه التهمة . وقد قال يسوع لليهود : « قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن » (يو ٨ : ٥٨) ثم قال : « الذى رآنى فقــد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) .

وقد عرف يسوع أن اليهود مخطئون فى ظنهم أن المسيا سيأتى انسانا فحسب من نسل داود ، وأراد أن يثبت لهم من العهد القديم أن المسيا انسان من نســل داود ، ولكنه فى نفس الوقت رب واله داود ، فدار بينه وبين الفريسيين الحوار التالى : سألهم يسوع قائلا « ماذا تظنون فى المسيح . ابن من هو ؟ قالوا له ابن داود . قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » (متى ٢٢ : ٤٢ ـ ٤٦) .

وشهادة المسيح لنفسه فوق كل اعتبــار ، وصدقها أكيد لأن الجميع يشهدون بصدقه ، وحتى من ينكرون لاهوته لا يتهمونه بالكذب والخداع . وقد تأيد صدقه بحياته الطاهرة ، ومعجزاته الباهرة ، وقيامته من الأموات .. كل هذه تنفى عنه شبهة الكذب والخداع ، لأن قوة الله لا تؤيد المخادعين .

٣ ــ وأعمال المسيح الباهرة تشهد بلاهوته :

فقد أظهر السيد المسيح سلطانه أن يغفر الخطايا ، ومعلوم أن هــذا السلطان لله وحده ولا يغفر خطايا الا الله (أنظر مرقس ٢ : ٦ ــ ١١) .

وفى مواضع كثيرة من الأناجيل نرى يسوع يعلم أفكار الناس وما يجول فى خواطرهم وقلوبهم ، وهذه صفة من صفات الله . (أنظر مرقس ٢ : ٨ ، لوقا ٧ : ٣٩ ، ٤٠ ، يو ١ : ٤٥ ، يو ٦ : ١٥ ، يو ١١ : ١٤) .

ومعجزات السيد المسيح تشهد بألوهيته ، فقد أقام الموتى ، وأعطى الشفاء للمرضى ، ويختلف اجراء المعجزات عند الأنبياء والتلاميذ عنه عنــد المسيح ، لأن الأنبياء كانوا يجرون معجزاتهم باسم الرب ، والتلاميذ كانوا كأدوات يجرون معجزاتهم باسم يسوع ، أما يسوع فقد كان يصنع المعجزات بسلطانه هو . وهذا واضح من قول بطرس ويوحنا بعد معجزة شفاء الاعرج : « لمــاذا تشخصون الينا كأننا بقوتنا او تقوانا جعلنا هــذا يمشى .. ان اله ابراهيم واسحق ويعقوب .. مجد فتاه يسوع .. وبالايمان باسمه شدد اسمه هذا الذى تنظرونه » (أعمال ٣ : ١٢ ــ ١٦) (أنظر أيضا أعمال ٤ : ١٠ ــ ١٢) .

وفى هذا الصدد قال السيد المسيح : « لأنه كما أن الآب يقيم الاموات ويحيى كذلك الابن ايضا يحيى من يشاء » (يو ٥ : ٢١) .

٤ ــ والصفات التى نسبت الى المسيح تؤكد أنه الله :

فقد نسبت الكمالات الالهية الى المسيح فوصف بأنه : أزلى وغير متغير .

وحاضر فى كل مكان :

ويعرف كل شىء :

وقادر على كل شىء :

وانه خالق :

ويعتنى بالمخلوقات :

وديان العالم الذى يستحق الاكرام كالآب :

ورب الكل :

وقد اوضحنا ذلك بالشواهد فى حديثنا عن لاهوت الابن فىالفصل الخاص بعقيدة الثالوث .

فالذى له القاب الله ، وصفات الله ، واعمال الله ، واكرام الله ، وعبادة الله ، وعرش الكون والقدرة ، والبركة والسلطان والمجد الى أبد الدهور ، ومصدر الحياة والنور والحكمة لا يكون غير الله .

كل هذه ادلة موجزة عن أن المسيح اله كامل .

ثانيــا

يســوع انسان كامل

وليس هناك جدل كثير فى هذه الناحية فقد تحقق تاريخيا أنه كان ليسوع جسد حقيقى مركب من لحم ودم ، وقد ولد من امرأة ، واغتذى من جسمها ، وكان ينمو فى القامة ، وكان خاضــعا للألم واللذة والجوع والعطش والتعب والموت ، كما كان ينظر ويلمس ويفكر ويشعر ويفرح ويحزن .

وهكذا نرى من الكتاب أن المسيح له جميع صفات الناسوت ، وله جميع صفات اللاهوت فى وقت واحد ، والطبيعتان متحدتان ، ولكنهما غير ممتزجتين أو مختلطتين ، أى أنه لم تحدث طبيعة ثالثة باتحاد الطبيعتين — ولم يفارق اللاهوت الناسوت لحظة ولا طرفة عين .

وهناك عبارات فى الكتاب المقدس تشــير الى المسيح باعتباره الهــا وانسانا معا ، كاعتباره فادينا وملكنا وكاهننا وراعينا .

وهناك عبارات تشــير الى لاهوت المسيح ، كقول المســيح انه كائن قبل ابراهيم .

وهناك عبارات تشير الى ناسوت المسيح كقوله « أنا عطشان » أو « جلوسه على البئر وتعبه » ، وكل ما يصف الحياة الانسانية فقط .

ثالثـا

ضرورة التجسـد

وقد يتساءل بعض الناس . هل كانت هناك ضرورة للتجسد ؟ ولمـاذا يتجشم الله كل هذا العناء ، ويحيط فداء الانسان بمثل هذه الاسرار العجيبة التى لا تدرك ؟ الم تكن هناك حلول أخرى أيسر من التجسد ؟

لذلك سنتعرض للاجابة على بعض هذه التساؤلات .

١ ــ هل كان يليق بالله أن يغفر الخطية بمجرد رحمته دون الوفاء عنها؟

والجواب على ذلك انه اذا كان الجزاء الحق للخطية لا يتم الا بالعقاب « لأن اجرة الخطية هى موت » ، فاذا الخطية حسبت مغفورة بغير حق . ولا يليق بالله العادل أن يغفر ذنبا فى ملكوته بغير حق .. لذلك فالعدالة تقتضى أن يوجد من يحتمل قصاص الخطية ، ولو كانت الخطية تغفر بدون قصاص ، لكان البار والشرير يستويان أمام الله ، وهذا غير معقول ..

٢ ــ هل كان يمكن فداء الخطية بمزيد من العبادة والصوم والعطاء ؟

والكتاب يعلمنا أن كل أعمال برنا اقذار فى نظر الله ...

اننا لن نزيد الله شيئا مهما اعطيناه ..

فعبادتنا له حق له علينا ..

وتذللنا واجب دائم ...

وصلواتنا ضرورة لحياتنا ...

وعطايانا انما هى رد جزء مما أعطانا ...

وكل هذه العبادات لا تسد الدين علينا لأننا مهما عملنا ، فنحن عبيد بطالون لأننا فعلنا ما كان يجب علينا ..

٣ — ألم يكن من الممكن لغير المسيح أن يقوم بعملية الفداء من الخطية؟

كان يتحتم على من يقوم بعملية الفداء ووفاء دين الخطية ان تكون له الصفات التالية :

١ — أن يكون هو نفسه بلا خطية — لأن المديون لا يستطيع أن يوفى دين غيره ... والمفلس لا يستطيع أن يضمن آخر ...

٢ — أن يكون من جنس البشر لكى يكون العقاب صحيحا .

٣ — أن تكون لطاعته وآلامه قيمة غير محدودة لكى يستطيع أن ينوب عن جميع البشر ، ولا يكون كمجرد الذبائح الوقتية التى كان اليهود يقدمونها فى العهد القديم .

٤ — أن يكون فى أسمى مرتبة ممكنة فى نظر الله ، لكى يقبل الله نيابته عن جميع البشر ..

وهذه الصفات كلها لا توجد الا فى شخص المسيح فهو انسان كامل واله كامل ..

فى انسانيته يتألم بطبيعتنا نيابة عنا ، ويرثى لضعفاتنا ، ويكون أخا لنا .،

وفى الوهيته نجد قيمة غير محدودة لطاعته وآلامه ، وتستطيع طبيعته البشرية أن تستند الى الوهيته فى احتمالها غضب الله نيابة عنا .

٤ — هل كان يمكن للتجسد أن يتم بغير الصورة التى تم بها ؟

ان الله قادر أن يصنع الانسان على اربعة أنواع :

١ — من غير رجل ولا امرأة كما صنع آدم .

٢ — من رجل وامرأة كسائر الناس .

٣ — من رجل دون امرأة كما صنع حواء .

٤ ـ من امرأة دون رجل كما جاء المسيح .

فلو أن الله صنع المخلص بدون رجل ولا امرأة ، لصار هذا الانسان من جنس آخر غير الجنس الآدمى ، ولما استطاع أن يفدى الانسان ويوفى دين خطيته .

ولو أن الله اتى بالمخلص من رجل وامرأة لوقعت عليه الشبهة أن يكون متناسلا طبيعيا من آدم ، وأن فساد الطبيعة قد ساد عليه بمقتضى عهد الاعمال .

ولو أن الله خلق المخلص من رجل دون امرأة لكان هذا تكرارا لقصة خلق حواء ، ولصار المخلص جزءا من الرجل مكملا له ، وكيف للجزء أن يفتدى الكل ؟.

لذلك كان لابد أن يولد المسيح من عذراء طاهرة ، فيكون من الجنس الآدمى ، دون أن يكون من نسل آدم المتناسل عنه تناسلا طبيعيا ، والمرأة لا تورث فساد الطبيعة لان عهد الاعمال لم يعقد معها ، ولم تكن المرأة نائبة عن الجنس البشرى ..

* * *

وفى الختام ، نستمع الى تساؤل البعض : كيف يرضى الله أن يظهر فى صورة انسان ، وفى شبه جسد الخطية ؟ كيف يقبل الآب أن الابن الوحيد يتألم ويموت على الصليب ؟

ان من يسألون هذه الاسئلة ، لايدركون حكمة الله العجيبة فى اتضاع المسيح .. ويحق للانسان ان يعجب من الدرجة التى وصل اليها هذا الاتضاع ، فان التضحية التى قدمها الله أعظم من أن يتصورها بشر وهذا يدعو الى مزيد من الشكر ، لذاك الذى من أجلنا أفتقر وهو غنى لكى نستغنى نحن أيضا بفقره ..

والتجسد ، لا ينقص من قدر المسيح ، لأن رئيس خلاصنا قد كمل بالآلام ..

مولاى صار رضيعا وهو الاله تعالى

وسط اللفائف ضعيفا وهو الرفيع جلالا

فهل يهون كبير اذا ارتدى أسمالا ؟

وهل يقل كيانا بدر يعود هلالا

والشمس خلف غيوم ليست بأضعف حالا

وبالتجسد يسمو ابن الاله كمالا

قد صار منك فأضحى أدرى بنفسك حالا

وصرت فيه مليكا فزاد فيك جمالا

(شعر دكتور عزت زكى)

٨

كهنوت المسيح



قبل أن نحاول التأمل فى حقيقة كهنوت السيد المسيح ، والنتائج المترتبة على ذلك ، علينا أن نفهم جيدا عمل الكاهن ووظيفته ، كما يشرحها لنا الكتاب المقـدس .

فالكاهن انسان من البشر ، يكون وسيطا بين الناس وبين الله ، ليقدم الذبائح والقرابين والصلوات نيابة عن الناس الى الله ليصالحهم معه ، ويكفر عن خطاياهم ، ويشفع فيهم أمام الله .

وهذه الوظيفة ليست موجودة فى الديانة اليهودية فحسب ، بل نراها فى عدد كبير من الديانات الوثنية ، وهذا لا يعنى صدق هذه الديانات الوثنيـة ، وانما هو تعبير عن احساس الناس فى كل زمان ومكان بخطاياهم ضد الاله ، أيا كان تصورهم لهذا الاله ، وشعورهم بضرورة ارضائه والتكفير عن خطاياهم بتقـديم ذبائح لترضـيته ، وذلك عن طريق وسـطاء يقدمون هذه الذبائح والصلوات ، هم الكهنة .

ولعل الديانات المختلفة على مر العصور تبين لنا بحث الناس عن الله ، وتصورهم له ، واعلان الله نفسه وطبيعته للناس فى ضمائرهم بصـورة أو بأخرى ، الى أن اعلن الله ذاته بالوحى المقدس فى الأسفار المقدسة ، ثم اكتمل هذا الاعلان فى شخص المسيح .

وفى كل الديانات نرى الذبائح والتقدمات التى يقدمهـا الناس الى الله ليست مجرد هدايا أو أسلوبا لعبادة الاله فحسب ، ولكنها جميعها تمثل محاولة ارضـاء الاله القدوس الغاضب بسبب خطيـة الانسان ، وتقـديم بديل يحمل العقاب بدلا من الانسان الذى يستحق العقاب فعلا .

وهكذا كانت الذبائح فى العهد القديم ، تعبر عن احساس العابد بالخطية، واحضاره ضحية لتنوب عنه فى حمل العقاب ، وذلك بوضع يده على رأس الذبيحة ، وقتلها ، ورش دمها على المذبح . وقد جاء فى سـفر اللاويين ان الانسان « يضع يده على رأس المحرقة ، فيرضى عليه للتكفير عنه » (لا ١ : ٤).

« ويفعل بالثور كما فعل بثور الخطية . كذلك يفعل به . ويكفر عنهم

الكاهن فيصفح عنهم » (لا ٤ : ٢٠) . وقد شرح الكتاب اهمية ولزوم الذبائح الدموية بالقول : « لأن نفس الجسد هى فى الدم فأنا أعطيتكم اياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم . لأن الدم يكفر عن النفس » (لا ١٧ : ١١) .

ولعل هذا يفسر سر قبول الله لتقدمة هابيل وعدم قبوله لتقدمة قايين؛ فالسر ليس فى الشخصين ولكن فى الذبيحتين فقد قدم قايين لله ثمارا من غلات الأرض الملعونة . وكأنما أراد الله أن يعلن له أن كل جهده وتعبه فى زراعة الأرض لا يمكن أن يرضى قداسة الله ويكفر عن الخطية . أما هابيل فقد أقر بمذنوبيته وعجزه . لذلك قدم ذبيحة دموية تنوب عنه ، وبديلا له ، وقد قدمها بالايمان ، الايمان الذى لا يعتمد على الذات أو الجهد الشخصى ولكن على الطريق الذى أعده الله للخلاص — طريق نيابة المسيح وذبيحته . لذلك قيل فيه « بالايمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين . . اذ شهد الله لقرابينه » (عب ١١ : ٤) .

أما « طريق قايين » (يهوذا ١١) فهى طريق العالم والاعتماد على طريق البشر ، (سندرس ١ — الكهنوت اليهودى ٢ — كهنوت المسيح ٣ — المسيح كاهننا الوحيد) .

— ١ —

الكهنوت فى النظام اليهودى

كان نظام الذبائح الطقسى عند اليهود أمرا جوهريا ، وكان هذا النظام يستلزم وجود ذات الهية تقدم لها الذبائح ، وأشخاص من البشر تقدم عنهم هذه الذبائح ، وواسطة وهو الكاهن يقدم الذبائح عن هؤلاء الناس ، ثم الذبائح نفسها .

وفى الأزمنة السابقة لموسى ، لم تكن هناك رتبة كهنوتية خاصة ، بل كان رب الأسرة هو كاهنها ، اذ يقدم تقدماته بنفسه عن نفسه وعن أهل بيته . وعلى هذا الأساس قدم هابيل قربانه (تك ٤ : ٤) . كذلك فعل نوح اذ « بنى نوح مذبحا للرب . وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا » (تك ٨ : ٢٠ ، ٢١) ؛ كما بنى ابرهيم مذبحا فى بلوطة مورة ، وفى شرقى بيت ايل (تك ١٢ : ٧ ، ٨) وكذلك فعل يعقوب (تك ٣١ : ٥٤ ، ٣٣ ، ٢٠) وقد أمره الرب أن يقيم مذبحا فى بيت ايل (تك ٣٥ : ١) . وعلى نفس الأساس

كان أيوب يقدم ذبائح بعدد أولاده قائلا : « ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله في قلوبهم » (أي ١ : ٥) .

ولا نجد وظيفة كهنوتية محددة قبل شريعة موسى ، الا في شخص واحد هو (ملكى صادق) وهو ملك شاليم الذى التقى بابرهيم بعد عودته منتصرا من حروبه مع الملوك ويقول الكتاب : « وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا . وكان كاهنا لله العلى . وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلى ... فأعطاه عشرا من كل شيء » (تك ١٤ : ١٧ — ٢٠) وسنرى فيما بعد أهمية كهنوت ملكى صادق ، باعتبار أن السيد المسيح كاهن على رتبة ملكى صـــادق .

أما الشريعة الموسوية فقد نظمت الكهنوت وحصرته في هرون ونسله من بعده ، فكان كل من يريد أن يقدم الذبائح عليه أن يقدمها على يد الكهنة المعينين لذلك ، حسب نظام وطقوس معينة ، وفي مكان معين ، رسم الله نظامه ، في خيمة الاجتماع ، وفي الهيكل فيما بعد .

ولا يتسع المجال هنا لوصف أقسام خيمة الاجتماع ومعانيها الرمزية ، لكننا نكتفى بأن نذكر بأنها تتكون من قدس الأقداس الذى به تابوت عهـــد الرب . ولم يكن مسموحا لأحد بالدخول اليه الا لرئيس الكهنة وحـــده مرة واحدة في السنة في يوم الكفارة العظيم حاملا دم ذبيحة الخطية (لاويين ١٦) .

وخارج قدس الاقداس كان هناك القدس ، ويفصل بينهما حجاب سميك وكان غير مسموح للشعب أن يدخل الى القدس ، ولكنه مســـموح للكهنـــة فقط ، وكان في القدس المنارة ومائدة خبز الوجوه وعليها اثنا عشر رغيفـــا تتجدد كل أسبوع ، ثم مذبح البخور . وكان الكهنة يدخلون القدس كل يوم للخدمة وايقاد البخور (خروج ٤٠ : ١٦ — ٢٧ لاويين ٢٤ : ١ — ٩) .

وخارج القدس ، كانت هناك الدار الخارجية وفيها مذبح المحـــرقة ، وعليها كانت تذبح الذبائح ، والمرحضة ليغسل منها الكهنة أيديهم وأرجلهم عند تقديم الذبائح (خروج ٤٠ : ٢٩ — ٣٣) .

وقد حددت الشريعة بالتفصيل أنواع الذبائح وطقوس تقديمها ، فمنها ذبيحة الخطية وذبيحة الاثم ، والمحرقة ، وذبيحة السلامة ، وذبيحة الفصح ، وغـــيرها .

ونحن نلاحظ على نظام الكهنوت اليهودى ما يلى :

١ — أن المقصود من تقـديم الذبائح هو تقـديم نفس لله عن نفس اخرى مدنسة بالخطايا . لذلك نهى الله نوحا بعد خروجه من الفلك عن اكل الدم لأن الدم هو حياة الحيوان ، اذ قال : « كل دابة حية تكون لكم طعاما ، كالعشب الأخضر دفعت اليكم الجميع غير أن لحما بحياته — دمه — لا تأكلوه » (تك ٩ : ٣ ، ٤) وقد وضح الكتاب سبب هذا النهى فى شريعة موسى بالقول : « أجعل وجهى ضد النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها . لأن نفس الجسد هى الدم فأنا اعطيتكم اياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم . لأن الدم يكفر عن النفس » (لا ١٧ : ٩ ، ١١) .

٢ — ان هذه الذبائح ، ما كان يمكن أن تكفر عن ذنب الانسان ، لولا أنها تشير الى الأسلوب الذى اختـاره الله لخلاص البشر ، وهو ذبيحـة المسيح لأجل البشر . فالله لم يكن يقبل موت الحيوان نيابة عن الانسان ، ولكنه كان يقبل دم الذبيحة باعتبارها رمزا الى دم المسيح . فان هذه الذبائح نفسها لا تستطيع أن تنزع الخطية ، لذلك كان على الكاهن أن يقدم الذبائح مرارا وتكرارا . كما ذكر كاتب الرسالة الى العبرانيين « وكل كاهن يقـوم كل يوم يخدم ويقدم مرارا كثيرة تلك الذبائح عينها التى لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية » (عب ١٠ : ١١) وقد عبر كتبة أسفار الوحى فى العهد القديم أن الله لا ترضيه دماء الحيوانات . فقال داود : « لأنك لا تسر بذبيحة والا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى » (مز ٥١ : ١٦) . وقال الله على فـم اشعياء النبى : « لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب . أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات . وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر » (اش ١ : ١١) . وعلى فم ميخا النبى « بم أتقدم الى الرب وأنحنى للاله العلى . هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة . هل يسر الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت . هل أعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى » (ميخا ٦ : ٦ ، ٧) .

٣ — وكما أن الذبائح كانت رمزا الى ذبيحة المسيح الكفارية ، كذلك كان الكهنة رمزا الى يسوع المسيح الكاهن الأعظم الذى قدم نفسه ذبيحـة لله ليفتدى البشر . وفى نبوات زكريا نرى هذه الحقيقة بوضوح فى القول : « هوذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل الرب . فهو يبنى هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهنا على كرسيه » (زكريا ٦ : ١٢ ، ١٣) .

وعندما نقارن بين الكهنوت فى العهد القـديم ، وبين كهنوت السـيد المسيح ،ستتضح لنا هذه الحقائق بأجلى بيان ، اذ أن العهد الجديد يبين بصراحة أن كل تلك الطقوس كانت رمزا الى ذبيحة المسيح التى قدمها كفارة عن خطايا البشر ، وأن كهنوت المسيح أسمى من كهنوت سبط لاوى ، وأنه بعد ذبيحة المسيح وكفارته ، لا تبقى حاجة الى كل نظام الكهنوت ، اذ بطل الرمز ، بتحقيق المرموز اليه .

— ٢ —

كهنوت المسـيح

عندما زار المجوس يسوع وهو طفل فى بيت لحم ، قدموا له هـدايا ذهبا ولبانا ومرا ، وكان ذلك رمزا الى أنه ملك وكاهن ونبى ... ولقـد قام السيد المسيح بهذه الوظائف الثلاث ، ومارسها ، ليكون لنا فاديا ومخلصا وشـفيعا .

وقد بين الكتاب المقدس الصفات التى ينبغى أن تتوفر فى الكاهن ، وقد اتصف يسوع المسيح بهـذه الصفات .

فالكاهن ينبغى أن يكون مأخوذا من الناس ليخدمهم ، ويكون معينا من الله ومختصا بخدمته ، وهـكذا كان يسوع المسيح ، اذ يقـول فيه كاتب الرسالة الى العبرانيين : « لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجـل الناس فيما لله ، لكى يقـدم قرابين وذبائح عن الخطية ، قادرا أن يترفق بالجهال والضالين اذ هو أيضا محاط بالضعف ... ولا يأخذ أحـد هـذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضا . كذلك المسيح أيضـا لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . كما يقول فى موضع آخر أنت كاهن الى الابد على رتبة ملكى صادق ... » (عب ٥ : ١ — ٦) .

والكاهن من صفاته أن يقدم الذبائح لله ، وأن يقدم شفاعة عن الاخرين (لاويين ١٦ : ١ — ١٦) ، والمسيح قدم نفسه مرة واحدة (عب ٧ : ٢٧) ، « وبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الأبد عن يمين الله ... لأنه بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المقدسين » (عب ١٠ : ١٢ ، ١٤) . « فمن ثم يقدر أن يخلص أيضا الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

وسوف نتأمل فى كهنوت المسيح فى هـــذه النقاط :

١ ـــ رتبتـــه .
٢ ـــ ســـموه .
٣ ـــ كماله ودوامه .

١ ـــ رتبتـــه :

فى مزمور ١١٠ نستمع الى قول الرب « أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن الى الابد على رتبة ملكى صادق » (مز ١١٠ : ٤) . وشخصية ملكى صادق ، شخصية غامضة اختفت حولها الآراء ، ولكن يبدو أن عناية الله قصدت أن تجعلها سرا ، وكل ما نعرفه عنه أنه كان ملكا لشاليم التى هى اورشليم ، وكان كاهنا لله العلى ، ولم يكن من أقرباء ابراهيم ، ولا نعرف له نسبا ، او تاريخ ميلاد ، او نهاية ايام ، او نهاية كهنوت ، لذلك قال عنـــه الرسول انه « مشبه بابن الله » (عب ٧ : ٣) .

ويذكر الرسول أن ابراهيم قدم عشوره لملكى صادق ، وان ملكى صادق هذا بارك ابرهيم ، فكان هذا دليلا على سمو مقام ملكى صادق على ابرهيم ... وبما أن هرون وجميع الكهنة الذين من ســـبط لاوى ، هم من نســـل ابرهيم ، فهذا دليل على أن كهنوت ملكى صادق اسمى من كهنوت هرون. (عب ٧ : ١ ـــ ١١) .

٢ ـــ ســـموه :

والكتاب المقدس عندما بين لنا أن يسوع المسيح كاهن على رتبة ملكى صادق ، أراد أن يبين لنا سمو كهنوت المسيح على كهنوت اللاويين . ولنا من الأدلة الكثيرة ما يثبت ذلك بكيفية لا تقبل المناقشة .

فشخص المسيح اسمى من شخصيات الكهنة اللاويين ، فهم جميعـــا بشر محاطون بالضعف والخطية ، لذلك كانوا يقدمون ذبائح عن خطاياهم أولا قبل أن يقدموا عن خطايا الشعب ، أما المسيح فهو بدون خطية أصلية ولا فعلية ، وفيه قال الرسول ، « لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هـــذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار اعلى من السموات ؛ الذى ليس له اضطرارا كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن

خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة اذ قدم نفسه . فان الناموس يقيم اناسا بهم ضعف رؤساء كهنة . وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم ابنا مكملا الى الأبد » (عب ٧ : ٢٦ — ٢٨) .

وهو بذلك يشير الى أن الكهنة تعينوا بشريعة ناموسية أما المسيح فقد تعين كاهنا بقسم من الله .

ويظهر سمو كهنوت المسيح من ذبيحته ، فقد قدم نفسه ، أما الكهنة فكانوا يقدمون ذبائح من الحيوانات البكم ، وقد كان الكهنة يدخلون مقادس مصنوعة بأيدى ، أما المسيح فكان يخدم فى المقادس الروحية ... وما أبعد الفرق بين ذبائحهم وذبيحته ، وبين خدمتهم وخدمته . كما يقول الكتاب : « وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة . وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الاقداس فوجد فداء أبديا . لأنه ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس الى طهارة الجسد ، فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (عب ٩ : ١١ — ١٤) .

وكما أن كهنوت المسيح أسمى من كهنوت اللاويين ، فانه أيضا أسمى من كهنوت ملكى صادق . لأن صفات ملكى صادق الكهنوتية كانت صورية ، فلابد أن له نسبا ونحن لا نعرفه ، ونهاية حياة ولا نعرفها ، ولكن المسيح فصفاته الكهنوتية حقيقية ، فهو حقا لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة — وقد قيل عن ملكى صادق انه « مشبه بابن الله » (عب ٧ : ٣) .

وقد كان اللاويون كهنة فقط ، وكان ملكى صادق كاهنا وملكا ، أما المسيح فهو كاهن وملك ونبى معا . وقد رأينا كهنوته ، وسنرى فى حديث آخر ملكوته ، كما أن الكتاب وصفه بأنه نبى ، فهو النبى الذى قيل ان الله يقيمه من اليهود مثل موسى (اعمال ٧ : ٣٧) ، وهو المرسل من الله معلما للناس بتعاليم الله (يو ٧ : ١٦) ، وقد قيل عنه أنه كان انسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول (لو ٢٤ : ١٩) .

بهذا، نرى السمو الفائق لكهنوت المسيح عن كل كهنوت آخر .

٣ — كماله ودوامه :

لقد كانت ذبائح الكهنة اللاويين عاجزة بذاتها عن التطهير من الخطية ، لذلك كانت تتكرر على الدوام ، لأنها كانت ظلا لذبيحة المسيح المنتظرة ، أما ذبيحة المسيح فكانت فعالة ولم تتكرر ، دلالة على كمالها ودوامها . وفى هذا يقول الكتاب : « لأن الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صـورة الاشياء لا يقدر ابدا بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام ان يكمل الذين يتقدمون . والا أنما زالت تقدم ... لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا ... وكل كاهن يقـوم كل يوم ويخدم ويقدم مرارا كثـيرة تلك الذبائح عينها التى لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية . وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الأبد عن يمين الله ..... لأنه بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المقدسين » (عب ١٠ : ١ ، ٢ ، ٤ ، ١١ — ١٢ ، ١٤) .

وبما ان المسيح له وحدة عـدم الموت ، لذلك فكهنوته دائم لا يزول ، بخلاف كهنوت اللاويين الذى كان ينتقل من واحد الى آخر بموتهم ، أما كهنوت المسيح فقد صار « ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لاتزول ، لأنه يشهد انك كاهن الى الأبد . . » (عب٧ : ١٦ ، ١٧) . وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن ابقاء ، وأما هذا فمن أجـل أنه يبقى الى الأبد له كهنوت لا يزول » (عب ٧ : ٢٣ ، ٢٤) .

— ٣ —

المسيح كاهننا الوحيد

لقد كان كهنة العهد القديم رموزا الى الكاهن الحقيقى الرب يسوع المسيح ، وكانت ذبائحهم لا تقدر أن تطهر الضمير من الخطية بل تقتصر على التطهـير الظاهر الطقسى ، وكان الله يقبلها باعتبارها رموزا الى ذبيحة المسيح ، لذلك فبتقديم المسيح نفسه ذبيحة لله لأجلنا ، صار هو كاهننا الوحيد ، لأنه متى ظهر المرموز اليه ، بطل الرمز ، وأصبح لا مكان له ... وقد أوضح الرسول ذلك بقوله : « ينزع الأول لكى يثبت الثانى » (عب ١٠ : ٩) . ووضـحه بقوله : « ولن اذكر خطاياهم وتعدياتهم فى ما بعد . وانما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية (عب ١٠ : ١٧ ، ١٨) . ففى الكنيسة المسيحية لا نحتاج الى قربان أو ذبيحة ، وبالتالى لا نحتاج الى كاهن ، لأن المسيح « بقربان واحد أكمل الى الأبد المقدسين » (عب ١٠ : ١٤) .

وعند صليب المسيح انشق حجاب الهيكل من فوق الى أسفل (مت ٢٧ : ٥١) وبذلك فتح الرب يسوع لنا الطريق الى أقداس الله ، دون واسطة غيره وحده ، فلا نحتاج الى كاهن يفتح لنا الطريق ، لأن المسيح صار لنا أخا ، والأخ لا يحتاج الى من يقربه من أخيه ، وقد قال يسوع : « تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) . ثم قال : « أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتى الى الآب الا بى » (يو ١٤ : ٦) . لذلك فلنصغ الى أمر الرب ، « فاذ لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع ، طريقا كرسه لنا حديثا حيا بالحجاب أى جسده ، وكاهن عظيم على بيت الله ، لنتقدم بقلب صادق فى يقين الايمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » (عب ١٠ : ١٩ — ٢٢) .

ومما يؤيد هذه الحقيقة الواضحة ، أنه لم يستخدم لفظ « كاهن » لأى ممن كانوا يخدمون رسالة الانجيل فى العهد الجديد . فالذين أرسلهم يسوع ، كانوا يدعون رسلا ، وباقى خدام الانجيل كانوا يلقبون بألقاب متنوعة مثل أساقفة ، وقسوس ، ورعاة ، ومعلمين ، ومبشرين ، وشيوخ ، ونظار ، ولكننا لا نجد أن الرسل وكتبة الوحى المقدس استخدموا لقب « الكاهن » ليصفوا به أحدا فى الكنيسة المسيحية . وبما أن هؤلاء كانوا يهودا ، وكان استخدام لفظ « كاهن » مألوفا فى ديانتهم اليهودية ، لذلك فان عدم استخدامهم هذا اللفظ قطعيا دليل على اعتقادهم الراسخ بأن وظيفة الكهنوت قد انتهت بمجىء الكاهن الأعظم يسوع المسيح ، كما أسلفنا .

هذا فضلا عن انه لم ينسب عمل الكهنة الى خدام الانجيل فى العهد الجديد ، فلم نسمع أو نقرأ أنهم قدموا ذبائح عن الخطايا أو يشفعون فى غيرهم بأكثر من الصلاة التى طلب من جميع المؤمنين أن يصلى بعضهم لأجل بعض .

والعهد الجديد وضح لنا بالنص أن جميع المؤمنين هم فى مقام الكهنة بمعنى أن لجميع المؤمنين حق القدوم الى الله ، بواسطة المسيح الذى جعل شعبه « ملوكا وكهنة لله » (رؤيا ١ : ٦ ، ٥ : ١٠)، وقد أصبح كل المؤمنين جنسا مختارا وكهنوتا ملوكيا وأمة مقدسة (١ بط ٢ : ٩) .

ان فكرة تقديم ذبائح عن الخطية فى الكنيسة المسيحية ، انتقاص لقيمة ذبيحة المسيح الكفارية ، ووجود كهنة فى الكنيسة المسيحية ، اهدار لقدس ومقام الكاهن العظيم الذى كهنوته لا يزول ، والذى هو حى فى كل حين ليشفع فى المؤمنين .

وكل ما نقدمه الآن من الذبائح ، انما هى الذبائح الروحية كالتسبيح « فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح اى ثمر شفاه معترفة باسمه » (عب ١٣ : ١٥) . وعمل الخير « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب ١٣ : ١٦) .

« فكونوا أنتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح » (١ بط ٢ : ٥) .

(٩)

كفارة المسيح
وشفاعته



وقفنا فى الفصل السابق أمام يسوع المسيح ، الكاهن الأعظم ، المعين من الله على رتبة ملكى صادق ، كاهنا الى الأبد ، له كهنوت لا يزول ، وهو الكاهن الوحيد فى الكنيســة المسيحية ، لأنه بقربان واحــد أكمل الى الأبد المقدسين . (عب ١٠ : ١ — ٤ ، ١٤ — ٢٤ ، عب ٧ : ١٦ — ٢٤) .

رايناه يدخل بدم نفسه مرة واحدة الى الاقداس ليجد فداء أبديا ، ويطهر ضمائرنا من أعمال ميتة لنخدم الله الحى (عب ٩ : ١١ — ١٤) .

ولابد لنا ان نتأمل مليا فى عمل ذلك الكاهن الأعظم ، العمل الذى اتمه فى حياته وموته . والعمل الذى يعمله الآن وهو عن يمين العظمة فى الأعالى ، فان هذا يرفع قلوبنا الى هذه الحقائق السماوية العجيبة . ويكشف لنا عن أعمال الله وعنايته الفائقة بنا ، وقصده الصالح من نحو ابنائه المؤمنين

وأين نستطيع أن نجد جوابا شــافيا ، واشباعا كافيا ، لنفوســنا المشتاقة المتطلعة ، الا فى الكلمة المقدسة ، التى اعلنها لنا الله وهى اثبت ، التى نفعل حسنا ان انتبهنا اليها كما الى سراج منير فى موضع مظلم الى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبنا ، عالمين هذا أولا أن كل نبــوة الكتاب ليست من تفسير خاص ، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انســان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بط ١ : ١٩—٢١).

فالكتاب المقدس يعلمنا أنه بخطية الانسان ، أى بعدم امتثاله لشريعة الله ، ومخالفة طبيعة الانسان لطبيعة الله ، صار الانسان عــدوا لله ، واستوجب شره استحقاقه اللوم والقصاص ، ووقع البشر تحت غضب الله ، ولعنته ، وصاروا تحت سلطان الموت ، « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم » (رو ١ : ٨) . « لأن أجرة الخطية هى موت » ، ولقد استحق الانسان هذه الأجرة فى النار الأبدية المعبر عنهــا بجهنم النار (مر ٩ : ٤٤) ، والبحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رؤ ٢١ : ٨) والظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الاسنان (مت ٨ : ١٢) ، والعذاب الأبدى (مت ٢٥ : ٤٦) .

وحيث أن الله هو القاضى والمشرع الذى وضع شريعة عادلة وصرح بلزوم حفظها وعقاب جميع المتعدين عليها ، فانه حفظا لكمالاته ، واكراما لقداسته ، وشرفا لشريعته، واثباتا لسلطانه الأبدى فى الكون ، كان من المحتم ان يجرى أحكام العدل على الخاطىء .

لذلك جاء يسوع المسيح ، باعتباره وسيطا ، وأوجد طريقا للمصالحة بين الله والبشر ، وذلك بطاعته حتى الموت ليكون ذبيحة وكفارة عن خطايانا لارضاء الله ، وايفاء العدل الالهى حقه . وهذا هو المقصود بعمل المسيح الكفارى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن المسيح يشفع فينا وهو عن يمين العظمة فى الأعالى ، ويقدس صلواتنا ويجعلها مقبولة عند الله بواسطة استحقاقاته .

فعمل المسيح الكفارى تم بحياته وموته ، وعمل المسيح الشفاعى ، ابتدأ ، وهو مستمر الى ارتقاء ابنائه الى المجد اذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم .

وبما أن هذه الموضوعات مثار تساؤل وجدل بين كثيرين ، لذلك فمن المناسب أن نتناولها بشىء من الشرح والتفصيل .

— ١ —

عمل المسيح الكفارى

كلمة (كفارة) مأخوذة من أصل عبرى ومعناها (غطاء) أو (ستر) — والفعل يكفر معناه يغطى او يستر . وفى العهد القديم كان دم الذبيحة يرش على المذبح ، تعبيرا عن ستر الخطية — والمسيح بموته على الصليب ، ستر خطايانا بدمه كما قيل « طوبى للذى غفر اثمه وسترت خطيته » (مز ٣٢ : ١) .

والكفاره ضرورية لغفران الخطية . وقد سبق لنا عند الحديث عن تجسد المسيح أن وضحنا ضرورة هذا التدبير الالهى ، ونضيف هنا ما يؤكد أنه لا يمكن حدوث مغفرة دون عقاب وسفك دم .

فما دام الله قدوسا ، فمن الضرورى أن تستحق الخطية دينونتها ، ولا يصح غفران الخطية الا بواسطة شرعية تزيل هذه الدينونة وتحمل جرم

الخاطىء . وقد تساءل البعض : الا يمكن حدوث هذا الغفران بتوبة الخاطىء واصلاحه ؟ والجواب انه حتى لو صار الخاطىء صالحا ، فذلك لا يزيل عنه دينونة الخطايا التى ارتكبها ، ولو ان الله رضى ان يغفر هذه الخطايا بدون كفارة ، كان ذلك اهانة لشريعته وقداسته ، ولما صارت لهذه القداسة والشريعة كرامة فى نظر الانسان ، ولما استطاع الانسان ان يعرف حقيقة رحمة الله وكمال الله فى صفاته .

وكيف يمكن ان نعتبر شريعة الله حقيقية اذا كانت بدون قصاص ، ان العفو بدون قصاص ملاشاة للشريعة .

هذا فضلا عن ان نظام الكفارة نظام معروف فى مختلف الأديان ، وذلك يبين ان ضمير الانسان يعرف ضرورة تقديم ذبيحة عن الخطية .

وقد قال البعض ان الله اب صالح للبشر ، فلماذا يطلب كفارة عن الخطية ؟ واذا كان الانسان يستطيع ان يغفر للمسيئين اليه بدون كفارة ، فلماذا يطلب الله كفارة ؟ والجواب على هذه الاعتراضات يتلخص فى ان نسبة الله للبشر هى نسبة أب ، ونسبة حاكم ادبى فى نفس الوقت ، وفى الكيفية التى رتبها الله لخلاص البشر ، استطاع أن يرضى هاتين الصفتين ، فهو باعتباره حاكما وقاضيا استوفى العدل ، وباعتباره أبا أظهر الرحمة الفائقة .

والناس قد يصفحون عن الاهانات الشخصية بدون كفارة وهذا تحرر الذات الانسانية من الشعور بالغضب أو الانتقام الشخصى ، لكن الله يطلبه ايفاء شرعيا لا شخصيا ، دون مشاعر الغضب أو الانتقام التى تصيب البشر، بل مراعاة لعدله ، وصيانة لاستقامة أحكامه .

فقد وصف الله فى الكتاب بالقول : « الرب بار فى كل طرقه » (مز ١٤٥ : ١٧) ، وأنه « اله أمانة لا جور فيه صديق وعادل » (تث ٣٢ : ٤)، «عيناه أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر الى الجور» (حب ١ : ١٣)، « الله قاض عادل واله يسخط فى كل يوم » (مز ٧ : ١١) ، وهو «يجازى كل واحد حسب أعماله ويرسل السخط والغضب على كل انسان يفعل الشر » (رو ٢ : ٦ ، ٨) .

والقاضى يحكم بالعدل ، ويطلب العدل ، وهذا يتطلب ايفاء العدل الالهى ، لذلك كانت الكفارة ضرورية .

وقد كانت طاعة المسيح وآلامه النيابية تكفيرا عن خطايانا طريقا لايفاء عدل الله ، ورضائه عن البشر ، ومصالحته مع الناس ، وبذلك تم الفداء للبشر . ومن الجميل أن نفهم هذه التعبيرات جيدا .

١ ــ الطاعة :

قال بولس يصف المسيح انه « اذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » (فى ٢ : ٨) . فالمسيح اطاع الشريعة طاعة كاملة ، وفى هذا كان مكملا للناموس اى موفيا لمطاليبه ، وبسبب خطية البشر ، وصلت الطاعة بالمسيح الى حد تقديم نفسه ذبيحة على الصليب . فطاعة المسيح تشمل كل عمل المسيح فى حالة التجسد الى موته . وشعاره « هأنذا أجىء فى درج الكتب مكتوب عنى لافعل مشيئتك يا الله » . «فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة » (عب ١٠ : ٧ ، ١٠) ، لذلك قال بولس « لأنه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة ، هكذا ايضا باطاعة الواحد سيجعل الكثيرين ابرارا » (رو ٥ : ١٩) ، وقد دعى المؤمنون « أولاد الطاعة » (١ بط ١ : ١٤) لأن حياتهم الجديدة ناتجة عن طاعة المسيح للشريعة وموته لأجلهم .

٢ ــ الايفاء :

لفظ « الايفاء » شرعى يقصد به أن المسيح أوفى مطاليب العدل الالهى عن خطايا البشر .

وبهذا المعنى نقول ان المسيح وفى الدين الذى علينا ــ وهذا الدين ليس دينا ماليا أو تجاريا ، لكنه دين قضائى أو عقابى . وهناك فرق بين الاثنين :

(ا) فالدين المالى او التجارى يوفى بدفع المبلغ المطلوب للمداين ، ويصير المديون بعد ذلك حرا ، دون فضل للمداين عليه سواء أكان المديون هو الذى دفع الدين أو دفعه شخص آخر ، ما دام المبلغ المدفوع يساوى الدين .

(ب) أما الدين العقابى فيوفى بعقاب يتناسب مع نوع الذنب ودرجته ولكنه ليس من نوع الذنب . فالذى يسرق مبلغا من المال يسجن مثلا . ولابد ان ينال العقاب الشخص المجرم نفسه . فاذا قبل القاضى ان ينوب شخص

آخر فى تحمل العقاب ، كان هذا نعمة ورحمة منه ، وبالشروط التى يقبلها القاضى .

وهـذا يظهر لنا مقدار النعمـة التى ظهرت من الله ، فلم يكن الآب مضطرا أن يقبل بديلا عن البشر الساقطين ، ولم يكن الابن مضطرا أن يتخذ وظيفة النائب ، ولكن محبته للبشر جعلته يقبل الآلام النيابية ، وموت ابنـه الوحيد ، ومن محبة فائقة المعرفة ارتضى الابن أن يحمـل خطايانا ويتـألم لأجلنا ، آلاما تفوق ما استجوبه قصاص الانسان بقدر ما يفوق مركز الابن الوحيد مركز البشر الخطاة .

٣ ــ المصـالحة :

وهى نتيجة لعمل المسيح الكفارى ، فقد عين الله يسوع المسـيح ليكون مصالحا يتوسط بين الله والبشر . وفى هذا قيل : « ان الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه » (٢ كو ٥ : ١٩) ، « جعل الذى لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) .

ولذلك دعيت رسالة الانجيل أنها خدمة المصالحة ، ودعى المبشرون سفراء عن المسيح يطلبون عنه الى البشر قائلين « تصالحوا مع الله » .

وهذه المصالحة طريق للبركات التى يغدقها الله على المؤمنين « ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب ، لأنه أن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيرا ونحن مصـالحون نخلص بحياته » (رو ٥ : ٨ ــ ١٠) .

٤ ــ الفـداء :

وكلمة (يفتدى) مترجمة من الأصل اليونانى من كلمة معناها يشترى أو يدفع ثمن فدية . والمقصـود بالفداء هنـا أن المسيح أنقذنا من الشر والعقاب والموت بتأدية الفدية . والثمن أو الفدية المؤداة عنـا هى المسيح نفسه أو دمه (لأن الدم هو النفس) . وفى هذا يقول الكتاب : « لأن ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٨) ، وقيل عن الكنيسة ان الله « اقتناها بدمه » (أ ع ٢٠ : ٢٨) ، وقال بولس : « الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا » (اف ١ : ٧) . وقال بطرس للمؤمنين الذين كتب لهـم : « عالمين أنـكم افتديتم لا بأشـياء تفنى

بفضة او ذهب ... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب دم المسيح ... » (١ بط ١ : ١٨ ، ١٩) .

وما هى البلايا التى افتدانا المسـيح منها ؟

(أ) لقد افتدانا من **عقاب الناموس** وهو الموت لأن اجرة الخطية هى موت ، واللعنة المصاحبة لغضب الله « المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » (غلاطية ٣ : ١٣) .

(ب) وقد افتدانا المسيح من **عبودية الناموس** نفسه ، فلم يكتف بانقاذنا من عقابه ، بل من عبوديته ، فلسنا ملتزمين باتمام ما يطلبه الناموس . ذلك لأن الناموس يتطلب الطاعة التامة ، ومن يخطىء فى وصية واحدة ، فكأنه أخطأ فى الجميع ، ومنذ السقوط الى الآن لم يستطع احد من البشر أن يتمم ما يطلبه الناموس ، لذلك كان الخلاص الذى اشتراه لنا المسـيح هو من التزام الطاعة التـامة للناموس « ولكن لمـا جاء ملء الزمان ارسـل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس » (غل ٤ : ٤ ، ٥) . فالمؤمن يتبرر لا بطاعته هو للناموس ، ولكن بطـاعة المسيح للناموس « فاذا كما بخطية واحدة صار الحكم الى جميـع الناس للدينونة ، هكذا ببر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة . لأنه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا ايضا باطاعة الواحد جعل الكثيرون ابرارا » (رو ٥ : ١٨ ، ١٩) .

ولا يعنى هذا أن يحيا المؤمن المسيحى فى الخطيـة . فان الرسـول تبين هذا الخطر فى تفكير الناس فتساءل : « فماذا نقول انبقى فى الخطيـة لكى تكثر النعمة . حاشا نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ... فان الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » (رو ٦ : ١ ، ٢ ، ١٤) .

(جـ) وقد افتدانا المسيح **من سلطان الخطية** . فمن مظاهر رضى الله ومن نتائج عمله فى المؤمن تجديد قلب المؤمن بالروح القدس ، وهكذا لا تملك الخطية فى اجساد المؤمنين ، ولا يكون لها عليهم السلطان الذى للخطية فى أجساد غير المتجددين ، بل يكرهونها وينفرون منها ، واذا سقطوا فيهـا نتيجة للضعف الانسانى ، فانهم يقومون وينهضون ويتوبون ، لذلك قيـل « المسيح بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير (غل

: ٤) . وانه بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل اثم (تى ٢ : ١٤) . وقد ذكر أن المسيح « أحب الكنيسة واسلم نفسه لأجلها ، لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة . لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب » (اف ٥ : ٢٥ — ٢٧) .

(د) وقد افتدانا المسيح من **سلطان ابليس** فالكتاب يعلمنا ان ابليس هو رئيس هذا العالم ، والهه . وانه يملك على ملكوت الظلمة ، ويقتضى البشر لارادته (٢ تى ٢ : ٢٥) . وقد جاء يسوع ليبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس ، ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية (عب ٢ : ١٤ ، ١٥) .

فالناس فى حالة العبودية بسبب خوفهم من غضب الله على الخطية التى فيهم ، وهم خاضعون لابليس الذى يقتنصهم لارادته ويعذبهم ويشقيهم، لذلك جاء المسيح ليعتقهم من عقاب الناموس ، ومن قوة الخطية التى هى الناموس (١ كو ٥ : ٥٦) وعندما أوفى مطاليب الناموس انتزع قوة الخطية، فافتدى الناس من الناموس ولعنته ، وسلطان الخطية وبالتالى من سلطان ابليس .

— ٢ —

شفاعة المسيح

ذكرنا فيما سبق ان السيد المسيح كاهن الى الأبد ، حسب اقوال الكتاب الصادقة ، وحيث ان المسيح لا يقدم ذبيحة الا مرة واحدة ، فيلزم ان يقوم السيد المسيح على الدوام بعمل الشفيع .

فكهنوت المسيح لا ينتهى بعمل الكفارة ، لكنه يستمر على الدوام امام عرش الله شفيعا فى المؤمنين . وليست هذه الشفاعة مجرد طلبات يطلبها المسيح لأجل ابنائه ، وليست تعبيرا عن اثر ذبيحته الدائم فحسب ، لكن الشفاعة هى ظهور المسيح امام الله ليحمينا من حكم الناموس وشكايات ابليس ، وليضمن لنا البركات الجسدية والروحية التى نحتاج اليها ، وتقديس صلوات المؤمنين وخدمتهم لتصير مقبولة عند الله فى استحقاقاته هو ، لأنه قدم نفسه ذبيحة لأجلنا .

وفى هذا نقرأ الأقوال الالهية :

« وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب ، يسوع المسيح البار (١ يو ٢ : ١) . « من هو الذى يدين . المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضا . الذى هو أيضا عن يمين الله الذى أيضا يشفع فينا » (رو ٨ : ٣٤) .

وشفاعة المسيح قاصرة على الذين يقبلونه كاهنا ، الذين ينوب عنهم فى عهد الفداء — لذلك قال فى صلاته الكهنوتية « لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتنى » (يو ١٧ : ٩ ، ٢٠) .

١ — يسوع الشفيع الوحيد :

وبما أن المسيح هو كاهننا الوحيد ، يلزم عن ذلك أن يكون يسوع المسيح هو الشفيع الوحيد . وقد ذكر الكتاب المقدس هذه الحقيقة تصريحا وتلميحا وعقيدة ومعنى واضحا لا يقبل الشك ، للعيون المفتوحة للبصر ، والعقول المستعدة أن تقبل كلام الكتاب المقدس على انه القانون الوحيد المعصوم للايمان والأعمال .

ونذكر بعض هذه الأدلة للتوضيح :

١ — القول الصريح : « لانه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح » (١ تى ٢ : ٥) .

٢ — أن المسيح قام بجميع ما تقتضيه الوساطة والشفاعة على الأرض وفى السماء مما لا يستدعى وجود شفيع آخر .

« فمن ثم يقدر أن يخلص الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

« لأن المسيح لم يدخل الى أقداس مصنوعة بيد اشباه الحقيقية بل الى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا » (عب ٩ : ٢٤) .

وقد قام المسيح بعمله على وجه الكمال حتى لا يصح أن يعاونه أحد فى عمل الشفاعة « لأنه بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المقدسين » (عب ١٠ : ١٤) .

٣ — وقد قال المسيح صراحة انه لا يستطيع احد من البشر أن يأتى الى الآب الا به (يو ١٤ : ٦) .

٤ — والمسيح له من الصفات ما يؤكد أنه الشفيع الوحيد . فهو وحده الذى تعين لهذه الوظيفة « ويأخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضا ... » (عب ٥ : ٤ ، ٥) . وهو وحده الذى له حق الظهور أمام الحضرة الالهية فى أى وقت أراد (عب ٩ : ٢٤) ، وكلامه مسموع دائما فقد صلى قائلا : « وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى » (يو ١١ : ٤٢) . وهو وحده الموجود فى كل مكان ، وفى كل زمان ، ليسمع صلوات شعبه . فلم يقل غيره : « وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . وهو وحده الذى لا يستحيل عليه استماع ، واجابة ، واغاثة الجميع ، متى استشفعوا به فى آن واحد ، هذا فضلا عن أنه وحده بلا خطية مع أنه من نسل المرأة (عب ٧ : ٢٤ — ٢٨ ، عب ٢ : ١٦ — ١٨) .

٥ — وقد قال احد الشراح انه لو افترض وجود شفيع غير المسيح ، فالرب يسوع هو الشفيع الأنسب ، والأقوى ، والأطهر ، والاشرف . كما أنه قادر ، وراض أن يشفع فى الكل ، ويجده الجميع فى أى وقت أرادوا ، وبما أن كل عاقل يستشفع بأحسن شفيع ، فينتج عن هذا أنه لا محل لشفيع آخر غير الرب يسوع المسيح .

٢ — علاقة شفاعة المسيح بعمل الروح القدس :

قيل فى رسالة رومية ٨ : ٢٦ ، ٢٧ : « وكذلك الروح ايضا يعين ضعفاتنا . لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها . ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح . لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » .

ومن هذا نعلم أن الروح القدس شفيع فى داخلنا ، اذ يعيننا فى الصلاة لنعرف الأغراض الحقيقية التى نصلى لأجلها ، أما المسيح فهو يشفع عند الآب خارجا عنا فى السماء ، وهكذا نرى أن عمل الروح القدس ، وهو روح الله وروح المسيح والأقنوم الثالث من اللاهوت ، وعمل المسيح كشفيع ، يجعلان الصلاة مقبولة لدى الله ... فالروح يعيننا لنصلى كما ينبغى ، والمسيح يشفع امام الآب ليقدس صلواتنا ويقبلها . لذلك يقول المسيح :

« وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٦) .

وقد شبه عمل الروح القدس ، بعمل الأم ، التى تلقن طفلها الصلاة ، وتضع الكلمات المناسبة فى فمه ، وتقترح عليه الموضـوعات التى يصـلى لأجلها . وهكذا نرى عمل الثالوث الأقدس ، ممثلا فى الروح الذى يتحدث فى قلوبنا ، والابن الذى يقدم صلاتنا الى الآب ، الآب الذى يستمع الى الصلاه .

٣ ـ نظرة المسيحى الى القديسين :

ينبغى أولا أن نعلم أن لقب « قديسين » هو لقب يمكن أن يوصف به كل انسان مسيحى ، مولود من فوق . والقداسة التى للمؤمنين ، ليست حالة ولكنها مقام ... أى أن المؤمن ليس فى ذاته قديسـا ولكنه قديس فى يسوع المسيح . وبذلك وصف كتاب الوحى المقدس جميع المؤمنين بالمسيح بأنهم قديسون . والشواهد على ذلك كثيرة للغاية ، فقيل عن بطرس انه نزل الى القديسين الساكنين فى لدة (أع ٩ : ٣٢) ، وكتب بولس رسالته « الى القديسين الذين فى أفسس » (أف ١ : ١) ، وفى كولوسى (كو١ : ٢) (أنظر رو ١٢ : ١٣ ، ١٥ : ٢٥ ، ١كو ١٦ :١٥ ، ٢كو ٨ : ٤ ، ٩ :١ ، أف ٤ : ١٢ ، عب ٦ : ١٠ ، رو ١٦ : ٢ ، ١كو ١٦ : ١ ... الخ) .

الا أنه فى تاريخ الكنيسة المسيحية ، ظهر أفراد اشتهروا بالتقوى ، والشجاعة ، والمحاماة عن الايمان ، والشهادة ليسوع المسيح ، والبعض منهم استشهدوا من أجل كلمة الله ، وانجيل المسيح ... وقد حاول البعض أن ينسبوا الى هؤلاء امتيازا خاصا ، وأن يضعوهم فى رتبة ممتـازة وقيـل عنهم انهم (قديسون) بهذا المعنى الخاص .

ونحن ، وان كنا لا نستطيع أن نحكم فى الناس ولا على الناس ، وينبغى ان نترك الحكم على البشر لخالقهم ، الذى يعرف خفيات القلب ، لكننا لا ينبغى أن نتجاهل الشهادة القوية التى قدموها ـ بحسب نظرتنا الانسـانية ـ لانجيل المسيح ، ومن واجبنا أن نحترم ذكراهم ، ولا نقلل من شأنهم ... لكننا فى نفس الوقت ، علينا أن نتمسك بتعليم الكتاب المقدس الصريح الذى يبين لنا أن يسوع المسيح هو الشفيع الوحيد .

ان كل خدمة يؤديها المؤمن انما يؤديها فى حياته ، ولا يمكن للمؤمن أن

يقوم بخدمة بعد وفاته ، الا خدمة الله فى السماء بالترنيم والتسبيح لمجد الله .

فمن واجب المؤمنين وهم فى هذه الحياة ان يصلى بعضهم لأجل بعض . فقد طلب بولس من أهل تسالونيكى قائلا : « أيها الاخوة صلوا لأجلنا » (١ تس ٥ : ٢٥) . وقال يعقوب : « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا . طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها » (يع ٥ : ١٦) . وهذه الصلوات والطلبات تقدم بشفاعة المسيح .

ولكن بعد انتقال المؤمن من هذه الحياة ، لا يصح أبدا أن نطلب منه الصلاة ، لأننا فى هذه الحالة ننسب اليهم أنهم يشاركون الله فى الحضور فى كل مكان ، وفى استماع الصلاة ، ومعرفة خفايا القلب وسرائره ، وهذا اشراك بالله .

أما قول الرسول : « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) ، فلا يزيد الأمر عن الاستفادة من اختبارات الآخرين ، وقدوتهم ، والتمثل بهم كما هم بالمسيح ، كما قال بولس : « كونوا متمثلين بى كما أنا أيضا بالمسيح » (١ كو ١١ : ١) ، ولا علاقة لهذا بالصلاة لهم ، أو طلب الشفاعة منهم على الاطلاق .

ان نسبة الصفات الالهية الى المخلوق ، وتقديم أى شكل من أشكال العبادة للمخلوق ، عبادة أصنامية ، لا يقبلها الله .. وهو الذى قال : « لا يكن لك آلهة أخرى امامى » .

ان جميع البشر مهما سمت خدمتهم وجهادهم خطاة أمام الله ، وقبولهم أمام الله انما هو باستحقاق دم يسوع المسيح فقط ، وليس لأحد من البشر مهما كانت خدمته وكفاحه وجهاده استحقاق ذاتى يقف به أمام الله ، فان السماء ليست بطاهرة أمامه ، والى ملائكته ينسب حماقة .

لذلك يجب أن نتنبه أكثر الى ما سمعنا لئلا نفوته ، لأنه ان كانت الكلمة التى تكلم بها ملائكة صارت ثابتة ، وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة . فكيف ننجو نحن ان أهملنا خلاصا هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به (عب ٢ : ١ — ٣) .

(١٠)

ملكوت المسيح



من الحقائق المعروفة لكل من يدرس الكتاب المقدس ، أن السيد المسيح باعتباره الفادى والوسيط بين الله والناس ، يمارس وظائف ثلاثة : نبى ، وكاهن ، وملك .

فهو نبى اذ يعلن لنا مشيئة الله بواسطة كلمته وروحه لأجل خلاص وهو النبى الوحيد الذى يعرف الآب ويخبر عنه (مت ١١ : ٢٧ ، يو ١ : ١ بل هو الذى كان بروحه يكرز منذ بدء الخليقة للبشر ، كما فى أيام نوح بط ٣ : ١٩) ، وفى أيام موسى على جبل سيناء (أع ٧ : ٣٨) ، وفى الأنبياء (١ بط ١ : ١١) .

وقد رأيناه كاهنا ، قدم نفسه مرة واحدة ذبيحة ، ليفتـدى المؤ باسمه ، وهو يشفع فيهم أمام عرش الله .

واليوم نراه ملكا يجمع شعبه ، ويملك عليهم (مز ١١٠ : ٢) ، ويتغ على أعدائه ويحطمهم (مز ٢ : ٩) .

وقد تعددت النبوات فى العهد القديم مؤيدة ملك المسيح ، فهو شيلو الذى يكون له خضوع شعوب (تك ٤٩ : ١٠) ، وهو ابن داود الذى يجلـ على كرسيه ، ويكون كرسيه ثابتا الى الأبد (٢ صم ٧ : ١٦) . وقد قـ عنه اشعياء : « لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملك ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن والى الأبد » (اش ٩ : ٧) . و المزمور الثانى يقول الله : « أما أنا فقد مسحت ملكى على صـهيون جبـ قدسى .. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا وأقاصى الأرض ملكا لك » .

وقد تحقق هذا فى العهد الجديد فى شخص يسوع ، ففى البشارة بمولد قال الملاك لمريم العذراء : « ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسـوع هـذ يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود ابيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لوقا ١ : ٣١ — ٣٣) .

كل هذه الحقائق ثابتة وواضحة ، لكن الناس كثيرا ما يخطئـون فهم حقيقة ملكوت الله ، وملكوت المسيح ، ويفسرون معنى الملكوت وتاريخـ تفسيرا لا يتفق مع الكتاب المقدس ، فالبعض يظنون أن ملكوت الله هو نظام

مثالى يحيا الناس فيه حياة كاملة تحت مبادىء المسيح ، والبعض يظنون ان ملكوت الله هو الكنيسة ، والبعض الآخر يعتبرون ملكوت الله هو حكم الله وسلطانه على قلوب البشر ، وخضوع ارادة الناس لارادة الله ... وهكذا تتنوع الأفكار .. لذلك لعله من المناسب أن ندرس الأمر بشيء من التفصيل والتوضيح .

— ١ —

معنى كلمة (ملكوت) عند استخدامها فى الكتاب المقدس

ولهذه الكلمة ثلاث معان :

المعنى الأول : هو السلطة الخاصة بالملوك . وبهذا المعنى يقال انه ليس لملك المسيح نهاية ، وأن الله أعطى المسيح ملكا أى سلطان الملوك المطلق .

والمعنى الثانى : يشير الى الجماعة التى يتولى الملك أمرها ، وبهذا المعنى يعتبر المؤمنون الذين يقرون بملك المسيح مملكته ، أو ملكوته ، وبهذا المعنى أيضا يقال ان الانسان الفلانى خارج الملكوت أو داخله .

والمعنى الثالث : يشير الى النتائج المعنوية والروحية لهذا السلطان ، مثل القول ان ملكوت الله ليس أكلا وشربا بل هو بر وفرح وسلام فى الروح القدس . وبهذا المعنى يقال ان المؤمنين يرثون الملكوت ويتمتعون به ويطلبونه ، ويفضلونه على أغلى الأشياء .

وقد يسمى هذا الملكوت ملكوت الله باعتباره صاحب هذا السلطان المطلق ، والله هو الذى أقام هذا الملكوت فى الأرض تمييزا له عن ممالك الارض ويسمى ملكوت المسيح او ملكوت ابن الله لأن الله أعطى للمسيح هذا السلطان الملكى ، ويدعى ملكوت السموات لأن الملك سماوى ، والملكوت نفسه روحى سماوى ، وسيكمل فى السماء ..

— ٢ —

تاريخ هذا الملكوت

١ — ان الله هو الحاكم المطلق على جميع الخلائق لأنه خالقها . وفى هذا يختلف سلطان البشر عن سلطان الله . فان الديكتاتورية التى يتقلدها

الناس ليست من حقوقهم ، أما دكتاتورية الله فهى من حقوقه ، فلله سلطان مطلق فى الخليقة يحكم وليس من يعارضه أو يناقشه ، يوقع القصاص والعدل على البشر ويحكم عليهم بالموت ، ويختار منهم ، حسب قصده الأزلى ومسرته ورأى مشيئته ، جماعة ليعدهم للمجد والحياة الأبدية . وفى كل هذا السلطان هو عادل لأن مشيئته هى العدل ، وليس لأحد الحق أن يثور عليه أو يجاوبه أو يشير عليه « لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا » (رو ١١ : ٣٤) ، ومن هو الانسان الذى يخاصم جابله أو يجاوب الله « العل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا » (رو ٩ : ٢٠) .

لذلك فعند سقوط الجنس البشرى ، عصى الانسان سلطان الله ، وصار جزءا من ملكوت الظلمة تحت قيادة ابليس . لكن الله قصد بنعمته أن يخلص الانسان من عواقب السقوط ، لذلك أعلن للانسان الوعد بمجىء فاد يبيد قوة ابليس ، واقام ملكوتا مضادا لملكوت الظلمة ، واعطى السلطان فيه للابن ، واعطى للابن نسلا يردهم الى الطاعة بواسطة تجديد الروح القدس .

٢ — وقد تأسس هذا الملكوت من وقت سقوط الانسان ، لكنه كان فى بادىء الأمر بلا نظام ظاهر ، فكان كل بيت تقى هو كنيسة ، وكاهنها رأس البيت — الى عصر ابراهيم عندما أراد الله أن يمنع انتشار عبادة الأصنام ويصون معرفة الحق ويجمع مختاريه ، ويعد الطريق لمجىء الفادى — لذلك أقام الله عهدا مع ابراهيم ومع ذريته فجعلهم ملكوته المنظور ، وائتمنهم على اعلاناته .

٣ — بعد الخروج من مصر ، صار شعب الله جماعة تحت رياسة الله الخاصة ، وانتظمت أحكامهم وعبادتهم وخدمتهم الدينية على نوع يؤدى الى ابقاء معرفة مقاصد الله فى الخلاص وبيان كيفية اتمامها واظهار صفات المسيح. وكان الرب يقيم قضاة لينفذوا ارادته فى الشعب . ولكن الشعب فى عهد صموئيل طلبوا أن يكون لهم ملك كسائر الأمم . وعندما غضب صموئيل قال له الله : « لأنهم لم يرفضوك انت ، بل اياى رفضوا عن أن أكون ملكا عليهم» .

لكن الله أعطى الشعب ملكا حسب طلبهم ، أعطاهم اياه ليكون «مسيح الرب » منفذا لمشيئته ، لكن الملك الذى طلبه الشعب لم ينفذ مشيئة الله ، فلم يستطع أن يخلص الشعب من أعدائه ، وفى هذا قال الرب فى هوشع (١٣ : ١٠ ، ١١) « فأين هو ملكك حتى يخلصك .. أنا أعطيتك ملكا بغضبى ، وأخذته بسخطى » .

ورفض الرب شاول واعطى الملك لداود الذى قال عنه : « وجدت داود ابن يسى رجلا حسب قلبى » ، وصار الملوك مجرد رموز الى الملك الحقيقى الذى سيأتى من نسل داود ، ولا يمكن لأحد أن ينفذ ارادة الله الا المسيح الذى قال : « أن أفعل مشيئتك يا الهى سررت » .

٤ — انقسمت المملكة فى عهد رحبعام بن سليمان الى مملكتين ، المملكة الجنوبية ، وهى مكونة من سبطين ، وهى المملكة اليهودية لأنها مملكة يهوذا أو يهودا ، وكانت الأمة اليهودية تمارس عبادتها فى أورشليم .

والمملكة الشمالية وهى مملكة اسرائيل ، وكان شعارها « الى خيامك يا اسرائيل » (١ مل ١٢ : ١٦) . وهى تتكون من عشرة اسباط وعمل لهم يربعام عجلين فى دان وبيت ايل ، اصبحوا المملكة الأممية ليس لهم نصيب فى داود وبالتالى فى ابن داود (المسيح) .

٥ — بعد هذا سبيت المملكة الشمالية السبى الأشورى ، والمملكة الجنوبية السبى البابلى ، وبعد السبى لا نسمع عن المملكتين الا انهما صارتا مملكة واحدة . وقد أشير الى اتحاد المملكتين بعد السبى فى نبوات حزقيال ٣٧ .

« وانت يا ابن آدم خذ لنفسك عصا واحدة واكتب عليها ليهوذا ولبنى اسرائيل رفقائه . وخذ عصا أخرى واكتب عليها ليوسف عصا افرايم وكل بيت اسرائيل رفقائه . واقترنهما الواحدة بالأخرى كعصا واحدة فتصيرا واحدة فى يدك » (حز ٣٧ : ١٦ ، ١٧) .

وقد شرح الله لحزقيال دلالة ذلك بقوله : « هأنذا آخذ بنى اسرائيل من بين الأمم التى ذهبوا اليها واجمعهم من كل ناحية وآتى بهم الى أرضهم ، وأصيرهم أمة واحدة .. وعبدى داود رئيس عليهم الى الأبد » (حز ٣٧ : ٢١ — ٢٥) . وعلى أساس أن كل ما فى العهد القديم كان رمزا له حدوده الخاصة تنتهى عند مجىء المرموز اليه . فقد كانت الأمة الجنوبية رمزا الى اليهود والشمالية رمزا الى الأمم ، وكان اتحادهما رمزا الى اتحاد اليهود والأمم فى الكنيسة المسيحية ، وفى المسيح « الذى نقض حائط السياج المتوسط أى العداوة (بين اليهود والأمم) ليكونوا جميعا مبنيين على أساس الرسل والانبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » (أف ٢ : ١٤ ، ٢٠) .

لذلك قال المسيح : « ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضا » (يو ١٠ : ١٦) ، وهو يقصد بالخراف الأخرى الأمم .

اذا فالآن لا يهودى ولا أممى ، بل ملكوت الله هم مجموعة أفراد من جميع الأمم ، وغاية الله فى معاملته للبشر واتخاذ ابنه الارلى طبيعتنا ، انما هى جمع شعبه فى هذا الملكوت واكماله اياه الى النهاية « لكى يجمع ابناء الله المتفرقين الى واحد » .

— ٣ —

سلطان المسـيح فى الملكوت

عندما نقرأ الكتاب المقدس ، نرى أنواعا متنوعة من السلطان للمسيح بالنسبة الى هذا الملكوت ، فهناك ملكوت السلطان ، وملكوت النعمة ، وملكوت المجد .

١ — **ملكوت السلطان** : وهو يشير الى السلطان العام الذى للمسيح على الكون ، وباعتباره الها وانسانا معا ، ووسيطا بين الله والناس ، قد دفع اليه كل سلطان فى السماء وعلى الارض (مت ٢٨ : ١٨) . وفى المزمور الثانى يقول الله للمسيح : « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا ، وأقاصى الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزاف تكسرهم » (مزمور ٢ : ٨ ، ٩) . لذلك قيل ان الله « أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماوات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضا وأخضع كل شىء تحت قدميه » (اف ١ : ٢٠ — ٢٢) .

وبهذا السلطان العام ينتصر المسيح على أعدائه ، ويدين العالم ، ويدعى « ملك الملوك ورب الأرباب » (رؤ ١٩ : ١٦) .

٢ — **ملكوت النعمة** : وملكوت النعمة يبين علاقة المسـيح بالكنيسة المجاهدة على الأرض ، فهو يملك روحيا على كل نفس مؤمنة لانه ينقلها من الظلمة الى نوره العجيب ، وكل مؤمن يحبه ويطيعه ، ويحيا مشتركا فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسـوع المسيح . وفى هـذا قال المسيح لبيلاطس : « مملكتى ليست من هذا العالم . . . أنت تقول انى ملك . لهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتى » (يو ١٨ : ٣٦ ، ٣٧) .

٣ — **ملكوت المجد** : وهو يبين لنا علاقة المسيح بالكنيسة المنتصرة ، فهو يكافىء مفدييه بالتمتع بالمجد الأبدى . هذا الملكوت مؤلف من المفديين فقط ، وهو ملكوت أبدى . فالأشرار لا يرثون ملكوت الله (غل ٥ : ٢١ ، ١ كو ٦ : ٩ ، ١٠) ، والمؤمنون يشاركون المسيح فى سلطانه ومجده (مت ١٩ : ٢٨ ، كو ٦ : ٣ ، ٢ تى ٢ : ١٢) ، وهو ملكوت روحى لان اللحم والدم لا يستطيعان ان يرثا ملكوت الله (١ كو ١٥ : ٥٠) . لذلك فلا يعقل أن يكون هذا الملكوت فى الأرض ، ولا يمكن أن يشترك فيه المؤمنون بالجسد واللحم والدم .

بشــارة الملــكوت

يقول الكتاب : « وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٤ ، ١٥) .

وهذا يبين لنا وجود علاقة بين الملكوت وبين الانجيل ، فالانجيل هو البشارة السارة المفرحة ، هو الخلاص ، وهو بشارة الملكوت ، بشارة نعمة الله .

ونستطيع أن نتبين الحقائق التالية عندما ندرس العهد الجديد ، لنفهم معنى بشارة ملكوت الله .

١ — ان ملكوت الله ليس متوقفا على استجابة الناس لمشيئة الله ، فملكوت الله قائم سواء قبله الناس أم رفضوه .

لقد أتى ملكوت الله عندما تدخل الله فى حياة البشر ، ووضع فى الأرض بذرة الحياة الجديدة . . . لذلك كان يسوع ينادى ان ملكوت الله قد أقبل . كان يسوع يبشر أن الملكوت امر قائم فعلا ، لكنه فى نفس الوقت أمل عظيم للمستقبل . وقد قال يسوع للفريسيين : « ولكن ان كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد اقبل عليكم ملكوت الله » (لوقا ١١ : ٢٠) . وقال لهم وهم يظنون ملكوت الله أملا فى المستقبل فقط : « لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك . لأن ها ملكوت الله داخلكم » (لوقا ١٧ : ٢٠ ، ٢١) .

وفى أمثال المسيح تتضح هذه الحقيقة ، ان ملكوت الله أمر قد بدأ فعلا

بوجود كلمة الله بين البشر ، ففى مثل الزارع نرى أن الله قد بدأ عمل الملكوت بزراعة بذره ، وأن الحصاد منتظر فى النهاية .

فحديث المسيح عن الملكوت ، ليس حديثا عن أمر جامد ساكن ، لكنه عمل متحرك حى ، عمل الله فى القلوب ، جزء من ملكوت الله .

٢ — ان الملك فى الملكوت هو أب :

ففى الصلاة الربانية علمنا المسيح ان نقول : « أبانا .. ليأت ملكوتك » وما أكثر حديث المسيح عن الله كأب ، « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم سر بان يعطيكم الملكوت » (لوقا ١٢ : ٣٢) .

ومع ان اليهود كانوا يعتبرون الله أبا ، الا ان اللفظ الذى استخدمه المسيح عن الآب ، يختلف عن اللفظ الذى استخدمه اليهود . فقد كان اليهود يستخدمون اللفظ الرسمى ؛ لكن يسوع كان يستخدم اللفظ الدارج وهو بالأرامية « أبا » — ونحن نقرأ فى مرقس ١٤ : ٣٦ فى صلاته « يا أبا الآب » كما نرى ذلك فى أماكن اخرى ، ونتعجب ما معنى (أبا الآب) . ان الترجمة لا تحمل الينا المعنى الصحيح . ان كلمة (أبا) الأولى هى التعبير الدارج لكلمة (أبى) ؛ كان يقول الطفل (بابا) يا بابا — ولم يتعود اليهود ان ينادوا الله هكذا ، ويسوع لم يتحدث عن الآب هكذا الا مع تلاميذه فقط ؛ والأخصاء الذين اختبروا هذه العلاقة ، فانه لم يعلم ان الله أب للجميع بالمعنى اليهودى أى خالق ومنشىء الجميع ، لكنه علم أننا نستطيع عندما نقبل المسيح أن نصلى الى الله كما يتحدث الأطفال الى أبيهم . « لأنه لا أحد يعرف الآب الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له » (مت ١١ : ٢٧ ، لو ٢٠ : ٢٢) .

ولعل قوله : « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) ، لا تعنى مجرد بساطة الأطفال ، ولكنها تعنى أن نخلق خليقة جديدة حتى اننا نخاطب الله بالقول (بابا) . هذا هو سر ملكوت السموات ؛ ان الملك أب — ولم يعلن هذا السر الا بالروح القدس الذى يعلمنا أن نصرخ الى الله كأب سماوى قائلين (يا أبا الآب) أى (يا الله يا بابا) . (رو ٨ : ١٥ ، غل ٤ : ٦) .

٣ — أن هذا الملكوت يتطلب أسلوبا جديدا فى الحياة :

فالعظة على الجبل تبين لنا دستور هذا الملكوت — والتطويبات التى

فى بداية الموعظة على الجبل تنقل الينا صورا روحية لأبناء هذا الملكوت ، والأخلاق التى تصورها لنا العظة على الجبل ليست أخـلاق الناموس بل أخلاق النعمة .

فالناموس يقول لا تقتل — والملكوت يقول لا تغضب ...
والناموس « لا تزن » « لا تنظر ... ،
« « لا تحلف كذبا « « لا تحلف أبدا ،
« « عين بعين « « لا تقاوموا الشر ،
« « أحب قريبك « « احب أعداءك .

وقد نتعجب كما تعجب التلاميذ من هذا المقياس السامى وقد نتساءل كما تساءل بطرس مرة « من يقدر أن يخلص اذا » ؟ وعندئذ نرى الاجـابة مختصرة فى كلمة واحدة وهى (المحبة) . اننا لا نخلص بطاعة هذه المقاييس ، ولا نهلك بعصيانها ، لكن هذه المقاييس ترفع انظارنا الى المحبة التى لا حد لها ، ولا مقياس يمكن أن يصل اليها .

هذا هو اسلوب الحياة فى ملكوت المسيح — المحبة .

وعندما يملك المسيح فينا ، تملك المحبة حياتنا ، وتمتلكها .

١١

التـــبـــريـــر



قديما قال داود النبى ، بوحى من الله ، وباختبار صادق اكيد : « يارب اسمع صلاتى واصغ الى تضرعاتى .. .ولا تدخل فى المحاكمة مع عبدك فانه لن يتبرر قدامك حى » (مزمور ١٤٣ : ١ ، ٢) . وقال ايضا : « ان كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد فمن يقف » (مزمور ١٣٠ : ٣) .

وفى هذا كله تأكيد للحقيقة التى وضحناها عند الحديث عن الخطية ، وهى ان الانسان ميت بالذنوب والخطايا ، ولا يستطيع ان يعمل صلاحا ، والجميع زاغوا وفسدوا . فالخطية ليست أمرا عارضا أو سطحيا فى حياة الانسان ، بل هى عميقة الجذور ، نابعة من القلب ، متأصلة فى المشـــاعر والعواطف ، شاملة للجسد والقلب والروح ، فهى قد تلبس ثوب النقاوة ، وقد تتخذ من اسمى المبادىء ستارا ، فكم من كبرياء وأنانية وتفاخر قبيح ، اتخذ فى الظاهر مظهر عمل الخير والصلاح . فالفســـاد عم جميع أعمـــال الانسان ، فاذا كان الشيطان يتخذ لنفسه صورة ملاك نور ، هكذا يعم الرياء حياة البشر ، ويفسد جوهر اعمالهم .

كل هذا يؤيد الحقيقة أنه لن يتبرر قدام الله انسان ، مهما عمل وحاول وجاهد ...

كيف يتم تبرير الانسان اذا ؟

التبرير عمل الهى ، لا دخل للانسان فيه ، وهو عمـــل يتم فى لحظة واحدة ، فبمجرد تصديق الله ، والايمان بأن يسوع المسيح قد دفع الدين ، نتبرر قدام الله بعمل نعمته ونحظى بالسلام مع الله ...

ان الناس لا يصدقون هذه الحقيقة البسيطة الرائعـــة ، ذلك لانهم تعودوا أن ينالوا كل شىء بثمن وبجهد ، لذلك فان الحـــديث عن مجـــانية الخلاص ، ونوال التبرير بالنعمة الالهية فقط ، يبـــدو فى نظرهم أمرا غير مقبول وغير معقول ، هم يريدون أن يدفعوا شيئا ، لكنهم بذلك ينكرون كفاية عمل المسيح ، الذى قام بكل العمل على الصـــليب .

لذلك يقول الكتاب : « فاذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله بربنا

يسوع المسيح . الذى به ايضا قد صار لنا الدخول بالايمان الى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله » (رومية ٥ : ١ ، ٢) .

فنعمة الله تدعونا « ايها العطاش جميعا هلموا الى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا » .. (اش ٥٥ : ١) .

فعندما يخلصنا الله ، يمنحنا الحياة الجديدة ، ومع الحياة الجديدة حكم بالبراءة ، فى لحظة واحدة ، هذا هو التبرير .

فالتبرير هو فعل نعمة الله المجانية الذى به يغفر الله خطايانا جميعا ، ويقبلنا كأبرار قدامه ، وذلك لأجل مجرد بر المسيح الذى يحسب لنا ، الذى نقبله بواسطة الايمان فقط .

وفى هذا التعريف نرى امرين : الغفران والقبول او احتساب بر المسيح للمؤمن .

ولكى نفهم حقيقة التبرير بوضوح نتأمل فى هذين الأمرين .

— ١ —

الغفران

والفكرة الأساسية فى غفران الخطية . هى ان الله يعتبر ان المؤمن مات مع المسيح وبذلك يتبرأ من الخطية ، لأنه لا يجوز محاسبة الميت ، ثم لا يحسب للمؤمن خطية فيما بعد . ويشرح بولس هذه الحقيقة فى رسالة رومية بقوله : « عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد ايضا للخطية . لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية (رو ٦ : ٦ ، ٧) . ويشرح فى نفس الرسالة حقيقة الغفران مستشهدا من العهد القديم قائلا : «واما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فايمانه يحسب له برا . كما يقول داود ايضا فى تطويب الانسان الذى يحسب له الله برا بدون اعمال . طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم . طوبى للرجل الذى لا يحسب له الرب خطية » (رو ٤ : ٥ — ٨) . ويقول فى رسالة كورنثوس الثانية : « ان الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ كو ٥ : ١٩) .

معنى الغفـران :

١ ـ والغفران يتضمن ان الله **يرفع** الدينونة التى على الخاطىء .

« اذا لا شيء من الدينونة الان على الذين هم فى المسيح يسـوع » (رو ٨ : ١) .

٢ ـ والله **يمحو** الخطايا **وينساها ولا يذكرها** .

« قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك » (اش ٤٤ : ٢٢) .

« توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم » (أ ع ٣ : ١٩) .

« من هو اله مثلك غافر الاثم وصافح عن الذنب ... يعود يرحمنـا يدوس آثامنا وتطرح فى أعماق البحر جميع خطاياهم » (ميخا ٧ : ١٨ ، ١٩).

٣ ـ والله بغفرانه **يطهرنا** من كل خطية . « هلم نتحاجج يقول الرب . ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج . ان كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف » (اش ١ : ١٨) .

ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (١ يو ١ : ٧) .

٤ ـ وغفران الله شامل للماضي والحاضر والمستقبل . وقد سبق أن ذكرنا الايات التى تؤكد غفران الله للخطايا الماضية والحاضرة . ونضيف هنا ما يؤكد غفران الله للخطايا المستقبلة . ففى الرسالة الى العبرانيين يذكر الرسول هذا القول : « لأنى أكون صفوحا عن آثامهم ولا اذكر خطـاياهم وتعدياتهم فيما بعد (عب ٨ : ١٢) .

فالله بنعمته يحـكم بألا يطالب المؤمن بخطاياه المسـتقبلة مطـالبة الدينونة ، وذلك بناء على اقتران المسيح بالمؤمن وثبوته فيه لأن المسيح احتمل القصاص بدلا منه .

فالخطايا الصادرة من الانسان بعد تجديده لا تبطل الغفران السابق ، وهذا واضـح من القول :

« ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب . لانه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته » (رو ٥ : ٨ — ١٠) .

لكن خطايا المؤمنين تحزن الله حزنا شديدا ، لذلك يقول الرسول : « ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء . ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث » (اف ٤ : ٣٠ ، ٣١) .

والله يؤدب مرتكبيها تأديبا شديدا فى حياتهم فى الجسد ، لكى يعفيهم من الدينونة التى يدين بها غير المؤمنين ، لذلك قال الرسول : « ولكن اذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم » (١ كو ١١ : ٣٢) .

فالمؤمن ، وقد اتحد بالمسيح ، نال هذا الغفران الشامل للخطايا الماضية والحاضرة ، ولن تحسب عليه الخطايا المستقبلة حساب الهلاك والدينونة .

لكن هذه الحقيقة لا تشجعه على الاستمرار فى الخطية ، والا فان هذا يلقى ظلا من الشك على صحة ايمانه ، وفاعلية دعوته ، « ومن يظن انه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) . فالمؤمن مات عن الخطية فكيف يعيش بعد فيها » (رومية ٦ : ٢) . وشعور المؤمن بنعمة الله وغفرانه يزيد حبه لله ، وطاعته له ، والشكر العميق على هذه النعمة ، فيجتهد فى حياة الطاعة لأن تلك النعمة تعلمه ان ينكر الفجور والشهوات العالمية ويعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر (تى ٢ : ١٢) .

وعندما يسقط المؤمن فى خطية ما ، يحزن حزنا شديدا ، وفى صلاته يطلب الغفران ، وهو فى ذلك لا يطلب شيئا جديدا ، ولكنه يعترف بخطيته ، ويطلب تأكيدا من الله لنفسه بغفران خطاياه حسب مواعيده ، ويطلب أن يتحنن الله عليه لأنه يقع تحت تأديب الآب السماوى بسبب هذه الخطايا ، فتكون صلاته كصلاة داود : « لا تطرحنى من قدام وجهك ، وروحك القدوس لا تنزعه منى . رد لى بهجة خلاصك وبروح منتدبة اعضدنى » (مز ٥١ : ١١ ، ١٢) .

— ٢ —

حسبان بر المسيح للمؤمن

بالغفران ينقذ الله المؤمن من حكم الشريعة ، وبذلك يتبرر الخاطىء بعفو الله عنه ونعمته له . لكن انقاذ الخاطىء من حكم الشريعة لا يجعله حاصلا على رضى الله ، فان حالته تكون اشبه بحالة مذنب انقذ من العقاب فقط ، ولو تركه الله عند هذه الحالة لكان مطلوبا منه أن يحيا حسب البر الذى فى الناموس أو الشريعة ، لكى ينال رضى الله ، وهذا متعذر لدى الانسان ، لذلك فان الله لكى يكون تبريره للخاطىء كاملا قبل الخاطىء كأنه بار أمامه ، بأن احتسب طاعة المسيح للناموس ، كأنها طاعة الخاطىء للناموس : وبذلك أنعم على الانسان بهبات الطاعة الكاملة .

وكما سبق أن وضحنا عند حديثنا عن « المخلص » أن المسيح أكمل الناموس ، وقال : « ما جئت لأنقض بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧) ، والمقصود بذلك ليس اتمام الناقص فى الناموس ذلك لأن « ناموس الرب كامل يرد النفس » (مز ١٩ : ٧) . ولكن المسيح جاء ليكمل الناموس بمعنى انه جاء ليوفى جميع مطاليب الناموس ، وبذلك يكون هو الانسان الوحيد الذى أطاع الناموس ، طاعة كاملة . وهذا يفسر قول يسوع ليوحنا المعمدان ، عندما جاء ليعتمد منه : « ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى الى . فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » (مت ٣ : ١٤ ، ١٥) .

فالمسيح أكمل بر الناموس ، وأطاعه الى مداه .

هذا البر ، بر الناموس الذى أكمله المسيح ، وصار بر المسيح ، حسبه الله للمؤمنين بالمسيح ، وبذلك أعاد الخطاة الى رضاه ، مع أنهم ليسوا أبرارا فى ذواتهم . وكما أن المسيح حسب أمام الشريعة خاطئا لأنه حمل خطايانا وحسبت عليه ، مع انه قدوس وبلا خطية ، كذلك حسبنا نحن أمام الشريعة أبرارا باحتساب بر المسيح لنا ، مع أننا خطاة وأشرار . وفى ذلك يقول الرسول أن الله « لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) .

هذا البر لا يجعل الخاطىء بارا بالمعنى الأدبى ، أى خاليا من الخطية ، ولكنه يجعله بارا بالمعنى القانونى (اى يصدر حكم البراءة) ، اى يعطيه الحق القانونى للصفح الكامل ، ويفتح له باب الرجوع الى الله . ذلك لأن

الله لمـا راى ان البر الذى يطلبه الناموس لا يمكن للخاطىء ان يصنعه ، اعلن الله برا آخر . هو بر الله بالايمان بيسوع المسيح . وقد شرح بولس ذلك فى رومية ٣ بقوله : « واما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودا له من الناموس والأنبياء . بر الله بالايمان بيسوع المسيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون . لأنه لا فرق . اذ الجميع اخطأوا واعوزهم مجـد الله . متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح . الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله . لاظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الايمان بيسوع . فأين الافتخار . قد انتفى . بأى ناموس . أبناموس الأعمـال . كلا . بل بناموس الايمان . اذا نحسب أن الانسـان يتبرر بالايمان بدون اعمـال الناموس » (رومية ٣ : ٢١ — ٢٨) .

هـذه هى العقيدة الجوهرية فى الكتاب المقدس أن الانسان يتبرر امام الله بدون الأعمال ، بل بواسطة الايمـان .

وهذه هى العقيدة التى ينبغى أن نفهمها تماما ، لانها اساس كل تعليم الكتاب المقدس وان اعتبرنا أن جانبا من خلاصنا او تبريرنا يأتينا من اعمالنا او صلواتنا او عطايانا او عبادتنا او فعل الخير الذى نفعله ، فاننا بذلك ننكر كل الديانة المسيحية ونعتبر أن المسيح قد مات عبثا . فان بولس يقول وهو يتحدث فى نفس الموضوع بوحى الله : « ان نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بايمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح لنتبرر بايمان يسوع لا بأعمال الناموس . لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما . لست أبطل نعمة الله . لأنه ان كان بالناموس بر (يقصد تبرير للناس) فالمسـيح اذا مات بلا سبب » (غل ٢ : ١٦ ، ٢١) .

هذا فضلا عن أن الناموس يتطلب الطاعة الكاملة ، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يعمله ؛ « لأن جميع الذين هم من اعمال الناموس هم تحت لعنـة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به » (غل ٣ : ١٠) .

فالتبرير اما بالنعمة او بالأعمال ، ولا يمكن أن يكون بكليهما معـا . والكتاب يقول : « فان كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال . والا فليست النعمة بعد نعمة . وان كان بالأعمال فليس بعد نعمة . والا فالعمل لا يكون بعد عملا (رو ١١ : ٦) » . « لأنكم بالنعمة مخلصون بالايمان وذلك ليس منكم ، هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٨ ، ٩) .

ويجدر بنا فى نهاية الحديث عن التبرير ان نختتم الكلام بهاتين الملاحظتين :

الملاحظة الأولى : علاقة الايمان بالتبرير :

ليس الايمان أساس التبرير ، بل هو واسطة فقط جعلها الله لنوال التبرير . والايمان ليس فضيلة يصل اليها الانسان بنفسه ومن نفسه ، لكنه هبة الله ، «وذلك ليس منكم . هو عطية الله » (اف ٢ : ٨) ، « لأنه وهب لكم لأجل المسيح لا ان تؤمنوا به فقط بل أيضا أن تتألموا لأجله » (فيلبى ١ : ٢٩) ، فالايمان هبة من الله . والكتاب يعلمنا أن الإيمان من ثمار الروح القدس (غل ٥ : ٢٢) ، لذلك فهو نتيجة لعمل روح الله فى القلب ، ولا يجب أن يفتخر احد على آخر بايمانه ، بل من يفتخر فليفتخر بالرب .

ان الله يعطينا الايمان ، وعند ذلك نصدق كلامه ، ومواعيده ، وبهذه الواسطة نتكل على بر المسيح ، وعمله الكفارى لأجلنا ، فيقبلنا الله ويحسبنا أبرارا أمامه .

الملاحظة الثانية : علاقة الأعمال بالايمان :

كما أن الكتاب المقدس يحذرنا من الاتكال عى أعمالنا الصالحة ، كذلك هو فى نفس الوقت يعلمنا أن هذه الأعمال الصالحة ضرورية ولائقة ، باعتبارها ثمر الايمان .. فما لم يكن الايمان موجودا ، لا ننتظر من الانسان اى عمل صالح ، بل أن كل أعماله صالحة حسب الظاهر ، تكون مرتبطة بنوايا شريرة ذاتية لا تمجد الله ، ولكنها تسعى لتمجيد ذاته .

لكن المؤمن ، مع أنه يتبرر بالايمان فقط دون الأعمال ، لكنه يشعر بضرورة طاعته للشريعة الأدبية باعتبارها قانون حياته المسيحية لا أساس تبريره . لكنه عندما يعمل كل ما يستطيع عمله من مطاليب الشريعة ، لا يعتبر ذلك بابا لاستحقاقه رضى الله وغفرانه ، بل انه يعمل لأن ذلك من واجبه ، وهو ما يأمر به الرب . وفى هذا قال يسوع : « كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون . لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا » (لو ١٧ : ١٠) .

والأعمال تبررنا أمام الناس ، كما قال المسيح : « لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات » ذلك لان المؤمنين هم رسالة الله المقروءة من جميع الناس .

لكن أمام الله نحن نتبرر مجانا دون أعمال . بل بمقتضى نعمته الفائقة التى اجزلها لنا فى يسوع المسيح .

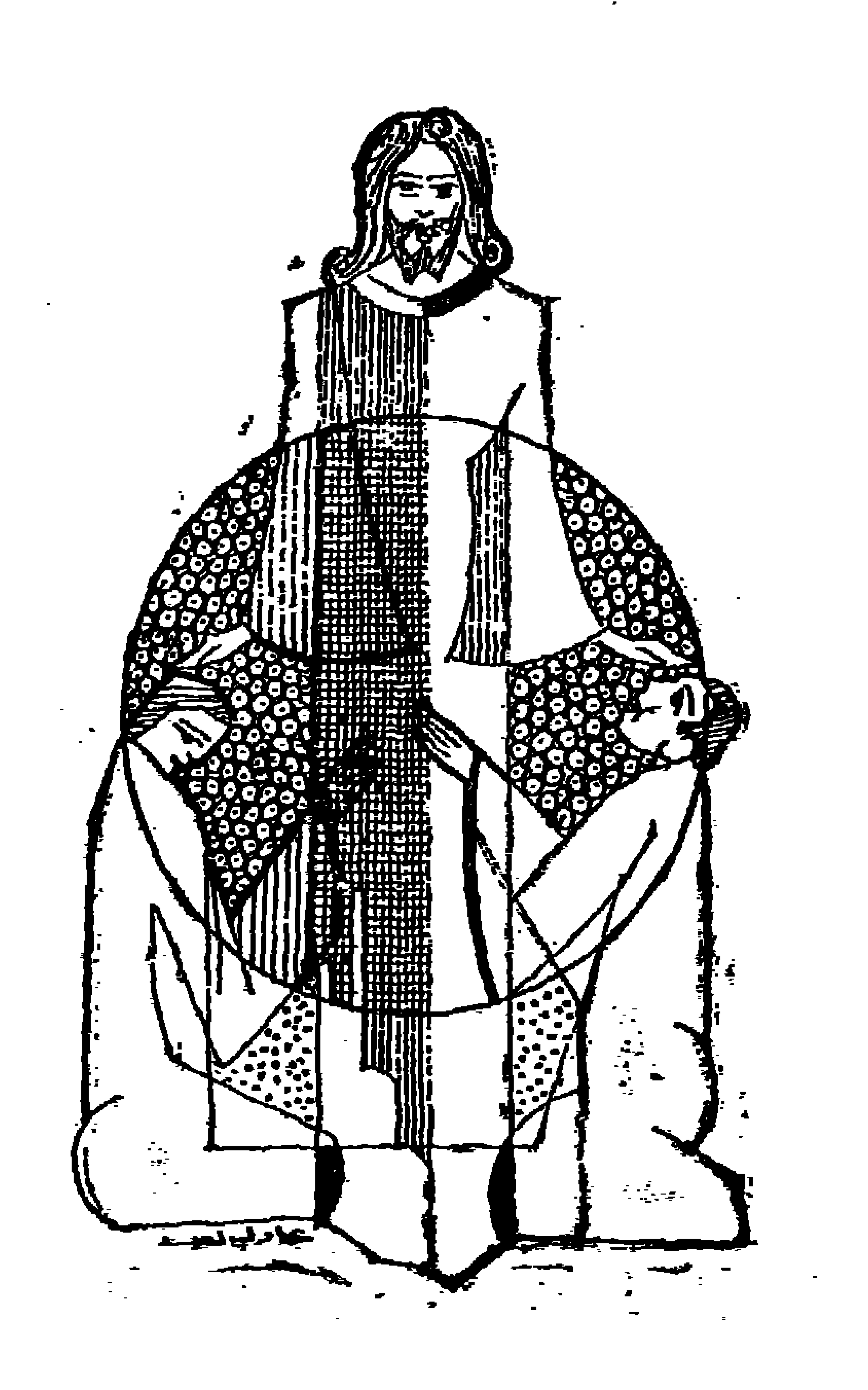
فلنحذر من ان نتكل على الجسد . أو على اعمال برنا ، لئلا ننكر عمل المسيح . ولنحذر من احتقار الاخرين ، ودينونتهم ، والافتخار عليهم ، لأننا لا نختلف عنهم فى شيء ، سوى أن نعمة الله تفاضلت علينا وذلك ليس من أعمال كيلا يفتخر احد ، ولنرفع الى الله ترانيم الحمد والشكر والتسبيح ، سالكين فى طاعة ذاك الذى حسبت لنا طاعته برا ، وليكن حبنا له صدى لحبه لنا « لأنه هو احبنا اولا » .

ولنعتبر كل امتيازاتنا نفاية لكى نربح المسيح ونوجد فيه هاتفين مع رسول الجهاد :

« لكن ما كان لى ربحا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة . بل انى احسب كل شيء ايضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من اجله خسرت كل الأشياء وأنا احسبها نفاية لكى أربح المسيح . واوجد فيه وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بايمان المسيح البر الذى من الله بالايمان . لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته . لعلى ابلغ الى قيامة الأموات » (فيلبى ٣ : ٧ — ١١) .

١٢

التبنى



— ١ —

من هم أبناء الله ؟

لقد أطلق هذا الوصف على الملائكة ، فى قول الرب لأيوب : « أين كنت حين أسست الأرض ... عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله » (أى ٣٨ : ٤ ، ٧) . وذلك باعتبار ان الملائكة مخلوقون من الله على رتبة سامية ، ومحفوظون بالله فى حالة المجد والقداسة .

وقد تلقب البشر جميعهم بأنهم ابناء الله بمعنى أنهم مخلوقين على صورة الله وشبهه ، لكن هذا اللقب زال عن الانسان عند سقوطه وعصيانه وصية الله ، وبذلك صار البشر ابناء ابليس ، لأنهم يعملون مشيئته ، وهذا يظهر من حديث السيد مع اليهود عندما قالوا له : «لنا أب واحد وهو الله . فقال لهم يسوع لو كان الله اباكم لكنتم تحبوننى لأننى خرجت من قبل الله وأتيت .. أنتم من اب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (يو ٨ : ٤١ ، ٤٤) .

وقد اعتبر بولس الرسول اختيار الله الأمة اليهودية فى العهد القديم لتكون الشعب الخاص له ، ليعلن لها معلناته ، وليأتى منها المخلص ، بمثابة نوع من التبنى .. أى ان الله تبنى هذه الأمة لهذا الغرض ، وجعل لهم الختان علامة ظاهرية لهذا التبنى . وفى هذا قال الرسول عنهم : « الذين هم اسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد . ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الها مباركا الى أبد الآبدين آمين » (رو ٩ : ٤ ، ٥) .

ولكن هذه الأمة اليهودية كما يظهر من تاريخ الكتاب المقدس ، لم تحقق انتظارات الله منها واتكلت على مركزها الذى أعطاه لها الله بالنعمة ، واعتمدوا على انهم نسل ابراهيم المختار من الله ، ورفضوا المسيح ، لذلك صار هذا التبنى لجماعة المؤمنين بالمسيح . وقد انذرهم يوحنا المعمدان بقوله لهم : « يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى »

فاصنعوا اثمارا تليق بالتوبة . ولا تفتكروا ان تقولوا فى أنفسكم لنا ابرهيم ابا . لأنى أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم» (مت ٣ : ٧ — ٩) .

وقد أوضح يوحنا الرسول هذه الحقيقة فى مستهل انجيله اذ كتب بوحى الروح القدس : « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله . وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » (يو ١ : ١١ — ١٣) .

فالذين يعمل روح الله فى قلوبهم للتجديد . هؤلاء هم الذين يولدون من فوق ، الذين يبررهم الله ، ويصيرهم أبناء له بالميلاد الثانى .

فالتبنى هو فعل نعمة الله المجانية الذى به يقبلنا بين أبنائه فيصير لنا حق فى جميع بركات الله وعطاياه . « وكل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران . شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » (يع ١ : ١٧ ، ١٨) . « مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية الى الأبد » (١ بط ١ : ٢٣) .

ففى اللحظة التى فيها يبررنا الله ، ويحكم لنا بالبراءة بحسبان بر المسيح الناتج عن طاعته للناموس ، كأنه بر لنا ، يرضى الله علينا ، ويردنا اليه ، ويعتبرنا ابناء له ، فننال التبنى .

وقد استعار بولس الرسول لفظ « التبنى »من نظام الشريعة الرومانية ، والتى بمقتضاها يفقد الشخص المتبنى كل حقوقه فى أسرته القديمة ، ويكتسب جميع الحقوق والامتيازات الشرعية فى اسرته الجديدة ، ومن بينها الميراث الكامل من أسرته الجديدة حتى ولو أنجب من تبناه أطفالا فيما بعد . وقد كان نيرون ابنا بالتبنى للامبراطور كلوديوس ، وصار فيما بعد امبراطورا .

وفى الشريعة الرومانية عندما يتبنى انسان ما طفلا أو ولدا ، تنقطع صلته تماما عن أسرته القديمة ، وتلغى جميع ديونه ، ولا يجوز مطالبته بشىء عن ماضيه ، بل يعتبر كأنه انسان جديد تماما ...

هكذا استعار بولس هذا التعبير ليشرح علاقتنا الجديدة بالله ، والغاء كل الديون القديمة التى كانت علينا ، وتمتعنا بكل امتيازات الأسرة الجديدة التى يضمنها الينا الله اذ يقول :

« هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم . ولكن لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس . ليفتدى الذين تحت الناموس . لننا التبنى . ثم بما أنكم أبناء . ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا يا أبا الآب (وقد شرحنا قبلا أن معناها يا بابا أيها الآب) اذا لست بعد عبدا بل ابنا . وان كنت ابنا فوارث لله بالمسيح » (غل ٤ : ٢ — ٧) .

وكما أوضحنا أن التبنى كالتبرير يحدث مرة واحدة ، وفى لحظة واحدة ، كذلك تبين أن التبنى من عمل نعمة الله المجانية ، وفى ذلك يختلف الأمر بين اتخاذ الناس أبناء لهم بالتبنى ، واتخاذ الله المؤمنين أبناء له . فالناس يتبنون شخصا تكون فيه من الصفات الجسدية أو العقلية أو الخلقية ما يشجعهم على تبنيه ، وأما الله فانه يتبنى البشر لا لشىء صالح فيهم ، بل لمجرد رحمته الالهية ، لأن الخلاص بالايمان كما اوضحنا هو من عمل نعمة الله ، ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد . هذا واضح فى كل الكتاب المقدس ، ومنه قول بولس الرسول : « مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح . كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة . اذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته » (اف ١ : ٣ — ٥) .

فالله اذ يغفر خطايا الانسان ، ويقبله فى بر المسيح ، يرده اليه ، ويرد له كل حقوق البنوية التى فقدها بسبب ضلاله ، ويمتعه بامتيازاتها .

— ٢ —

الفوائد المقترنة بالتبنى

نستطيع أن نقول أن جميع بركات الله للمؤمنين وجميع الامتيازات والفوائد التى يتمتع بها المؤمنون فى العهد الجديد ناتجة عن كونهم ابناء الله . ولا نريد أن نتوسع فى الشرح ولكننا نذكر هذه الفوائد بايجاز :

١ — حق الاقتراب الى الله فى الصلاة والثقة فى أبينا السماوى . انه

يعلم ما نحتاج اليه قبل ان نسأله . « اذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل اخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب » (رو ٨ : ١٥) .

٢ — الحرية . ذلك لأننا بالتبنى نصبح ابناء لا عبيدا — وهناك فرق كبير بين طاعة العبد وطاعة الابن ، والمسيح افتدانا من تحت الناموس لننال التبنى (غل ٤ : ٥) ، فنحن لا نطيع خوفا كالعبيد لكن حبا كالأبناء .

على ان الكتاب يعلمنا ان طبيعتنا البشرية الساقطة لم تحرر تماما فى هذه الحياة من عبودية الفساد ، وعلى هذا فنحن نتوقع التبنى الكامل أى فداء اجسادنا وتغيرها الى تلك الأجساد الروحانية عند القيامة الأخيرة . وفى هذا يقول الرسول : «لأن الخليقة نفسها ايضا ستعتق من عبودية الفساد الى حرية مجد أولاد الله . فاننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا الى الآن . وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح عند انفسنا ايضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا » (رو ٨ : ٢١ — ٢٣) .

٣ — امتيازات مشابهة المسيح : «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرا بين اخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) . وهذه المشابهة ليست كاملة الان ، لأننا فى العالم ، وفى الطبيعة البشرية الضعيفة الساقطة ، ولكنها تكتمل فى المجد . « ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد كما من الرب الروح » (٢ كو ٣ : ١٨) . وقد قال يوحنا الرسول : « أيها الأحباء الآن نحن اولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون . ولكن نعلم أنه اذا اظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو » (١ يو ٣ : ٢) .

٤ — ارشاد الله لنا بالروح القدس . « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » (رو ٨ : ١٤) .

٥ — الأمان والاطمئنان رغم كل الظروف . ففى جو الأسرة يتم كل شىء بحسب خطة موضوعة لصالح أفراد الأسرة ، وقد لا يفهم الصغار سر بعض الأعمال ، لكنهم يطمئنون ويثقون فى حكمة أبيهم انه يعمل الصالح لهم ، ولا يمكن لأسرة لها رب عاقل حكيم أن تتجاهل فردا فيها أو تضره .

« ونحن نعلم ان كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده » (رو ٨ : ٢٨) ، « وان كان الله معنا فمن علينا » (رو ٨ : ٣١) .

٦ — التأديب ... فان كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين ، فأى ابن لا يؤدبه أبوه .

« وكل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن لكنه فيمـــا بعد يعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » .

« مع أنكم الآن ان كان يجب تحزنون يسيرا بتجارب متنوعة . لكى تكون تزكية ايمانكم (وهى أثمن من الذهب الفانى مع أنه يمتحن بالنار) توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ٦ ، ٧) .

٧ — نوال ميراث القديسين المجيد المحفوظ فى السماء لأجلنا الميراث الذى « لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل » والذى قال عنه الله : « من يغلب يرث كل شىء واكون له الها وهو يكون لى ابنا » (رؤ ٢١ : ٧) .

انظر (رو ٨ : ١٧ ، يع ٢ : ٥ ، ١ بط ١ : ٤ ، ٣ : ٧ ، عب ٣:١٤) .

٨ — الثبات والضمان .

« العبد لا يبقى فى البيت الى الأبـــد اما الابن فيبقى الى الأبد » . (يو ٨ : ٣٥) .

(١٣)

التقـــديس



١ ـ معنى لفظ « تقديس » فى الكتاب المقدس :

للتقديس ثلاثة معان فى الكتاب المقدس :

(١) المعنى الأول هو التخصيص أو الفرز لغاية دينية . فمعنى أن هذا المكان مقدس للرب أى أنه مخصص لعبادة الرب ، وقد وصف المسيح نفسه بأنه « الذى قدسه الآب وأرسله الى العالم » (يو ١٠ : ٣٦) أى خصصه ، وقال انه لأجل التلاميذ « يقدس ذاته » (يو ١٧ : ١٩) أى يخصص نفسه . وكان الله يطلب من اليهود فى العهد القديم أن يقدسوا له البكر أى يخصصوه له (خر ١٣ : ١) .

(٢) المعنى الثانى هو التطهير الطقسى ، وهو الذى كان معمولا به فى الشريعة الطقسية لليهود ، وهى كلها رموز الى التطهير الروحى . وقد أشار اليها رسول العبرانيين بقوله : « لأنه ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس الى طهارة الجسد . فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (عب ٩ : ١٣ ، ١٤) .

(٣) المعنى الثالث هو التطهير الأدبى أو الروحى الذى يعمله الله فينا بروحه القدوس وبعمل نعمته . والذى قيل عنه لأهل كورنثوس : « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا » (١ كو ٦ : ١١) . والمقصود هنا ليس اغتسالا أو تقديسا طقسيا جسديا ، بل أدبيا روحيا ..

٢ ـ معنى التقديس فى كنيسة العهد الجديد :

التقديس هو عمل نعمة الله المجانية ، الذى به نتجدد فى جميع قوانا حسب صورة الله ، ونزداد قدرة ، حتى اننا شيئا فشيئا نموت عن الخطية ونحيا للبر .

وشرح ذلك ، هو أن الله اذ بررنا وجعلنا أبناء له ، وخصصنا لذاته ، اذ أفرزنا بنعمته للحياة الأبدية ، لذلك فهو بروحه ، وبوسائط النعمة ،

يطهرنا تطهيرا روحيا تدريجيا لننمو الى القياس الكامل ، قياس قامة ملء المسيح « واله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح » (١ تس ٥ : ٢٣) .

٣ ـــ الفرق بين التبرير والتقديس :

التبرير والتبنى والتقديس كلها من عمل نعمة الله المجانية ، ولا فضل للانسان فيها ، ولكن هناك فروق بين التبرير والتقديس :

(١) التبرير عمل الهى نهائى يتم مرة واحدة وفى الحال ، اما التقديس فعمل مستمر مدى الحياة . فالتبرير كامل للجميع بدون امتياز فرد عن آخر ، أما التقديس فهو عمل تدريجي شيئا فشيئا ولا يكمل فى الحال ، وهو عند بعض الناس متقدم عنه عن البعض الآخر ، حسب تفتحهم لقبول عمل الروح واستخدام وسائط النعمة .

فالتبرير يتم دفعة واحدة ، اما التقديس فيستغرق حياة المؤمن كلها . أو بمعنى آخر التبرير شىء حدث فى ماضى المؤمن ، والتقديس هو حاضر المؤمن .

(٢) التبرير عمل شرعى يصرح به الله باعتباره قاضيا ، وهو يعتبر الخاطىء بارا فى المسيح الذى حمل خطاياه وحسب له بره ، أما التقديس فهو عملية مستمرة ، فيها يعمل الله بوسائط روحية فى داخل المؤمن ، لكى يموت عن الخطية شيئا فشيئا ، ويحيا للبر ، ولذلك فانه عمل متجدد فى جميع قوى الانسان .

(٣) التبرير أمر خارجى ، والتقديس أمر داخلى ، فالتبرير هو حكم الله على الانسان ، أما التقديس فهو عمل روح الله فى الانسان .

(٤) التبرير مؤسس على حسبان بر المسيح للمؤمن ، لكن الانسان لا يتقدس بحسبان قداسة المسيح له ، بل يتم بفاعلية الروح القدس الذى ينشىء فى الانسان القداسة بواسطة اقتران المؤمن بالمسيح القدوس .

من هذا ندرك أن التقديس لا يبدأ الا بعد التجديد والتغيير . فالميلاد الثانى هو انشاء الحياة الروحية فى النفس والتقديس هو حفظ هذه الحياة واخضاع ما يقاومها ويضعفها ، وتقويتها حتى تنمو الى قياس قامة ملء المسيح (أف ٤ : ١٣) .

٤ ــ تعاليم غير صحيحة عن التقديس :

(أ) هناك بعض الناس يقولون أن التقديس هو مجــرد اجتهــاد الانسان لاصلاح سلوكه وحياته بقوته الذاتية وارادته ، وهم بذلك ينكرون أن التقديس عمل فائق الطبيعة ، يتم بعمل روح الله القدوس .

فالكتاب المقدس والواقع يعلمنا عدم امكانية ذلك ، فالانسان لا يقدر إن يقدس نفسه ، بل أنه اذا ترك لنفسه يتنجس أكثر فأكثر . يقول الكتاب « من يخرج الطاهر من النجس . لا احد » (أى ١٤ : ٤) .

والكتاب دائما ينسب عمل القداســة الى الله مثل القــول : « واله السلام نفسه يقدسكم بالتمام » (١ تس ٥ : ٢٣) ، وكذلك « واله السلام ... ليكملكم فى كل عمل صالح » (عب ١٣ : ٢٠ ، ٢١) . كذلك ينسب هذا العمل الى المسيح الذى « أحب الكنيسة واسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها » (أف ٥ : ٢٥ ــ ٢٧) . وينسب أيضا الى الروح القدس « لأنه ان عشــتم حسب الجسد فستموتون . ولكن ان كنتم بالروح تميتون أعمال الجســد فستحيون » (رومية ٨ : ١٣) .

(ب) وهناك من يقولون ان التقديس يحدث نتيجــة ممارســة بعض الطقوس الخاصة ، كالصوم والصلاة وغير ذلك من الممارسات ، وانه نتيجة لأعمال الانسان الصالحة ينال المؤمن استحقاقات زائدة عن حاجته ، يمكن لغيره أن يستفيد منها ، عندما يتم توزيع هذه الاستحقاقات بواسطة الكنيسة، وهذا القول لا أساس له من الكتاب المقدس الذى يعلمنا أن « كل واحد سيحمل حمل نفسه » وأن أتقى الناس لا استحقاق له لأنه « متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون ، لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا » (لوقا ١٧ : ١٠) . وان القداسة الكاملة غير ممــكنة على الأرض ، فكيف نحسب أن أعمال بعض الناس زادت عن حاجة أصحابها حتى يمكن توزيعها على غــيرهم .

(جـ) وهناك من يقولون انه يمكن للانسان أن يصل الى القداســة الكاملة والتحرر من كل خطية فى هذه الحياة . وأصحاب هذا الرأى ينسبون الى الارادة البشرية قوة فوق طاقتها وهى اختيارها القداسة اختيارا دائما والتخلص التام من كل التجارب المحيطة بالانسان .

وغالبا يجعل أصحاب هذا الرأى الخطية قاصرة على الأعمال الظاهرة

دون السؤال عن ملكات النفس - وهذا مبدأ خطير ؛ لأن الله يدين سرائر الناس لا ظواهرهم فحسب .

والكتاب المقدس يعلمنا أننا ما دمنا فى هذه الحياة الجسدية فنحن لا نستطيع أن نتحرر تماما من الخطية . فالكتاب يقول : « لأنه ليس انسان لا يخطىء » (١ مل ٨ : ٤٦) .

« من يقول انى زكيت قلبى تطهرت من خطيتى » (أم ٢ : ٩) .

« لأننا فى اشياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣ : ٢) .

« ان قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا » (١ يو ١ : ٨) .

أما وصف الكتاب المقدس بعض الناس بالكمال ، فان المقصود بذلك الكمال النسبى بالنسبة لغيرهم من الناس ، وليس الكمال المطلق بالنسبة لشريعة الله . فقد قال بولس : « لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين » (١ كو ٢ : ٦) ، ويشير بذلك الى أهل كورنثوس الذين كانوا أبعد ما يكون عن الكمال المطلق . واذا قيل عن نوح انه « رجل بار كامل فى أجياله » (تك ٦ : ٩) ، فالمقصود أن بره وكماله كانا بالنسبة الى جيله .

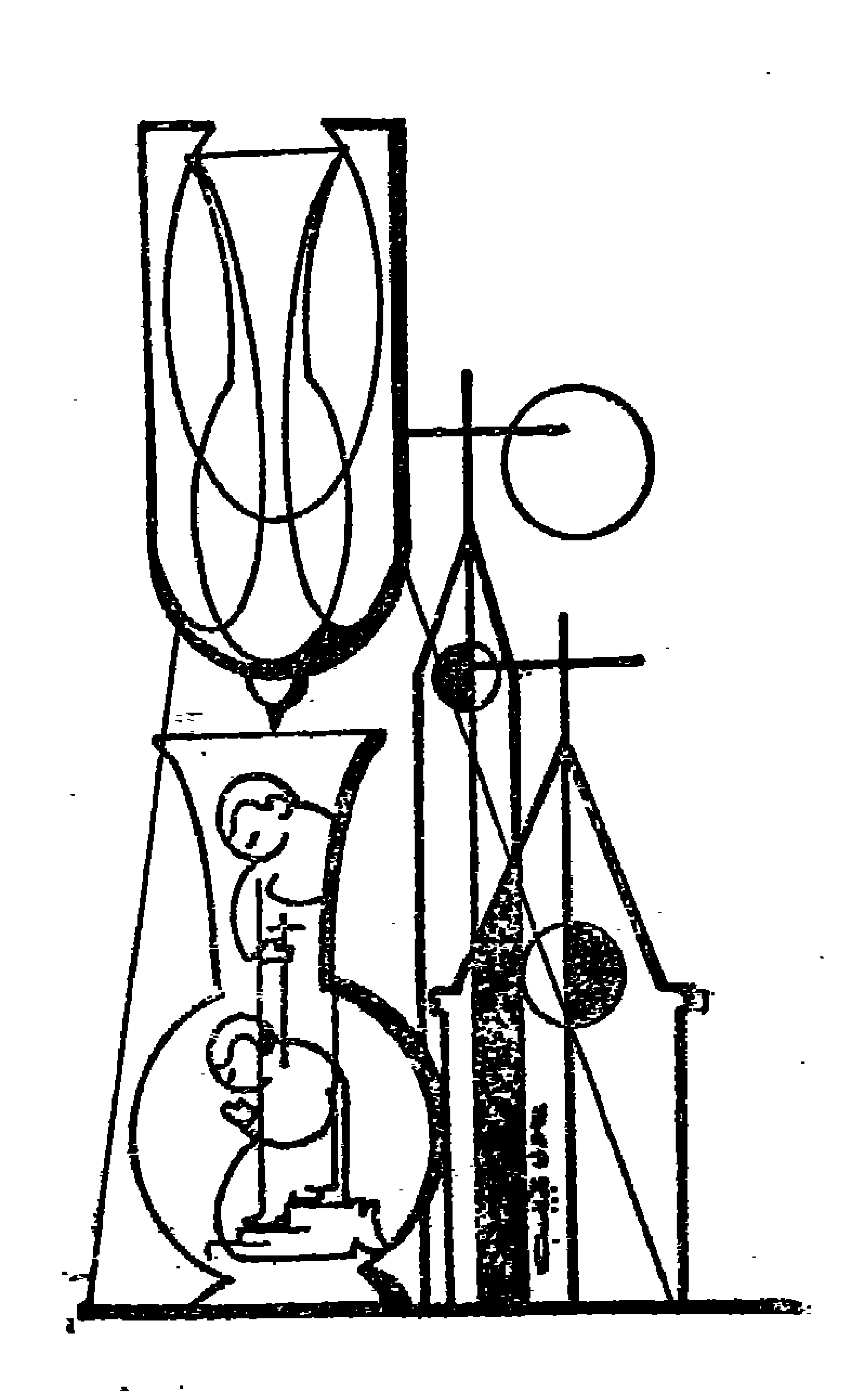
أما وصف الكتاب المقدس للمسيحيين بأنهم قديسون أو مدعوون قديسين ، فهذا وصف لمقامهم فى المسيح وليس دليلا على حالتهم ، فهم حصلوا على بر المسيح وابتدأ الروح القدس يعمل فيهم ...

فما أبعدنا عن الكمال التام ، ولنقل مع المرنم : « لكل كمال رأيت أما وصيتك فواسعة جدا » (مز ١١٩ : ٩٦) .

هذه الحقيقة لا تجعلنا نفشل او نتكاسل فى الاجتهاد ، بل انها تزيدنا شوقا ورغبة فى النمو والتقدم قائلين مع بولس الرسول : « أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسى انى قد أدركت . لكنى افعل شيئا واحدا اذ أنا انسى ما هو قدام » (فى ٣ : ١٣) .

(١٤)

الروح القدس



(١)

الروح القـدس

ويشتمل على الأبحاث التالية :

أولا : الروح القدس : حلوله ومظاهره ومواهبه .

ثانيا : التجديف على الروح القدس أو هل هناك خطية يستحيل غفرانهـا .

ثالثا : ارشاد الروح القدس او كيف اكتشف ارادة الله .

أولا : الروح القدس

حلوله ومظاهره ومواهبه

كل مسيحى يؤمن بالثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس ــ اله واحد فى ثلاثة اقانيم ...

الآب ــ هو الله الخالق الحافظ المعتنى .

الابن ــ هو الله المتجسد فى صورة البشر .

الروح القدس ــ هو الله الذى يملأ السماء والأرض ويحل فى قلوب المؤمنين يقدسهم ويرشدهم .

الى هنا يتفق المسيحيون فى التعليم ...

ليست هناك خلافات جوهرية فى التعليم عن الآب والابن ...

أما عن الروح القدس ــ فالأمـر يختلف .. فالحديث عنـه متشعب وطويل ...

والناس يتساءلون اسئلة كثيرة محيرة ...

هل يحل الروح القدس فى كل مؤمن ؟

وهل هناك درجات فى التمتع بهذه البركة ؟

هل هناك علامات ظاهرة تبين أن شخصا ما يمتاز من ناحية هذه البركة عن غيره من البشر ؟

كالحرارة والبكاء فى الصلاة مثلا ...

كالتكلم بألسنة او اجراء معجزات شفاء ... او القدرة على معرفة اعلانات من الله وتوجيه رسائل الى الغير ؟

وهل يستطيع كل مؤمن ان ينال هذه الاختبارات ، أم أنها قاصرة على عدد ممتاز ونوع خاص من البشر ؟

ونحن نقرأ فى الكتاب المقدس تعبيرات مختلفة عن علاقة الروح القدس وعمله فى الانسان .

فنقرأ عن تجديد الروح القدس – ومعمودية الروح القدس والملء بالروح ومسحة الروح وختم الروح ... فهل كل عمل من هذه الأعمال اختبار معين يختلف عن الآخر ام كلها أوصاف لعمل واحد يعبر عنه بأساليب مختلفة ؟

وهكذا تتوالى الأسئلة التى لا نهاية لها عن هذا الموضوع – ولكى نستطيع أن نصل الى الحقائق الكتابية السليمة فى هذا الأمر ، علينا أن ندرس الآيات الكتابية قارنين الروحيات بالروحيات ، دون أن نضع فى عقولنا هيكلا فكريا او عقيدة مسبقة نحاول اثباتها ببعض الآيات دون غيرها .

١ – من هو الروح القدس ؟

الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت . هو الله الحال فى كل مكان وفى كل زمان .

لذلك نتحدث عنه بالقول **من هو** وليس **ما هو** وعندما يتحدث الكتاب لا يقول **حلت** الروح القدس بل **حل** الروح القدس . فهو ليس قوة او تأثير بل شخص الله .

— الروح كان مع الله عند الخلق . قال الله : « **نعمل** الانسان على صورتنا كشبهنا » (تك ١ : ٢٦) .

« ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض » .

أيوب " روح الله صنعنى ونسمة القدير احيتنى » (أى ٣٣ : ٤) .

— وهو الذى يبكت الانسان ويدينه فى ضميره .

« لا يدين روحى فى الانسان الى الأبد » (تك ٦ : ٣) .

ويعلم البشر « اعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم » (نحميا ٩ : ٢٠) .

وهو العامل فى الأنبياء للوحى والشهادة .

« لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ؛ بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بطرس ١ : ٢١) .

كان الروح القدس ملهما للانبياء ؛ ومقويا لرجال الله فى العهد القديم . لكن فى العهد الجديد أصبح الروح القدس من حق كل مؤمن يقبل المسيح ...

— اصبح الانسان يولد ثانية من الروح ؛ فيسكن فيه روح الله القدوس .

وهذا يميز المؤمن عن غير المؤمن . قال يسوع لتلاميذه : « وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . واما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم (فى المسيح) ويكون فيكم . لا اترككم يتامى انى آتى اليكم » (يو ١٤ : ١٦ — ١٨) .

٢ — سكنى الروح :

فالروح القدس يسكن فى كل مؤمن عند الميلاد الثانى — قبل التجديد

يعمل روح الله فى الانسان ايضا لأنه لا يمكن لأحد ان يحد من تأثيرات روح الله . وعند التجديد يسكن الروح القدس فى الانسان . وبذلك يمكن للانسان أن يقول : « فأحيا لا انا بل المسيح يحيا فى (غلاطية ٢ : ٢٠) .

ويقول بولس لأهل روميه « اما انتم فلستم فى الجسد بل فى الروح ان كان روح الله ساكنا فيكم » (رو ٨ : ٩) .

هذا الحلول أو السكن هو نفسه انسكاب الروح أو معمودية الروح القدس فكلها تعبيرات مختلفة لحقيقة واحدة .

يقول الرسول « ولكن حين ظهر لطف الله مخلصنا واحسانه ، لا بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته ، خلصنا بغسل الميلاد الثانى **وتجديد** الروح القدس ، الذى **سكبه** بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا » (تيطس ٣ : ٤ — ٦) .

وقد قال يوحنا المعمدان عن المسيح : « انا أعمدكم بماء للتوبة ... يأتى بعدى مم هو اقوى منى .. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١٢) . وقد قال المسيح لتلاميذه : « لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير » (أ ع ١ : ٥) .

وفى خطاب بطرس يوم الخمسين قال : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » (اع ٢ : ٣٨ ، ٣٩) .

فالمعمودية هى نفسها الانسكاب هى نفسها حلول الروح .

فى قصة كرنيليوس (اعمال ١٠) وحديث بطرس عنها فى (أعمال ١١) نفهم هذا بوضوح .

« بينما كان بطرس يتكلم حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة ... لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم » **حتى قبل المعمودية بالماء** ويروى بطرس ذلك فى أ ع ١١ : ١٦ قائلا : « فتذكرت كلام الرب كيف انه قال ان يوحنا عمد بالماء أما أنتم فستعمدون بالروح القدس » .

هذا الانسكاب او المعمودية ليس لجماعة متميزة بل لجميع المؤمنين .

« لأننا **جميعنا** بروح واحد ايضا **أعتمدنا** الى جسد واحد ... وجميعنا سقينا روحا واحدا .. » (١ كو ١٢ : ١٣) .

٣ ــ هل يمكن أن يكون هناك ايمان حقيقى دون حلول الروح القدس فى الانســـان ؟

الجواب ــ لا يمكن .

عندما جاء بولس الى افسس وجد هناك جماعة بشرهم أبلوس ولم يكلمهم الا عن معمودية التوبة مثل (يوحنا المعمدان) وســـألهم هل قبلتم الروح القدس لمـــا آمنتم ؟ قالوا له ولا سمعنا انه يوجد الروح القدس ــ فابتدأ بولس يشرح عن الايمان الحقيقى بالمسيح ، فلما آمنوا ايمانا حقيقيا وأعتمدوا باسم يسوع وحل عليهم الروح القدس ــ لم يكن ايمانهم صحيحا لأن الثالوث الأقدس ضرورى للخلاص (أعمال ١٩ : ١ ــ ٧) .

كذلك الســـامرة قيل انها **قبـــلت كلمة الله** ، ومن بينهم ســـيمون الساحر قيل انه آمن (أعمال ٨ : ١٣) واعتمد وكان يلازم فيلبس .لكن كل هذا لم يكن ايمانا صحيحا ، الى أن جاء اليهم بطرس ويوحنا ، فعندما آمنوا فعلا حل عليهم الروح القدس .

سيمون كان ايمانه مظهريا غير حقيقى ، بدليل أن بطرس قال له عندما أراد أن يشترى موهبة الله بالمال : « لتكن فضتك معك للهلاك .. ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا لأن قلبك ليس مستقيما أمام الله . فتب من شرك واطلب الى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك لأنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم » (أعمال ٨ : ٢١ ، ٢٢) .

٤ ــ ماهى واسطة معمودية الروح القدس ؟

انها **كلمة الله** وليست العواطف والانفعالات فى (أعمال ١٠ : ٤٤) « فبينما بطرس يتكلم (عن المســـيح والصليب) بهذه الأمور حـــل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة » .

« المسيح أحب الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء **بالكلمة** » . (افسس ٥ : ٢٩) .

٥ — هل هناك فرق بين معمودية الروح القدس ، ومسحة الروح ، وختم الروح ؟

لا يوجد فرق ... كلها تعبيرات مختلفة تعبر عن حقيقة واحدة .

فمسحة الروح القدس معنـــاها ان الله يعطينا من روحـــه فيعزينا ويرشدنا الى جميع الحق .

« أما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٦) .

« متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق » (يو ١٦ : ١٣) .

« اما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شىء » (ايو ٢ : ٢٠)

وختم الروح القدس معناه أن وجود الروح القـــدس فينا يطبع اخلاق الله على حياتنا ، وعلامة اننا ملك لله لأنه يضع ختمه علينا أو روحه فينا . ويضمن حياتنا من السقوط .

٦ — فما هو معنى الامتلاء من الروح القدس اذا ؟

ليس الروح القدس شيئا محسوسا ، ملموسا ماديا ، وليس الانسان اناء له حجم معين يمكن عمل مقاييس فيه فنقول ان هذا الانسان ممتلىء من الروح ، وهذا الانسان غير ممتلىء من الروح بنفس القدر ؟

ليست هنـــاك معايير بهذا المعنى ؟

ما المقصـــود اذا ؟

المقصود بالامتلاء من الروح القدس ، الامتلاء من الله — اى ان الله يمتلك حياة الانسان ويستخدمها بقوة لمجـده .

فى الكتاب وردت آيات توصى بالقول :

— لا تحزنوا الروح .

— لا تطفئوا الروح .
— امتلئوا بالروح .

اى لا تحزنوا الله الساكن فيكم بابتعادكم عن حياة القداسة ...

ولا تتفوا فى سبيل الله الذى يريد أن يستخدمكم لمجده فتطفئوا ناره المتأججة الراغبة فى اضرام غيرتكم لعمل الصلاح ..

بل افتحوا الباب على مصراعيه لعمل الله فيكم .

هذا هو معنى الامتلاء بالروح ...

ان نزيل العوائق من انانية وجسدانية فنترك فرصة لله ان يملأنا أو يمتلكنا فيستخدمنا ..

فالامتلاء من الروح القدس ليس اختبارا محددا يحدث مرة واحدة ويقول الانسان عن نفسه انه نال اختبار الملء .

كمن يقول انه نال شهادة الثانوية العامة مثلا ...

انه اختبار متكرر كلما تفتحنا لعمل الله فينا كلما امتلأنا من الله — اى من روح الله — لو كان الملء اختبارا محددا واحدا لما امكن ان يقال اكثر من مرة واحدة عن الشخص الواحد .

مثل التجديد مثلا — لا يقال فلان تجدد منذ سنة — ثم نقول عنه انه تجدد اليوم وهكذا ...

التجديد اختبار يحدث مرة واحدة ...

الملء هو عمل مستمر فى حياة الانسان كلما افرغ نفسى من ذاتى يملؤنى الله .. كلما املك ذاتى — يقل عمل الله فى .

كلما انقص انا ... يزيد فى المسيح .

كلما ازيد انا ... ينقص فى المسيح .

قبل كل رسالة هامة كان الرسل يصلون ويتفرغون من ذواتهم فيملؤهم الله . فى سفر الأعمال ٢ : ٤ يقال عن جميع الرسل انهم « امتلأ الجميع من الروح القدس » وكان بطرس واحدا منهم .

وبطرس فى اعمال ٤ : ٨ بعد شفاء الأعرج وقبل الكلام مع رؤساء شعب اسرائيل وكان هذا يحتاج الى شجاعة وقوة يقول الكتاب :

« حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس » مع أنه سبق وامتلأ يوم الخمسين .

ويتكرر الأمر بالنسبة للجميع فى أع ٤ : ٣١ «ولما صلوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة .

بولس عند كلامه الى عليم الساحر (أع ١٣ : ٩) .

امتلأ من الروح القدس .

استفانوس قيل عنه انه مملوء من الروح القدس (اع ٦ : ٥) وعندما استشهاده فى (أع ٧ : ٥٦) شخص الى السماء وهو مملوء بالروح القدس .

٧ — كيف يظهر عمل الروح القدس فى الانسان ؟

(ا) يظهر هذا عندما يسود الله على حياة الانسان — عندما ينقاد الانسان لروح الله .

(ب) عندما يظهر ثمر الروح القدس فى حياة الانسان .

غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣ أما ثمر الروح فهو محبة — فرح — سلام — طول اناة — لطف — صلاح — ايمان — وداعة — تعفف .

(جـ) عندما يكون الانسان مرنا ليختم الله حياته بفضائل الله .

(د) عندما يكون الانسان دائم التطلع الى أعلى فيرى رؤى خلاقة دون فشل — لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح .

(هـ) فى أفسس (٥ : ١٨ — ٢١) .

يبين لنا الرسول نتائج الامتلاء بالروح القدس امتلئوا بالروح .

« مكلمين بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح واغانى روحية » .
الفرح المتبادل

« مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب » . الفرح القلبى

« شاكرين كل حين وعلى كل شيء باسم ربنا يسوع المسيح » الشكر

« خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله » .
النظام والسلام والاحترام المتبادل

٨ — وماذا يقال فى بعض المواهب الروحية التى كانت فى الكنيسة المسيحية الأولى مثل التكلم بالسنة والشفاء والأعلانات والتنبؤ ؟

ان العلامات التى ذكرناها من قبل (المحبة — الفرح — السلام — النظام الخ) هى الثمار الحقيقية للروح القدس فى حياة الانسان ، والتى تعبر فعلا عن عمله — اما بعض المظاهر الخاصة التى كانت تعطى لبعض الأفراد فى الكنيسة المسيحية الأولى فقد كانت موقوتة لزمن خاص ولغرض خاص .

اما الزمن الخاص فهو نشأة الكنيسة المسيحية فى عصرها الأول ، أما الغرض الخاص فهو اثبات كلمة الوحى التى تكلم بها الرسل ودونوها فى الكتاب المقدس .

ولقد تبعت هذه العلامات أو الآيات المؤمنين كما قال المسيح ، الى أن تمت كتابة اسفار الوحي الالهى فصارت دليلا على صدق الوحى . قال يسوع : « هذه الايات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة . يحملون حيات وأن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » (مر ١٦ : ١٧ ، ١٨) .

وقد تبعت الايات ومواهب الروح القدس المؤمنين الى أن قامت بغرضها ، وهو تثبيت كلمة الوحى وارسالية الرسل — وفى هذا يقول الرسول الى العبرانيين : « فكيف ننجو نحن ان أهملنا خلاصا هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا . شاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب ارادته » (عب ٢ : ٣ ، ٤) .

وقد بطلت هذه الايات بتأدية الغرض منها حسب قول الرسول مقارنا بين الثمر الدائم للروح للقدس وبين المظاهر المؤقتـــة اذ قال : « المحبـة لا تسقط ابدا . اما النبوات فستبطل والالسنة فستنتهى والعلم فسيبطل » — ويقصد بهذا مواهب النبوة والاعلانات والالسنة .

لقد كانت هذه الأولى من علامات طفولة الحياة المسيحية التى تعتمد على المحسوسات ، ولكن الرسول يقول « لمــا كنت طفلا كطفل كنت اتكلم، وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت افتكر . ولكن لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل» (١ كو ١٣ : ١١) .

« أيها الاخوة لا تكونوا أولادا فى اذهانكم بل كونوا أولادا فى الشر أما فى الأذهان فكونوا كاملين » (١ كو ١٤ : ٢٠) .

(٢)

التجديف على الروح القدس

هــل هنــاك خطية
يستحيل غفرانها ؟

* * *

سؤال خطير ومزعج .. فلو انه توجد خطية لا يمكن أن يغفرها الله ، فانها تبقى رعبا وفزعا لنا طيلة الحياة .. عاهة مستديمة فى شــكل حياتنا الروحى لا نستطيع لها علاجا ..

فنحن دائما نرتجي غفران الله ، وهذا الأمل هو مصدر راحتنا وسعادتنا .. لكن اذا أغلق باب الغفران ، ضاع الأمل ، وتبخرت السعادة والراحة .

ولكى نســتطيع ان نجيب على هــذا السؤال ، يجب أن ندرس معنى الغفران ، ثم نعاود السؤال عما اذا كانت هناك خطية لا تغفر ..

معنى الغفران :

الفكرة الأساسية فى الغفران هى أن الله يعتــبر أن المؤمن مات مــع المسيح ، وبذلك يتبرأ من الخطية لأنه لا يجوز محاسبة الميت .. وبعد أن يتبرأ المؤمن من الخطايا الماضية ، والحاضرة ، لا يحسب له الرب خطية فيما بعد .

ويشرح بولس هذه الحقيقة فى رسالة رومية بقوله : « عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد ايضا للخطية لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية » (رومية ٦ : ٦ ، ٧) ويشرح فى نفس الرسالة حقيقة الغفران مستشهدا من العهد القديم قائلا : « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فايمانه يحسب له برا . كما يقول داود ايضا فى تطويب الانسان الذى يحسب له الله برا بدون أعمال . طوبى للذين غفــرت آثامهم وســترت خطاياهم ، طوبى للرجل الذى لا يحسب له الرب خطية » (رو ٤ : ٥ — ٨) .

ويقول فى رسالة كورنثوس الثانية « أن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ كو ٥ : ١٩) .

ويمكن أن نلخص معنى الغفران فى أربع نقاط :

١ ـــ الله يرفع الدينونة التى على الخاطىء .

« اذا لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » (رومية ٨ : ١) .

٢ ـــ الله يمحو الخطايا وينساها ولا يذكرها .

« قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك » . (اش ٤٤ : ٢٢)

« توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم » (اع ٣ : ١٩)

« من هو اله مثلك غافر الاثم وصافح عن الذنب .. يعود يرحمنا يدوس آثامنا ، وتطرح فى اعماق البحر جميع خطاياهم » (ميخا ٧ : ١٨ ، ١٩) .

٣ ـــ الله بغفرانه يطهرنا من كل خطية .

« هلم نتحاجج يقول الرب ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ان كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف » (اش ١ : ١٨) .

« دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » (١ يو ١ : ٧) .

٤ ـــ غفران الله شامل للماضى والحاضر والمستقبل .

« لأنى أكون صفوحا عن آثامهم ولا اذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد » (عب ٨ : ١٢) .

فالله بنعمته يحكم بألا يطالب المؤمن بخطاياه المستقبلة مطالبة الدينونة وذلك بناء على اقتران المسيح بالمؤمن وثبوته فيه لأن المسيح احتمل القصاص بدلا منه .

والخطايا الصادرة من الانسان بعد تجديده لا تبطل الغفران السابق . وهذا واضح من القول فى روميه ٥ : ٨ — ١٠ :

« ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب . لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته » .

صفحة اعتراضية :

هذه الحقيقة لا تشجع المؤمن على الاستمرار فى الخطية ، والا فان هذا يلقى ظلا من الشك على صحة ايمانه ، وفاعلية دعوته « ومن يظن انه قائم فلينظر ان لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) فالمؤمن مات عن الخطية فكيف يعيش بعد فيها (رو ٦ : ٢) وشعور المؤمن بنعمة الله وغفرانه يزيد حبه لله وطاعته له ، والشكر العميق على هذه النعمة فيجتهد فى حياة الطاعة ، لأن تلك النعمة تعلمه أن ينكر الفجور والشهوات العالمية ويعيش بالتقوى والبر والتعقل فى العالم الحاضر (تيطس ٢ : ١٢) .

ان خطايا المؤمنين تحزن الله حزنا شديدا ، وتحزن روح الله الساكن فيهم (أف ٤ : ٣٠ ، ٣١) والله يؤدب مرتكبى الخطية تأديبا شديدا فى حياتهم فى الجسد لكى يعفيهم من الدينونة التي يدين بها الرب غير المؤمنين (١ كو ١١ : ٣٢) .

لذلك فالمؤمن عند الخطية يحزن ، ويصلى ويطلب الغفران ، وهو فى ذلك لا يطلب شيئا جديدا ولكنه يعترف بخطيته ويطلب تأكيدا من الله لنفسه بغفران خطاياه حسب مواعيده ، قائلا مع داود : « لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى ، رد لى بهجة خلاصك وبروح منتدبة اعضدنى » .

الخطية التى لا تغفر :

اذا كانت هذه المعانى هى معانى الغفران غفران شامل كامل لكل خطية وتطهير لكل اثم ماض وحاضر ومستقبل .

فما معنى قول المسيح : « كل خطية وتجديف يغفر للناس وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما

من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى » (متى ١٢ : ٣١ ، ٣٢) .

لقد ذهل دارسو الكتاب المقدس اذ قرأوا كلاما عن خطية لا تغفر يخرج من فم يسوع مخلص البشر .. وهو الرحيم الغافر الشفوق ..

وقد حاول بعض الدارسين ان يخففوا شيئا من حدة وتصميم التعبير الذى ذكره السيد ، بالقول بأن الاسلوب المبالغ فيه أمر عادى فى لغة أهل الشرق عموما ، وأن المقصود بهذه العبارة جسامة هذه الخطية لا غير .. واصحاب هذا الرأى يقولون ان هناك عبارات مماثلة فى الكتاب المقدس لا يقصد بها المعنى الظاهر حرفيا كقول المسيح « ان كان احد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا » (لوقا ١٤ : ٢٦) والمقصود هنا هو تفضيل المسيح على جميع الأهل وليس الكراهية بالمعنى القبيح الذى نفهمه حرفيا .

وهناك تعبيرات فى الكتاب تشير الى شناعة بعض الآثام فى نظر الله ، معبر عنها بصورة مماثلة مثل القول :

« ولذلك أقسمت لبيت عالى أنه لا يكفر عن شر بيت عالى بذبيحة أو بتقدمة الى الابد » (١ صم ٣ : ٤) .

والقول « فأعلن فى أذنى رب الجنود لا يغفرن لكم هذا الاثم حتى تموتوا يقول السيد رب الجنود » (اشعياء ٢٢ : ١٤) .

فهل هذا الكلام الذى ذكره المسيح نوع من تأكيد شناعة الخطية ؟

الواقع اننا نلاحظ أن المسيح وهو يتحدث عن هذه الخطية يقارنها بغيرها ويتكلم بأسلوب قاطع لا يحتمل التفسير بأنه تعبير مجازى .

على أننا لو فهمنا نوع الخطية لعرفنا السر فى أنها لا يمكن أن تغفر ..

ان الخطية التى لا يمكن أن تغفر هى رفض رسالة الله التى يكلمنا بها روح الله فى قلوبنا وفقدان الوعى الروحى .

اذا قال احد كلمة على اى انسان ، او حتى على ابن الانسان .. اذا شك واحد فى رسالة المسيح ، فيمكن أن يكون هناك مجال للغفران — كما شك بولس فىرسالة المسيح وتصرف«بجهل فىعدم ايمان» والله رحمهوخلصه .. ولكن عندما نستمع الى صوت روح الله يكلمنا فى قلوبنا ويقنعنا ونرفض هذا الصوت ، فنحن بذلك نكون قد رفضنا رسـالة الله باصرار وباختيارنا الخاص .. وهذا يجعل حياتنا غير قابلة للتوبة ، ومعدة للهلاك .

هذا ما قصده كاتب الرسالة الى العبرانيين بالقول : « فانه ان اخطانا باختيارنا بعدما اخذنا معرفة الحق لا تبقى بعـد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة ان تأكل المضادين » (عب ١٠ : ٢٦ ، ٢٧) .

هذا هو التجديف على الروح القدس .. الروح القدس هو الذى يقدم معرفة الله للبشر وينير افهامهم ، لكن بعض الناس اذ يرفضون عمل هـذا الروح يفقدون قدرتهم على قبـول الحق الالهى وتمييزه ، فيفقدون الوعى الروحى ، فتستحيل التوبة عليهم وبذلك يستحيل الغفران .

ولزيادة التوضيح نقول انه فى كل ناحية من نواحى حياة الانسان ، تضيع القدرات عنده عندما يهمل استخدامها ، فالذى لايستخدم عضلة معينة فىجسده يعرضها للضعف ، والذى يهمل لغة معينة سبق وتعلمها يعرضها للنسيان ، ومن لا يعود نفسه سماع الموسيقى الرفيعة ويكتفى بسماع الموسيقى الرخيصة يفقد قدرته على التذوق الموسيقى .

لذلك فالانسان اذا اغلق عينيه واذنيه تجاه صوت الله وطريق الله ، واتخذلنفسه طريقا آخر واستمر زمنا طويلا يرفض الخضوع لارشاد الله ، فانه بعد وقت يفقد قدرته على تمييز صوت الله ، وحق الله وجمال الله وخير الله عندما يرى هذه الاشياء ، وبذلك يصل الى درجة يبدو له فيها الباطل فى صورة الحق ، والشر فى صورة الخير لانه يفقد الوعى والادراك الروحى .

هذه هى الدرجة التى وصل اليها جماعة الكتبة والفريسيين لانهم اغلقوا عيونهم وآذانهم أمام صوت الله ودعوة روحه ، وأصروا على اسلوبهم وطريقهم زمنا طويلا ، لذلك لم يستطيعوا أن يميزوا الصلاح عندما جاء اليهم متجسداً واعتبروا ابن الله متحالفا مع الشيطان .

فالخطية ضد الروح القدس أو التجديف على الروح هى خطية رفض مشيئة الله ، حتى أن الانسان فى النهاية يفقد قدرته على تمييز صوت الله عندما يأتيه فى أوضح الصور .

ولماذا تبقى هذه الخطية دون غفران ؟ وما الذى يجعلها تختلف عن سائر الخطايا ؟ الجواب بسيط : ان الانسان عندما يصل الى هذه الدرجة تكون التوبة بالنسبة له أمرا مستحيلا .. وعندما لا يستطيع الانسان أن يميز الخير حين يراه ، فانه لا يستطيع أن يشتهى الخير — وعندما لا يستطيع الانسان أن يميز الشر عندما يفعله ، لا يندم عليه ولا يكرهه ولا يرغب فى تركه ، وبذلك لا يستطيع أن يتوب ، وبالتالى لا تغفر له خطيته ، لأن الشعور بالخطأ هو الذى يدفعنا للارتماء على فداء المسيح لننال الخلاص .

أما عبارة « لا فى هذا العالم ولا فى العالم الآتى » فهذا تعبير كان مألوفا عند اليهود . كانوا يقسمون التاريخ الى قسمين « هذا العالم والعالم الآتى » أو « هذا الدهر والدهر الآتى » ويصفون « بهذا الدهر أو هذا العالم » العالم فى حال الخطية قبل عهد المسيا ، والعالم الآتى العالم بعد مجىء المسيا .

ويقصد المسيح بأنه سواء قبل مجىء المسيا أو فى عصر المسيا ، فان فقدان الوعى الروحى يغلق باب التوبة والتجديد والغفران أمام الانسان .

هؤلاء هم الذين لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون .. الله يعلن لهم وينير أذهانهم ويريهم قوات وآيات عصر الملكوت لكنهم يصرون على السقوط فى هاوية رفض رسالة الله .. وصفهم كاتب الرسالة للعبرانيين بالقول « لأن الذين استنيروا مرة ، وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ، وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضا للتوبة اذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه» (عب ٦ : ٤ — ٦) .

هذه هى الخطية التى للموت ، لأنها من الموت والى الموت .

فليطمئن الذين يرتعبون خوفا من أن يكونوا قد جدفوا على الروح القدس، لأن هذا الخوف نفسه دليل على أن احساسهم بالخطية موجود ، وهذا دليل على أن لديهم وعيا فلم يرفضوا عمل روح الله ، وعليهم أن يستجيبوا لنداء الله عندما يسمعون صوته فلا يقسوا قلوبهم .

الخطية التى لا تغفر ليست عملا معينا ، أو كلاما معينا ، انما هى اتجاه كامل فى الحياة ، برفض عمل الله نهائيا فى القلب ، فيفقد الوعى والاحساس .. فتضيع فرصة التوبة ، والغفران ..

لكن ما دمت تستطيع أن تتوب ، فهناك غفران كامل لأشر الخطايا .

(٣)

ارشـــاد الروح القدس

أو

اكتشـــاف ارادة اللـــه

سؤال يواجهه الكثيرون بالحيرة خاصة عندما يقفون فى مفترق الطرق ، وامامهم أكثر من طريق يريدون ان يسلكوا واحدا منهم ..

أنهم يعلمون أن ارادة الله بالنسبة للمؤمن ارادة صـــالحة ومرضية وكاملة ، لذلك فهم يطلبون أن يعرفوا الاتجاه الذى يشير الله اليه لكى يسلكوا فيه ، ليطمئنوا انهم يسيرون فى الطريق الصحيح .

عندما تكون هناك فرصة أمام شاب أو فتاة ليختار بين كلية وأخرى ، ومجموع درجاته حسب النظام الحالى للتنسيق يؤهله لأكثر من كلية،يتساءل : يا ترى ما هى المهنة التى يريدنى الله ان اتخذها لنفسى وابنى مستقبلى على أساسها ؟ وقد يشعر الشخص برغبة فى التقدم لعمل معين ، ويتساءل كيف اتأكد ان هذا يتفق مع مشيئة الله ؟ وعند اختيار زوج او زوجة ، يقف الشاب او الشابة حائرا : هل يا ترى يكون الشخص الذى اقبله ويقبلنى من اختيار الله او هو اختيار ذاتى ؟

وكيف اتصرف وأتأكد أن هذا هو اختيار الله ؟

وفى مواقف كثيرة فى حياة الانسان ، يجد الفرد نفســـه أمام أكثر من حل ، وأكثر من طريق ، ويواجه نفس السؤال .

ما معنى ارشاد الله للانسان ؟ وكيف يأتيه ؟ هل هو اقتناع داخلى ؟ وألا يمكن أن يكون هذا ذاتية وانانية مقنعة ؟

هل أصلى وانتظر ان يكشف الله لى مشيئته فى حلم أو فى رؤيا ؟ هل استخدم أسلوب القرعة ؟ هل افتح الكتاب المقدس وأضع يدى على آية تبين لى اتجاه ارادة الله ؟

هل نصيحة رجل الدين أو الصديق المؤمن تعبر عن ارادة الله ؟ أم هل اذا كانت الامور سهلة ميسورة دون عقبات دل ذلك على ان الله يريد ، وهل اذا جاءت عقبات فى الطريق اتراجع واعتبر ان الموضوع ضد مشيئة الله ؟

ان الموضوع متسع لأنه يشمل علاقة الانسان بالله وبالأحداث المختلفة فى كل ظروف الحياة ، ولست أدعى انتى سأجيب على كل الأسئلة الحائرة فى عقول الناس وأعطيهم مفتاحا سحريا يعرفون به مشيئة الله ، لكنى فى هذا الحديث أضع بعض المبادىء ، التى يمكن أن تعاون الانسان فى صراعه الفكرى ومعاناته النفسية وهو يحاول أن يكتشف ارادة الله فى حياته .

١ — المبـدأ الأول :

ان علاقة الفرد بالله ينبغى أن تكون لهـا صفة الشركة الدائمة والتجاوب المستمر ، لا أن تكون عرضية فى المناسبات فحسب ، بمعنى أن علاقتك بالله لا يجب أن تكون كعلاقتك بالطبيب ، تذهب اليه عند الحاجة عندما تشعر بتعب أو تحتاج الى عملية جراحية ، بل يجب أن تكون كعلاقتك بالاسرة التى تحيا فيها دائما وتجد فى جوها طعامك وشرابك وقوتك وسعادتك وارشادك .

ان بعض الناس لا يفكرون فى الله الا عند الأزمات أو المناسبات ، هنا يطلبون ارشاده ... هؤلاء لن يستطيعوا أن ينالوا هذا الارشاد ، لأن علاقتهم بالله منقطعة . ان شعار المؤمن ينبغى ان يكون :

« جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » (١)

وعلى هذا الأساس فليس من المعقول مثلا أن شخصا ما يحيا بعيدا عن الله ، ولا يهتم بتنمية الفضائل المسيحية فى حياته ، ثم يأتى عند اختيـار عمله أو شريكة حياته ويقول انه يريد أن يعرف ارادة الله بالنسبة له . فما دام هو يحيا بعيدا عن جو أسرة الله ، فكيف يطلب امتيازا هذه الأسرة فى موقف معين ؟ .

فالشركة الدائمة مع الله فى كل وقت ، هى أساس طلبنا أن نعرف مشيئة الله فى حياتنا .

المبـدأ الثانى :

هو ان الحياة فى محضر الله الدائم تجعل مشيئة الله تسيطر على حياة الانسان من كل نواحيها فتشمل جميع اموره الصغيرة منها والكبيرة . ذلك أن حياة الايمان والشركة تؤثر فى شخصية الانسان نفسه وتجعله يسير فى الخط الذى يريده الله فى الأمور الصغيرة والحياة اليومية .

ولا شك ان المواقف الهامة فى حياة الانسان تتأثر بشخصيته وبأسلوبه فى مواجهة الأمور. هذه الشخصية وهذا الأسلوب هو محصلة مجموعة كبيرة من القرارات الصغيرة التى يتخذها الانسان فى حياته . فليس فى حياةالانسان فاصل دقيق بين الاختيارات الصغيرة ، والاختيارات الخطيرة فالأمور الكبيرة تعتمد على الصغيرة — والأمين فى القليل أمين فى الكثير ، والظالم فى القليل ظالم فى الكثير .

فمن لايطلب مشيئة الله فىالأمور الصغيرة مثل أسلوب حياته ، واختيار أصدقائه ، ونظام معيشته ، وقراراته اليومية الصغيرة ، لا يمكنه أن يطلب مشورة الله فى الأمور الكبيرة .

وعندما يتدرب الانسان أن يكتشف مشيئة الله فى الأمور الصغيرة ، فان هذا سيكون معاونا له ليكتشف مشيئة الله فى الأمور الكبيرة .

المبدأ الثالث :

هو أن اعلان الله لمشيئته واضح على وجه العموم فى الكتاب المقدس . فمن الضرورى أن ندرس هذا الكتاب ونتعمق فى فهمه لندرك هذه الارادة .

فالكتاب المقدس هو الاعلان الصريح الواضح الكامل لارادة الله ، صحيح أن الكتاب لا يستطيع أن يحدد لنا اتجاها معينا بالذات فى مشكلة فرديةمثل أى عمل أختار ، أو أى كلية التحق بها ، أو أى فتاة أتزوجها . .

ومن السخفة والاستهتار بالكتاب المقدس أن نعتبره مثل « كتب البخت والطالع » فنفتح الكتاب على أى صفحة ونضع أصبعنا على آية ونقول هـذا هو حظنا أو هذه هى مشيئة الله . . اننا بذلك نهدر من كرامة الكتاب ونعتبره مجرد آلة عشوائية صماء . . ان الكتاب معلم وليس صدفة عشوائية . «ان شاء أحد أن يعمل مشيئته ، يعرف التعليم » (يو ٧ : ١٧) .

ان الكتاب المقدس يكلمنا فى افكارنا وعقولنا وضمائرنا بمبادىء وقيم تتفق مع ارادة الله .

وفى الكتاب المقدس نرى بعض الحقائق العامة التى تساعدنا على ادراك مشيئة الله بالنسبة لنا . مثلا ان الله يريد خلاص البشر من الخطية ، وان الله يريدنا ان نسلك كأبناء له ، وان ارادة الله هى قداستنا ، وان الله يريدنا ان نثمر ثمرا صالحا فى الخدمة ، وان الله يريدنا أن ننمو فى المعرفة حتى نميز الأمور المتخالفة .

لا نستطيع أن نبتعد عن الكتاب المقدس ، ونطلب معرفة مشيئة الله . .

المبدأ الرابع :

هو اننا نستطيع ان نكتشف ارادة الله بعدما ندرس كلمته عن طريق عمل روح الله فينا وفى قدراتنا الطبيعية التى اعطاها لنا الله من فكر ومنطق وادراك وتمييز .

هنا يخصص الله اتجاها معينا للانسان فيقنعه به ، من بين عدة اتجاهات أو اختيارات .

فالكتاب المقدس يعطينا مبادىء عامة ، والروح القدس عاملا فى فكر الانسان يحدد هذه المبادىء ويوجهها .

هذه النقطة هى أصعب النقاط ، فنحن نقتنع بالمبادىء العامة ، لكن الانسان يقول : أريد اعلانا واضحا عن ارادة الله فى حياتى لأتأكد أن هذه مشيئته — ان الانسان يريد ان يهرب من مسئولية المعاناة والصراع وموازنة الأمور وتقليب وجهات النظر ، ويريد طريقة سهلة ليعرف بها مشيئة الله . وبعض الناس فى سذاجة وهروب من المسئولية يلجأون الى القرعة مثلا ، أو يطلبون حلما أو رؤيا ، أو يضعون علامة معينة فاذا تحققت كانت هـذه فى نظرهم اشارة الى أن الله يريد هكذا .

وهذا الاسلوب يعتبر أسلوبا صبيانيا ، لأنه يريد أن يهرب من مسئولية التفكير الجاد المتزن ، ويلجأ الى اسلوب آلى أو خيالى .

وقد يقول قائل : فلماذا وردت القرعة فى الكتاب المقدس ، ولماذا تكلم الله فى الأحلام والرؤى ؟

والجواب على ذلك أن العهد القديم كان فترة طفولة الجنس البشرى ، لم يكن روح الله ساكنا فى المؤمنين كما فى عصرنا الحاضر ، ولكنه كان يلهم الانبيـــاء بوحى خاص ، وكان يكلم الناس بالرؤى والاحلام ويعطى موهبة تفسيرها للأنبياء الذين لهم قدرة على تلقى وحى الله . وكان هذا أمرا طبيعيا فى تلك المرحلة الاولى من علاقة الجنس البشرى بالله ، التى كان الله يتعامل فيها مع الناس بالمحسوسات .

لم يكن الوحى قد اكتمل ــ أما نحن فاننا نحيا فى عصر الروح القدس، وقد اكتملت اعلانات الله . كلم الله الآباء بالانبياء قديما **بأنواع وطرق كثيرة**، لكنه كلمنا فى هـــذه الايام الاخيرة فى **ابنه** ــ وهذا الابن هو الذى لم يتركنا يتامى ، لكنه اتى الينا بالروح القدس ــ فمـــا عدنا فى حاجة الى احلام أو رؤى ــ خاصة وقد تتدخل العوامل النفسية والرغبات الذاتية المكبوتة فتعلن عن نفسها عن طريق الاحلام كوسيلة رمزية للتعبير عن رغبة مكبوتة ، ثم ننسبها خطأ الى ارادة الله .

والقرعة هى احدى الوسائل العشوائية ايضا للاختيار ــ ولم يلجأ اليها احد فى العهد الجديد الا الأحد عشر تلميذا عندما ارادوا أن يختاروا تلميذا يأخذ مكان يهوذا الاسخريوطى ، وقد اختاروا رجلين من بين الذين كانوا معهم وشاهدوا الرب يسوع منذ معمودية يوحنا الى قيامته وصعوده وصلوا ثم القوا قرعة ليختاروا واحدا من الاثنين ــ فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الأحد عشر رسولا (أ ع ١) . وجدير بالملاحظة انه قبل القرعة اختـــار الرسل رجلين باعتبار انهم استخدموا تفكيرهم لاختيار شخصين من كثيرين ، وباعتبار أن الاثنين كانا يصلحان للعمل المطلوبين له .

هذا بالاضافة الى أننا نلاحظ بالرغم من ذلك أن متياس لم يكن له ذكر فى العهد الجديد بعد ذلك ، وقد اعتبر كثيرون من الشراح ان الرسول الثانى عشر الذى اختاره الله هو بولس الرسول وان اختيار القرعة لم يكن اختيارا سماويا بل بشريا .

على اى الاحوال نحن لا نشجع القرعة كبديل للتفكير والتروى والموازنة واذا كان لابد من اتباعهـــا عنـــد البعض فلتكن بعـــد التفكير لا قبـــله . ولســـنا ندرى لمـــاذا يهرب النـــاس من مســـئولية التفكير بالالتجـــاء الى

وسائل عشوائية ، الا لانهم لا يعطون التقدير الكافى للامكانيات الطبيعية التى اعطاها لهم الله من فكر وتحليل وموازنة فى ضوء المبادىء الكتابية السليمة .

المبدأ الخامس :

هو أن المؤمن المخلص والذى يريد أن يعرف مشيئة الله حقا ، ينبغى عليه أن يفحص نفسه دائما لئلا يكون خادعا لقلبه ، ويغلب رغباته الخاصة ويقول ان هذه هى ارادة الله .

فالقلب أخدع من كل شيء وهو نجيس ، والشيطان يلبس أحيانا صورة ملاك نور ، ومن السهل ان يفكر الانسان تفكيرا أنانيا ذاتيا وينسب الاختيار أخيرا خطأ الى الله وهنا أنبه على ضرورة الاخلاص ، فاذا فقدنا الاخلاص الكامل لنفوسنا ولربنا ، فقدنا كل قدرة على تمييز ارادة الله .

انه لا توجد طريقة مؤكدة ١٠٠٪ لنعرف بها مشيئة الله مقدما — وقد نكتشف فى منتصف الطريق أننا سلكنا حسب اهوائنا ، ويكون من المفيد أن نعترف بذلك ونتصرف تصرفا مناسبا فى هذه الحالة .

على أنه توجد أسئلة يمكن أن نسألها ، لتساعدنا على اتخاذ قرار سليم يتفق مع مشيئة الله . مثل :

(١) هل هذا الأمر يمجد الله أم الذات ؟

(٢) هل الطلب أنانى أم يخدم الغير ؟

(٣) هل الطلب ناضج أم متسرع ؟

(٤) هل الطلب يتفق مع الامكانيات التى أعطانى الله اياها طبيعيا أم لا ؟ .

(قصة الشخص الذى جاء الى الخادم وهو لا يعرف أن يقرأ الا بصعوبة وقال حلمت ان الله يقول لى أ ، ب أى (اكرز بالانجيل) فقال له الخادم ومن ادراك انها ليست « اشتغل بالطورية »).

(٥) هل جماعة المؤمنين يجدون هذا الامر مقبولا أم انها نزوة فردية لا يستسيغها الناضجون من المؤمنين .

(٦) هل هناك دلائل عملية تدل على أن الله يدعونى لهذا العمل .

المبدأ السادس :

هو اننا اذا كنـــا فى حيرة رغم الصــلاة ودراسة الأمر فان استشارة الأصدقاء الناضجين المختبرين المؤمنين قد يساعدنا على كشف زوايا الموضوع بصورة تساعدنا نحن على اتخاذ قرار .

أى لا ينبغى أن نأخذ كلام الغير قضية مسلمة ، أو نسلم قيادتنا لغيرنا ونقول هذه مشيئة الله ، ولكن الاستشارة من الصلاة والدراسة تقود أخيرا الى الاقتنـــاع .

المبدأ السابع :

هو اننا فى النهاية لا يجب أن ننسب الى الله نتائج سوء اختيارنا ونقول هـــذه ارادة الله .

ان الله أحيانا يريد ونحن لا نريد ، ونقف فى طريق تنفيذ ارادته بارادتنا العاصية .

وقد يسمح الله لنا ــ بقضاء سلبى ــ أن نســير فى الطريق الذى اخترناه ، ويعطينا درسا فى صورة تأديب أو عقاب لكى يعلمنا ، كالتلميذ فى المدرسة الذى يتركه المعلم يخطىء ليتعلم كيف يميز بين الخطأ والصواب ؟

المبدأ الثامن :

وفى الختـــام يجب أن نعرف أن كل الأشياء تعمــل معا للخير للذين يحبون الله ــ وان مشيئة الله قد تحول الشر أحيانا الى خير والخطأ الى درس نافع .. لأن المؤمن دائما يحيا فى مدرسة الله .

(١٥)

طريق القداسة
أو
السلوك في الروح



عرفنا ان التقديس هو عمل نعمة الله المجانية الذى به نتجدد فى جميع قوانا حسب صورة الله ونزداد قدرة حتى اننا شيئا فشيئا نموت عن الخطية ونحيا للبر .

هذا يبين لنا أن عملية التقديس تستغرق حياة الانسان كلها ، وان المؤمن وان كان يلقب بأنه « قديس » فذلك ليس وصفا لحال القداسة التى هو فيها ، ولكنه وصف لمقامه فى المسيح . فالمؤمنون قديسون فى المسيح .

الا أن بعض الآيات الكتابية قد يقف عندها المؤمن وتزداد شكوكه فى خلاصه ، لأنها تبدو كأنها تصف المؤمن بأنه لا يعمل خطية مثل قول يوحنا الرسول :

« من يفعل الخطية فهو من ابليس لأن ابليس من البدء يخطىء ... كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله » (١ يو ٣ : ٨ ، ٩) .

فهل يقصد يوحنا أن المؤمن لا يخطىء ؟ كلا . بدليل قوله فى نفس الرسالة : « ان قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا ... ان قلنا اننا لم نخطىء نجعله كاذبا وكلمته ليست فينا » (١ يو ١ : ٨ ، ١٠)

فاذا رجعنا الى نوع الزمن الذى استخدمه الرسول فى اللغة اليونانية فى العبارة « لا يفعل خطية » وفى العبارة « لا يستطيع أن يخطىء » لوجدنا أنه يستخدم أسلوب المضارع المستمر وهو بذلك يقصد أن المولود من الله لا يبقى فى حال فعل الخطية ، ولا يجب أن يحيا فى الخطية ، ولا يستطيع أن يحتمل العيشة فى الخطية والتمتع بها لأنه باتحاده مع المسيح ، وثبوت كلمة الله فيه ، قد مات عن الخطية . وهو بذلك يتفق مع قول بولس الرسول : « حاشا نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها » (رو ٦ : ٢) .

وكأن يوحنا لا يضع أمامنا هنا كمالا مزعجا ولكنه يضع أمامنا مثالا نسعى اليه ، اذ يتطلب لا الكمال المطلق دون خطية على الاطلاق مما لا يتحقق الا فى السماء ، ولكنه يطلب حياة تبقى على حذر من الخطية ، وتحارب على الدوام حروب الصلاح ، ولا تخضع للخطية ، ولا تكون الخطية فيها حالة مرغوبة

دائمة ، بل زللا عارضا مكروها ، انه يطلب حياة لا تكون الخطية فيهـا هي الشيء الطبيعي ، بل تكون هزيمة عارضة . لذلك كتب في رسالته قائلا : « اكتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا ، وان اخطأ احد فلنـا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار » (١ يو ٢ : ١) .

اذن هل هناك خطايا معينة كبيرة لا يقع فيها المؤمن ، وخطايا اخرى صغيرة يتعرض للوقوع فيها ؟

كلا ـ فهذا تعليم غريب على الكتاب المقدس . ان المؤمن معرض لكل الخطايا التي يتعرض لها غير المؤمن ، لكن هناك فرقا لا في نوع الخطية ، ولكن في اتجاه المؤمن وغير المؤمن نحو الخطية . فالمؤمن لا يخطىء برغبته ولا يسعى وراء الخطية ، أو يتفنن في ارتكابها ، بل يكرهها ويهرب منها ، لكنه معرض للوقوع فيها لانه انسان ضعيف . وعندما يسـقط في الخطية يحس بالندم والحزن ، ويعترف بذلك ، ويطلب من الله الغفران وتخفيف أو ازالة تأديبات الخطية من نفسه وجسده . وهو لا يفشل بل يقول : « لاتشمتي بي يا عدوتي لاني وان سقطت سأقوم » .

والمؤمن في حاجة دائمة الى الله ليعينه وفي حاجة الى وجوده في جماعة المؤمنين ليرشدوه ويشجعوه ويؤدبوه بروح الوداعة اذا لزم .

أما غير المؤمن ، فانه لا يشعر بكل هذه المشاعر ، انه لا ينام ما لم يفعل شرا ، ولا يحس بتأنيب الضمير ، وان أحس بالحزن على ما فعل لا يكون حزنه بحسب مشيئة الله ، بل يكون كحزن الفنان اذا لطخ احدهم صورة له أو اذا فشل في رسم صورة جميلة ، أو كحزن الطالب الذي رسب في الامتحـان فلم يحقق انتظارات الناس فيه .

أما حزن المؤمن على الخطية فهو لأنه أحزن اباه السماوي ، وكسر قلبه بسبب الخطية وهو الحزن الذي بحسب مشيئة الله ، والذي ينشىء توبة .

وفي تاريخ الكنيسة المسيحية الأول في عهـد الرسـل وقع كثيرون من المؤمنين في خطايا جسيمة ، سببت انزعاجا للرسل ، فمثلا ارتكب أحدهم خطية شنيعة فكتب بولس لأهل كورنثوس يوصيهم بأن يحزنوا لأجل هذا الأمر ثم قال : « قد حكمت كأني حاضر في الذي فعل هذا هكذا . باسم ربنا يسـوع المسيح اذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح ان يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع » (١ كو ٥ : ٣ ـ ٥) .

فالمؤمن قد يكون مسيحيا جسديا ضعيفا أمام التجارب فيسقط فى الخطية، ولكنه كلما فتح قلبه لعمل الروح كلما نما وتحول من مسيحى جسدى الى مسيحى روحى ، فزادت انتصاراته وقلت هزائمه . يخاطب بولس أهل كورنثوس بالقول: «وانا أيها الاخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح .. لأنكم بعد جسديون فانه اذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ، ألستم جسديون وتسلكون حسب البشر » (١ كو ٣ : ١ ، ٣).

فهدف المؤمن فى حياته ينبغى ان يكون التقدم فى الروح والنمو فى النعمة وتقديم جسده ذبيحة حية مقدسة عند الله لكى يأتى بثمر كثير ، فيتمجد الآب السماوى ، ولكى يختبر ماهى ارادة الله وما هى قداسة المؤمنين وفى هذا نقرأ الأقوال الالهية المقدسة « فأطلب اليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد اذهانكم لتختبروا ما هى ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ١ ، ٢) .

وقال المسيح : « بهذا يتمجد ابى ان تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى »

ما هو اذن طريق القداسة .. ؟

أولا

هو طريق الامتلاء بالروح القدس

وقد كانت ولا زالت فكرة الامتلاء بالروح موضوع جدل بين كثيرين من المسيحيين . ولعل السر هو عدم فهم الناس لحقيقة الروح القدس . فالروح القدس ليس تأثيرا ، ولا انفعالا ولا قوة خفية تملأ الانسان كما نملأ وعاء فارغا بمادة تملأ حيزا من الفراغ . الروح القدس هو روح الله وهو روح المسيح . هو الله نفسه العامل فى قلوبنا ، وهو المسيح الحى فينا لذلك فالامتلاء من الروح هو الامتلاء من الله ، وهو الامتلاء من المسيح . وما دام الله هو العامل فينا ، وهو خالقنا خليقة « جديدة » فهو موجود فى قلب كل انسان مؤمن منذ تجديده .

وفى رسالة افسس يقول بولس : « ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح » (أف ٥ : ١٨) . وهنا نرى مقارنة بين نشوة زائفة ونشوة حقيقية ، وبين حياة الحماسة الظاهرة والحياة الممتلئة بالله فعلا .

ومن نصيحة بولس لأهل تسالونيكى «لا تطفئوا الروح» (١ تس ٥ : ١٩) ، ندرك أنه فى مقدورنا أن نعطل عمل الروح ، كما ندرك أن اهم دور لنا فى عمل الروح هو أن نسمح له أن يمـلأ حياتنا . ومسـئوليتنا تظهر فى استمرار تفتحنا لروح الله .

ان دور المؤمن فى الامتلاء بالروح ليس سـوى أن يفتح البـاب على مصراعيه بأوسع ما يمكن ، وأن يبقيه مفتوحا ، ولا يجعل الذاتية تعطل عمل الله فى القلب . وهذا يقتضى مرونة من الانسان ليمكن لله ان يختمه بطبـع خلق الله على حياته . فقد استخدم بولس تشبيه استخدام الختم على الشمع المرن ليصور عمل الروح فى المؤمن بقوله : « الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢٢) . « الذى فيه أنتم أيضا اذ سمعتم كلمة الحق انجيل خلاصكم الذى فيه أيضا اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس . ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء » (أف ١ : ١٣ و ٤ : ٣٠) .

هذا التشبيه يبين رغبة الله فى ان يملأنا من طبيعته . وكما أن الختم لا يمكن أن يترك اثرا الا على مادة مرنة كذلك ينبغى أن يكون المؤمن فى حال مستمرة من تقبل عمل الله فى حياته .

ان بعض الناس يتأثرون تأثرا وقتيا ، وينفعلون انفعالا وقتيا ، لكنهم لا يسيرون بنفس القوة الدافعة على الدوام . وحياة الامتلاء بالروح والسلوك فى الروح ليست انفعالا عاطفيا ، فان الانفعال العاطفى وقتى ، وظـاهر ، وموسمى ، وثائر .. لكن السلوك فى الروح حياة دائمة ، داخلية ، عميقة ، هادئة .

ان الحياة المسيحية بالنسبة لبعض الناس طفرة أو خطوة أو قفزة أو نزوة ، لكن المعنى الصحيح للحياة المسيحية هو « سلوك » أو « سير » أو طريق طبيعى هادىء جميل .

لذلك نقول ان الامتلاء المستمر من الروح يحتاج الى الليونة والمرونة الدائمة . فبعض الناس كالمعادن التى لا تستطيع أن تشكلها الا اذا صهرتها، لكنها حالما تبرد لا تستطيع أن تفعل فيها شيئا .. لكن الله يريدنا أن نكون فى حالة الليونة والمرونة الدائمة ليطبع الله خلقه وصفاته على حياتنا ، فنكون قديسين لأنه هو قدوس .

ثانيـــا

هو طريق الصراع وليس الانعزالية

وبعض الناس يفهمون القداسة فهما خاطئا عندما يفسرون القداســـة على انها ابتعاد وانفصال وانعزال عن المجتمع ... ويعتقدون أن القديس هو الذى ينفصل عن العالم ، لكى لا يصاب بشروره ، أو لا يفهم أنواع الخطية وتفاصيل الشرور الموجودة فى العـــالم .

لكن فهمنا لمعنى الخطية يتعارض مع هذا المبدأ تماما ، فالخطية فينا وليست فى العالم فقط ، واذا لم نجد الخطية حولنا ، فانهـــا تنبع من قلب الانسان نفسه ، فالانعزال عن المجتمع لا يقدس الانســـان .

كما أن هناك فرقا بين البراءة والقداسة . فالبراءة هى عدم فهم الخطية وعدم معرفتها ، لكن القداسة هى القدرة على التغلب على الخطية فى الصراع ضدها .

فالأطفال أبرياء بمعنى أنهم لا يعرفون الخطية معرفة الـــكبار لها ، لكننا لا نستطيع أن نصف الأطفال بأنهم قديسون ...

فالقداسة هى الصراع ضد الخطية والانتصار فى هذا الصراع بعمـــل نعمة الله والاتحاد مع المسيح الذى غلب الخطية .

وقد كان اليهود فى العهد القديم لا يختلطون بالأمم خشـــية أن يتعلموا منهم عبادة الأصنام وسائر الشرور ، لكنهم فى عزلتهم هـــذه ، كونوا أنواعا اخرى من الخطايا تميزوا بهـــا كالكبرياء والانانية واحتقـــار الاخرين والبر الذاتى ... وفى نفس الوقت فقدوا رسالتهم بين الأمم ، ولم يصيروا بركة للامم كما قصد الله أن يكونوا . لأنهم لم يفهموا معنى الاعتزال والانفصال ، وظنوه ابتعاداً وانطواء ، مع أن المقصود به هو عدم التشبه بالأمم ...

لذلك جاء المسيح وعلم تلاميذه أنهم « نور العالم » ، و « ملح الأرض» ، وبذلك اكد للمسيحيين رسالتهم الى العالم وحتمية اتصالهم بالمجتمع ، ليكونوا بركة للعالم ، وفى صلاته الكهنوتية فى يوحنا ١٧ قال للأب : «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير » .

ثالثـــا

هو طريق الثمر الطبيعى لعمل الله فينا

فحياة القداسة ليست صناعة نحاول ان نتكلفها ونمثلها ونرغم انفسنا عليها ، لكنها عمل الهى ما علينا الا ان نترك له المجال ليعمل ويثمر فينا ..

يخطىء بعض الناس اذا حاولوا أن يرغموا نفوسهم على حياة القداسة بالجهد والمشقة ... فهم يتسامحون بالجهـد ، ويصـبرون على مضض ، ويقدمون التضـحية وهم متضايقون ، ويعيشون حيـاة الفضـيلة متكلفين متضررين .

ان السلوك فى الروح لا يتم بقوة الارادة ، ولا يتم بالوسائل السيكلوجية، ولا بالنظم الأخلاقية ، انه ثمر طبيعى لسكنى الروح القدس فينا ، وهنـاك فرق بين الثمر الطبيعى ، وبين الأشياء المصنوعة ..

والرسول بولس فى (غلاطية ٥ : ١٦ — ٢٣) يقارن بين **اعمال الجسد وثمر الروح** .

انك تستطيع أن تصنع سيارة أو جهاز راديو ، لكنك لا تستطيع أن تصنع تفاحة أو برتقالة ، فالشرور من أعمال الجسد . والفضائل الروحية من ثمار عمل روح الله فى الانسان . فالشر صناعة ، والبر خليقة جديدة .

لو علقت ثمرة برتقال فى شجرة ما ، وربطتها بخيط أو سلك متين ، فهى تبقى فيه الى أن تتعفن ، ولا تستطيع الشجرة أن تصنع برتقالا الا اذا كانت هى فى الأصل شجرة برتقال .

هكذا كل من يحاول أن (يلصق) ثمار الروح فى حياته دون أن تكون نابعة من طبيعته الجديدة ، قد يتسامح مرة ، لكنه لا يكتسب روح التسامح . وقد يصبر مرة لكن نفسه لا تنتج فضيلة الصـبر ..

أن الروح القدس فيضان متدفق ما علينا الا أن نزيل من امامه السدود الانسانية ، ونترك الله يعمـل ..

رابعـــا

هو طريق المحبـــة بلا حـــدود

وكلمة بلا حدود معناها ايضا بلا ناموس ... وهذا هو معنى الحرية التى لنا فى المسيح ، « وحيث روح الرب فهناك حرية » .

وعندما نمتلىء من الروح القـــدس ، نحن نمتلىء من الله ، نمتلىء من المسيح . والله محبة فياضة متدفقة نحو العالم ، فنحن اذ نمتلىء من الله ، نمتلىء من المحبة ، لأن الله محبـــة ...

والمحبة التى تنبت فينا كثمر لعمل الروح ، هى محبة بلا حدود ، وهذه المحبة هى ناموس المســـيح ..

لقد أساء البعض تفسير الحرية من الناموس ، وظنوا أن المسيحى يعمل ما يشاء ، وكل شيء حلال له بلا ضابط . لكن الحرية من الناموس ، معناها حرية الانطلاق فى عمل أعمال المحبة بلا حدود .

والروح القدس ليس ناموسا جامدا ، وهذا لا يشجع المؤمن على عمل الخطية ، بل يشجعه على عمل الخير بلا حدود .. فنحن تحت النعمة لا لنقلل فى عمل الخير ، بل لكى نزداد فى كل عمل صـــالح ..

وقد تعودت أن اقارن الناموس والنعمة بهذا التشبيه البسيط ، وهو الفرق بين المرضة والأم ، فانت اذا استأجرت ممرضة للعناية بطفل مريض، فأنت تتفق معها بعقد معين ، على عمل معين ، لعدد محدود من الساعات ، لقاء اجر معين ..

فاذا بقيت المرضة المدة المقررة ، وقامت بعملها خير قيام ، تكون بذلك قد ارضت القانون ، واكملت الشروط مهما كانت حالة المريض .

لكنك اذا أسندت عمل العناية بالطفل لأمه ، فانك لن تســـتطيع أن تحدد للام ساعات معينة فى عنايتها بطفلها المريض ، وحتى لو حددت لهـــا وقتا ، فانها تتصرف بوحى محبتها لطفلها واهتمامها به لا بوحى النظـــام الجامد الذى تضعه لها ، فقد تنام بعض ساعات فى الليل اذا كانت حـــالة طفلها تسمح بذلك ، وقد تسهر أياما وليال كثيرة اذا اقتضى الأمر ...

ان ناموس الأم هو ناموس المحبة ...

فطريق القداسة ، هو طريق المحبة بلا حدود ... المحبة التى تتخطى كل الصعاب دون نظر الى شيء ..

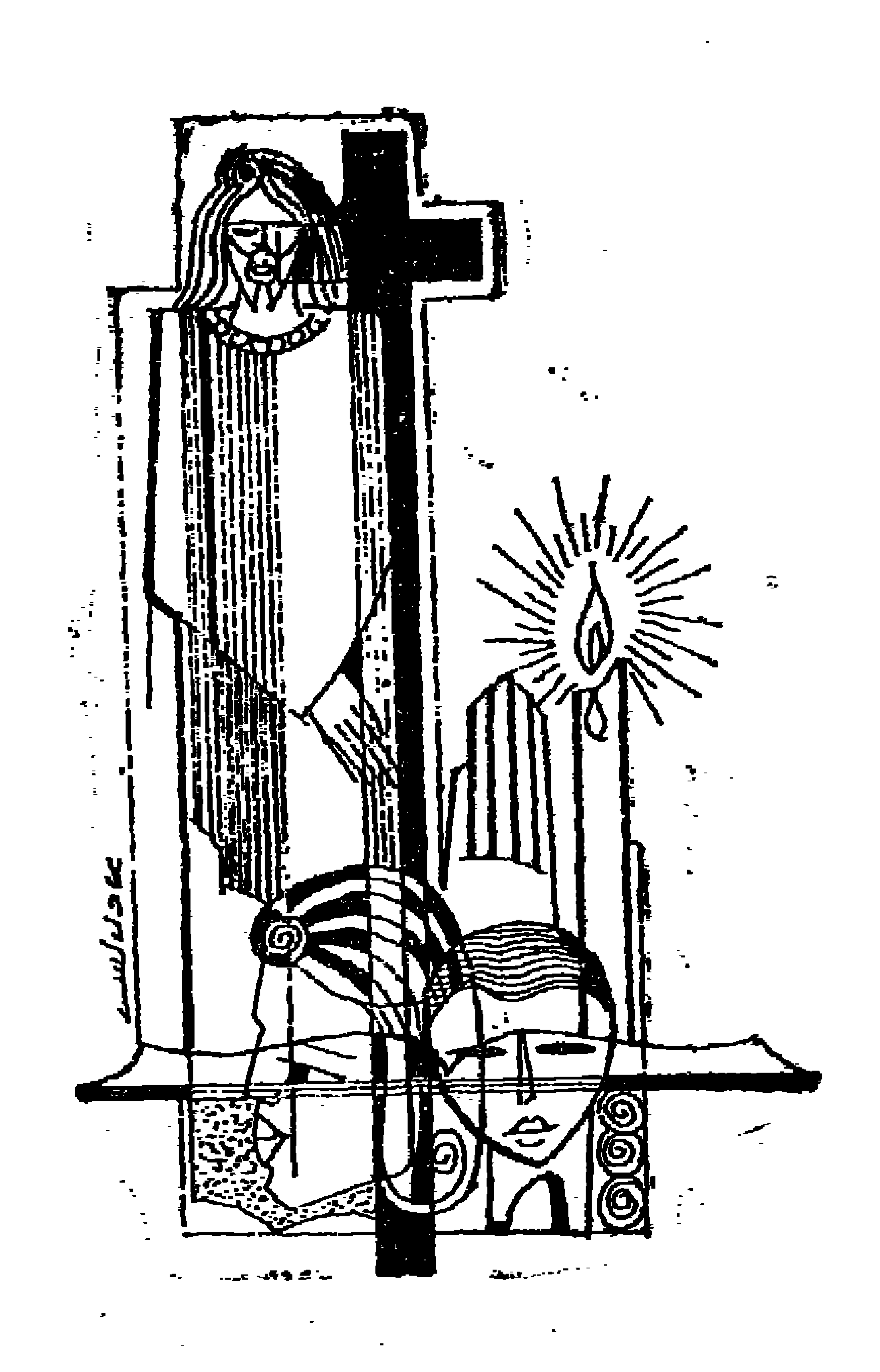
وقال سأل بطرس المسيح : « كم مرة يخطىء الى اخى وأنا اغفر له ؟ هل الى سبع مرات ؟ » فقد كان يريد حدودا أو ناموسا أو نظاما ، ولكن يسوع قال له ما معناه : « تحرر يا بطرس من ناموس العدد واغفر بلا حدود ، الى سبعين مرة سبع مرات ، لأنك عندما تعمل ذلك فى اليوم الواحد ، فمعناه انك لا تحصى الأخطاء ، وأنك تعودت واكتسبت طبيعة الغفران والتسامح بلا حدود » .

هذه هى القداسة التى بدونها لن يرى أحد الله « أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا لأن المحبة هى من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله . ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة » (١ يو ٤ : ٧ ، ٨) .





الثبات في النعمة



بين من نقابلهم من الناس ، اشخاص فتح الرب قلوبهم لقبول عمل نعمته ، وسلموا حياتهم للمسيح ، لكنهم فى معركة الحياة والصراع الدائم فيها ، تمر عليهم اوقات فيها يشكون فى خلاص نفوسهم ...

فهناك من يشكون فى أنهم نالوا الخلاص لأنهم يرون أنهم لم يبذلوا مجهودا فى نوال هذا الخلاص . ولقد تعودوا أن لا ينالوا شيئا بسهولة ، بل كان عليهم أن يجاهدوا لينالوا درجة علمية أو لكسب الرزق او للنجاح فى الحياة ... لكنهم سمعوا انه فى حالة التجديد ، ليس مطلوبا منهم سوى التصديق ، تصديق الله ، وقبول ما عمله المسيح لأجلهم على الصليب . والقاء الرجاء بالتمام على نعمة الله المخلصة ...

والبعض يتساءل : هل الخلاص رخيص بهذا المقدار ، حتى أن الانسان يناله دون تعب ودون جهد ؟ والجواب هو ان الخلاص غال وثمين لدرجة انه لا يستطيع احد أن يدفع ثمنه مهما عمل ، لذلك اشترى لنا يسوع الخلاص بدمه على الصليب وقدمه لنا مجانا .. وكما سبق أن شرحنا أن الانسان ميت بالخطية ، والميت لا يستطيع أن يفعل شيئا ما لم تعد اليه الحياة .

وآخرون يشكون فى خلاص نفوسهم لأنهم لا يعرفون تاريخ تجديدهم . فالتجديد يتم فى لحظة واحدة معينة ، وكثيرون يتحدثون عن المكان الذى تجددوا فيه ، وظروف تجديدهم ، وتاريخه ، لكن البعض لا يعرف هذا التاريخ ، فيشك فى تجديده .

لكن هناك اناس لا يعرفون تاريخ ميلادهم ، وليست لديهم شهادة ميلاد ، ومع ذلك فلا يمكن أن نقول عنهم أنهم أموات أو غير موجودين ... فالحياة تشهد عن ذاتها .

والبعض يشكون فى تجديدهم لأنهم لم يجوزوا فى اختبارات مثل غيرهم من الناس . فتجديد البعض يتم بعد اختبار نفسى وروحى ملحوظ ، فبعض الناس كانوا يعيشون فى الخطية بكيفية فظيعة ، وفى لحظة ما تأثروا برسالة ما أو حادث ما ، فبكوا بكاء التوبة والندامة ، وسلموا حياتهم للمسيح ،

ونالوا قوة الحياة الجديدة ، لكن البعض الآخر لا يذكر انه جاز فى مثل هذا الاختبار ، والهزة النفسية ، والدموع ، فهل معنى ذلك أنهم لم يتجددوا ؟ .. كلا ... فما داموا قد قبلوا عمل المسيح من اجلهم ، وامتلكهم حب المسيح . وسلموا حياتهم له ، فليس من الضرورى ان يجوزوا فى اختبارات عنيفة كغيرهم .

ان بعض الناس يتأثرون تأثرا هادئا ولكنه عميق ، ويعمل الروح فى قلوبهم بطريقته السرية ، التى قال عنها يسوع : « الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا الى اين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح » (يو ٣ : ٨) . فيعمل الروح فى قلوبهم ليسلموا حياتهم ليسوع المسيح دون أن ينطق لسانهم بحرف واحد ، أو تفر دمعة واحدة من عيونهم ، لكن قلوبهم تكون متصلة بالله .

فالله لا يستخدم أسلوبا واحدا معينا ليخلص الناس به ، ولا يرتبط بكيفية واحدة فى تجديد قلوب البشر . وفى سفر الأعمال فى الأصحاح السادس عشر نقرأ عن تجديد شخصية فى مدينة واحدة هى فيلبى ، لكن كل منها تجدد بأسلوب مختلف .

فعند شاطىء النهر كان بولس يتحدث عن المسيح ، وفى هدوء فتح الرب قلب ليديا بياعة الأرجوان لتصغى الى ما كان يقوله بولس ، فنالت الخلاص ، وحكم الرسل انها مؤمنة .

لكن فى سجن فيلبى ، لم يخلص السجان الا بعد أن تزعزعت اساسات نفسه مع أساسات السجن بعد الزلزال .

ان الله لا يستخدم أسلوبا واحدا لخلاص البشر ، فاذا كان اختبارك يختلف عن اختبار غيرك ، فلا تدع الشكوك تتسرب الى نفسك ، ما دمت قد سلمت حياتك فعلا الى المسيح .

والبعض يشكون فى خلاص نفوسهم لأن الخطية تغلبهم احيانا . فالانسان ينال الخلاص ، ويشعر بالفرح والبهجة تغمر حياته ، ويظن أنه قد تخلص نهائيا من الخطية . وقد تظل حياته حارة تقية فترة من الزمن وسط التسبيح والتهليل والفرح ، لكنه ينتظر قليلا فاذا به يرى تجارب الشيطان تشتد معه ، ويرى نفسه يسقط ويزل مرة ومرات ويسود حياته الفتور والضعف ، وعندئذ تدخل الشكوك الى نفسه ، ويقول فى نفسه :

« ربما أكون لا زلت بعيدا عن دائرة النعمة » ، وقد يذهب الى اجتمـــاع أو الى احدى النهضات ، وبعد العظة يقف الواعظ ويطلب ممن يريد ان ينال الخلاص أن يقف ، فيقف هو ، ويصلى الواعظ معه ، ويعود فرحا حارا فى الروح ، لكنه ما أن يبقى قليلا حتى يجد نفسه فى حالة أخرى من الفتور ، وهكذا قد يتكرر الأمر عدة مرات .

فهل يمكن أن يفقد الانسان الخلاص ، وينالـه مرة اخرى ، وهل يمكن أن يسقط المؤمن من دائرة النعمة ، بعد أن يكون قد أصبح ضمن أولاد الله ؟

لقد أشرنا اشارة عابرة فى البحث السابق على أن المؤمن ليس معصوما من الخطية ، لكنه لا يعيش فى الخطية ، لأنه مات عنها ، وان غلبته التجربة احيانا لكنه يقوم ويتتوى ، باستخدام وسائط النعمة .

والآن نرجو أن نبحث هذا السؤال بتدقيق : هل يمكن للمؤمن الحقيقى أن يرتد عن الايمان ويفقد الخلاص ؟ وللاجابة على هذا السؤال يتحتم أن نعيد النظر فى مفهوم الخلاص كما درســـناه .

مفهـــوم الخلاص

حسب أقوال الكتاب المقدس نتعلم عن الخلاص الحقائق التالية :

١ — ان الخلاص هبة من الله ، مجانية ، يعطيها للانســـان الذى لا يستحقها ، ولكن الله لمجرد رحمته ونعمته يقدم هذه الهبة الى الانسان دون أن يفعل شــيئا لينالها .

(بالنعمة انتم مخلصون بالايمان وذلك ليس منكم بل هو عطية الله) .

٢ — ان المؤمن المتجدد يموت مع المسيح ، ويقوم معه ، ويتحـــد معـــه .

٣ — ان المؤمنين هم شعب خاص ليسوع المسيح أعطاه الله اياهم ثمرا لتعبه وموته ، فهو قد افتداهم واشتراهم « أن جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نســلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح » .

٤ — ان المؤمن ما دام فى المسيح فقد تبرر بالايمان ، ولا شىء من الدينونة عليه .

« لا شيء من الدينونة الان على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » .

٥ — ان المسيح يشفع فى المؤمنين امام عرش الآب السماوى .

٦ — ان المؤمن المتبرر يصير ابنا لله .

٧ — ان المؤمن يسكن فيه الروح القدس ليقدسه ويرشده ويعلمه .

ماذا نستنتج من معنى الخلاص

ان مفهوم الخلاص كما يعلمه لنا الكتاب المقدس يؤكد لنا ثبات المؤمنين فى النعمة وعدم سقوطهم .

١ — فما دام الخلاص هبة من الله ، وعطية منه ، فان تعليم الكتاب المقدس واضح أن الله لا يندم على ما يعطيه للانسان ، فالكتاب يقول صريحا : « لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١ : ٢٩) .

ويقول بولس بالوحى : « لأن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ، والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا . فماذا نقول لهذا : ان كان الله معنا ، فمن علينا » (رو ٨ : ٢٩ — ٣٢) .

٢ — وما دام المؤمن يتحد مع المسيح ، عندما ينال الخلاص ، فان هلاكه يصبح أمرا مستحيلا ، والرسول يقول : « مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) . لذلك استطاع بولس على هذا الأساس أن يهتف قائلا :

« فانى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

اى أن كل هذه القوات لا يمكن أن تمنع عنا محبة الله التى ظهرت فى المسيح يسوع ، لا فى الحاضر ، ولا فى المستقبل .

٣ — وما دام المؤمنون هم ثمرة تعب المسيح ، فليس من المعقول أن

يضيع جزء من تعب المسيح هباء ، وقد أعطاهم الآب للابن ، ولن يهلك منهم أحـد .

وفى هذا قال يسوع نفسه : « كل ما يعطينى الآب ، فالى يقبل ، ومن يقبل الى لا أخرجه خارجا » (يو ٦ : ٣٧) .

وقد قال يسوع عن خرافه الخاصة : « وانا اعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدى . ابى الذى أعطانى اياها هـو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد ان يخطف من يد أبى » (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) .

٤ ــ والمؤمن المتبرر بدم المسيح ، يثق أنه لن يقع تحت دينونة . وفى هذا قال بولس :

« لأنى عالم بمن آمنت ، وموقن انه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليـوم » (٢ تى ١ : ١٢) .

وقال : « ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب . لأنه وان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثـيرا ونحن مصالحون نخلص بحيـاته » (رو ٥ : ٨ ، ٩) .

٥ ــ وشـفاعة المسـيح فى المؤمنين تؤكد عدم هلاكهم وثبـاتهم فى النعمة ، فيسوع يطلب لأجل المؤمنين ، ولا يمكن أن يرفض الله شـفاعة المسيح « من سيشتكى على مختارى الله . الله هو الذى يبرر . من هو الذى يدين . المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضا الذى هو أيضا عن يمين الله يشفع فينا » (رو ٨ : ٣٤) .

٦ ــ وبنوة الانسان لله لا يمكن أن تزول ، وقد قال يسوع بفمـه الطاهر : « العبد لا يبقى فى البيت الى الأبد ، واما الابن فيبقى الى الأبد » (يو ٨ : ٣٥) .

٧ ــ والروح القدس الساكن فى المؤمنين هو الذى يحفظ المؤمنـين على الدوام ، ويعرفهم كل شىء . وقد كتب يوحنا الى المؤمنين قائلا : « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شىء » (١ يو ٢ : ٢٠) .

والكتاب المقدس ملىء بالآيات التى تؤكد هذه الحقيقة مثـل قوله :
« لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) .

« أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (١ بط ١ : ٥) .

« أمين هو الرب الذى سيثبتكم ويحفظكم من الشرير » (٢ تس ٣ : ٣) .

« من قبل الرب تتثبت خطوات الانسان وفى طريقه يسر . اذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده » (مز ٣٧ : ٢٣ ، ٢٤) .

صعوبات أمام هـذا الاعتقـاد

الا أنه توجد صعوبات تقف أمام بعض الناس وهم يواجهون هـذا الاعتقاد ، ويحسن أن نواجهها لنبحثها فى ايجاز :

١ ــ الصعوبة الأولى هى اختبـار بعض الناس الذين يختبرونه فى حياتهم مع الاخرين ، أن هناك بعض الناس يعيشون فى الكنيسة وفى حياة الايمان الظاهر ، ولكنهم يرتدون فى وقت ما من أوقات حياتهم ، ويتركون الايمان نهائيـا ...

ولمواجهة هذه الصعوبة نذكر قول يوحنا الرسـول عن أمثال هؤلاء الذين كانوا فى جماعة المؤمنين ، ولكنهم صاروا أضدادا للمسيح ، ووصفهم بالقول : « منا خرجوا ، لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا ، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا » (١ يو ٢ : ١٩) .

فهناك كثيرون يكونون فى حياة الايمان الظاهر ، وقد يكون لهم نشـاط وخـدمة كبيرة ، لكن الله الذى يكشف خفايا الظلام يعلم أن « لهم صـورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها » (٢ تى ٣ : ٥) .

ويكونون خادعين نفوسـهم وخادعين الآخرين وقـد شـبه ملكوت السموات بشبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع (مت ١٣ : ٤٧) . وهكذا الكنيسة المنظورة قد تجمع المؤمنين الحقيقيين والمؤمنين الزائفين ، لكن الله سيظهر كل انسان على حقيقته .

أما واجبنا فهو أن لا نحكم على الآخرين ، ولا ندينهم ، لئــلا نخطىء وندين المؤمن مع غير المؤمن ، فنكون كالعبيد الذين أرادوا أن يجمعوا الزوان ولكن رب البيت نهاهم لئلا يقلعوا الحنطة مع الزوان وهم يجمعونه (مت١٣) ، بل علينا أن نترفق بجميع الناس لأننا لا نعلم القلوب ، وليس فى أيدينا نهاية الانسان ولا نعلم ماذا سيكون عليه فى المستقبل ، وكل ما علينا هو أن نطيع قول الرسول : « أيها الاخوة ، ان انسبق انسان فأخذ فى زلة ما ، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظرا الى نفسك لئلا تجرب أنت أيضا » (غل ٦ : ١) .

وعلينا أن نحذر من دينونة الآخرين مصغين لصوت الرسول : « من أنت الذى تدين عبد غيرك . هو لمولاه يثبت أو يسقط . ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته » (رو ١٤ : ٤) .

٢ ــ الصــعوبة الثانية هى بعض الآيات التى يظهر معناها كأنهــا تعنى ارتداد المؤمنين :

ومن بين هذه الآيات قول الله فى هوشع :

« أنا اشفى ارتدادهم . أحبهم فضلا » (هو ١٤ : ٤) . وهذا القول يشير الى ارتداد المؤمنين عن حياة القداســة والطاعة وليس عن حيــاة الايمــان .

والقول الوارد فى الرســالة الى العبرانيين :

« لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ، وسقطوا ، لا يمكن تجديدهــم أيضــا للتوبة اذ هم يصلبون لأنفســهم ابن الله ثانية ويشهرونه » (عب ٦ : ٤ ــ ٦) .

وقد تنوعت وتعددت التفاسير لهــذه الآيات ، فهناك رأى يقول انها حالة افتراضية فقط ، يحذر بها الرسول المؤمنين ، ويؤيدون ذلك من قوله لهم فى عدد ٩ « ولكننا قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أمورا افضل ومختصة بالخلاص وان كنا نتكلم هكذا » . وانه لا تناقض بين تعليم ثبات المؤمنــين المؤسس على قصد الله ودعوته الأزلية ، وبين كلام الرسول عندما يشــير الى المســئولية الشخصية للانســان لتحذيره كقوله : « من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) . وأن العلاقة بين قصد الله الأزلى

الذى لا يمكن أن يبطل ، وبين مسئولية الانســـان التى توجب عليه الحذر انما هى سر من أسرار المسيحية الفائقة .

وهناك من يقولون أن هذه الآيات تشير الى الذين استناروا استنارة عقلية أثناء حياة السيد المسيح على الأرض ، وشاهدوا يسوع نفســـه والآيات التى كان يعملها بقوة الله والروح القدس ، ولكنهم ناصبوه العداء ، فأصبح تجديدهم مستحيلا ، لأنهم اخطأوا ضد المعـرفة ، وتقسى قلبهم ، وبذلك تكون خطيتهم هى خطية التجديف على الروح القدس ، التى لا تغفر .

وهناك راى يقول ان المقصود بهذه الآيات ، جماعة من اليهود الذين آمنوا ظاهريا بالمسيح ، والذين وصفهم يعقوب الرســـول بالقول : « أنت ترى أيها الأخ كم يوجـــد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعا غيورون للناموس » ، ولكن هؤلاء اليهود رفضوا أن يتقدموا الى الكمال ، بل تمسكوا بالناموس فقط الذى هو « بداءة كلام المسيح » . ووضعوا أساسا للتـوبة تعاليم المعموديات وغير ذلك من الأمور الطقسية التى كانت عند اليهـود ، وكانوا فى خطر الرجـــوع الى الذبائح والقرابين الأولى . لذلك خاطبـــهم الرسول بالقول : « لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح (الناموس) لنتقدم الى الكمال غير واضعين أيضا اســـاس التوبة من الأعمال الميتة والايمان بالله تعليم المعموديات ووضع الأيادى قيامة الأموات والدينونة الأبدية » (عب ٦ : ١ ، ٢) .

فكأنما كان بولس يحذر اليهود المؤمنين بالمسيحية من الرجـــوع الى الناموس وطقوسه والقرابين والغسلات وسائر التعاليم الطقسية ، التى منها (المعموديات) ، والكلمة المترجمة هنا معموديات هى الكلمة المترجمة (غسلات) فى أصحاح ٩ « أطعمة واشربة وغسلات مختلفة » .

٣ ــ الصعوبة الثـــالثة هى قول البعض ان هـــذا التعليم يؤدى الى تساهل المؤمنين فى حياتهم والتجاسر على الخطية .

لكن الواقع ليس كذلك ، فالمؤمن يجب أن يبقى دائما على حذر ، وأن يكون شعاره ما قاله بولس الرسول : « أقمع جسدى واستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا اكون أنا نفسى مرفوضا » (١ كو ٩ : ٢٧) .

والمؤمن الحقيقى فيه حياة جديدة من الله تجعل التجاسر على عمـــل الخطية أمرا غير طبيعى بالنسبة له ، بل من طبيعة المتجدد طلب القداسة

على الدوام .. كما قال بطرس الرسول : « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لانكم اذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً » (٢ بط ١ : ١٠ ، ١١) . وكما قال يهوذا : « واحفظوا أنفسكم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية » (يه ٢١) .

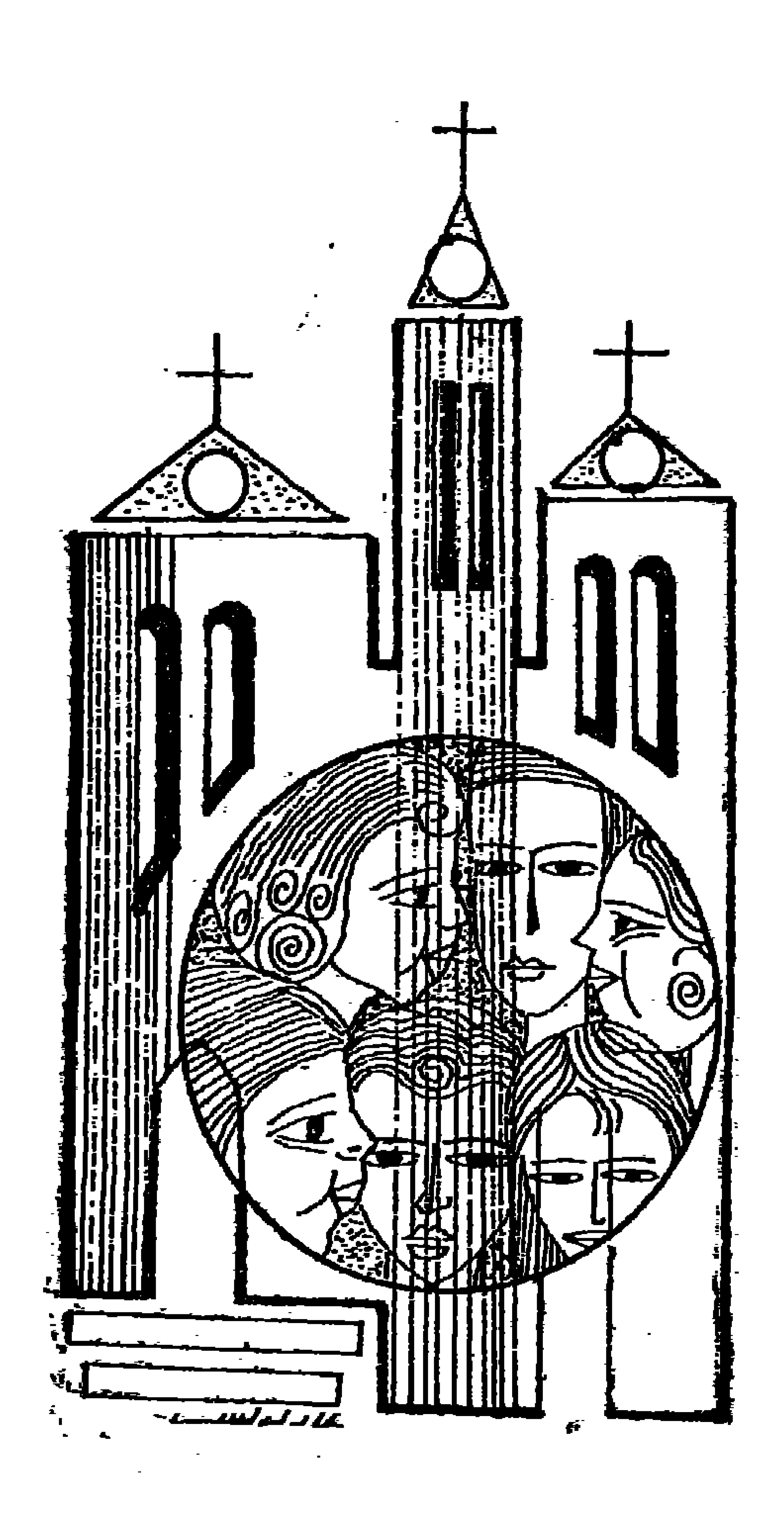
فالمؤمن كما قال سبرجون مثل شخص على سفينة فى البحر ، فهو قد يسقط فى السفينة ولكنه لا يسقط فى البحر .

وهذا من دواعى شكر المؤمن على الدوام ، وحمده للرب ، واعلانه دائما بفضائل ذاك الذى دعاه من الظلمة الى نوره العجيب . لذلك لا عجب ان كانت حياة المؤمن على الدوام سلسلة متصلة من الشكر لله .

نشكرا لله الذى اختارنا فى المسيح قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة (أف ١ : ٤) .



الكنيسة



استعرضنا في دراستنا السابقة خطة الله لخلاص الانسان ، ورأينا كيف أن الانسان سقط بعصيانه وصية الله ، وصار تحت حكم الموت ، وكيف جاء المسيح ليموت نيابة عن المؤمنين به ، فيحمل خطاياهم ، ويصير خطية لأجلهم ليصيروا هم بر الله فيه . وبذلك ينالون التبنى ، ويتبررون بحسبان بر المسيح لهم ، ثم يعمل الروح القدس فيهم ، فينشىء فيهم ثمار الحياة الصالحة .

وبذلك نكون قد أوضحنا أن غاية المسيحية خلاص الانسان نفسا وجسدا من حكم الشريعة الالهية ومن سلطة الخطية ومحبته لها ، ليحيا حياة مقدسة على الأرض ، وينال الحياة الأبدية في السماء ... وفي هذا السبيل تجسد يسوع المسيح ابن الله وافتدانا .

ولكي يمكن لرسالة الخلاص أن تجد طريقها الى مسامع الناس ، فقد رتب الله أن تكون الواسطة المنظورة لاعلان الانجيل للبشر هي كنيسة الله، التي اقامها الله بين البشر لتعلن الانجيل وتدعو للايمان بالمسيح .

ولفظ « كنيسة » ترجمة لكلمة يونانية هي (اكليسيا) وقد استخدمت هذه الكلمة في العهد الجديد لتشير الى ثلاثة معان :

١ — فهي تشير الى جماعة المؤمنين المجتمعين في مكان واحد للعبادة والصلاة . ومن أمثلة ذلك اقوال العهد الجديد عن الكنيسة التي في رومية ، وفي كولوسي ، وفي بيت فليمون (رو ١٦ : ٥) (كو ٤ : ١٥) (في ٢) .

٢ — هي تشير الى مجموعة كنائس في اقليم واحد أو مدينة واحدة مثل اقوال العهد الجديد عن الكنيسة التي في أنطاكية أو الكنيسة التي في أورشليم أو التي في افسس (أ ع ٩ : ٣١ ، ١ كو ١٦ : ١ ، ١٩ ، أ ع ١٥ : ٤) .

٣ — جميع الكنائس في العالم أجمع أو جميع المؤمنين المتجددين الذين قبلوا المسيح مخلصا في كل مكان (١ كو ١٢ : ٢٨ ، في ٣ : ٦ ، أف ٥ : ٢٥ ، ١ تي ٣ : ١٥) .

وعندما انتشرت المسيحية انتشارا واسعا انضم الى الكنيسة جمهور كثير من الناس ، وكان منهم من اعترف بالمسيح اعترافا ظاهريا خارجيا دون تجديد حقيقى ، ومنهم المؤمنون الحقيقيون بالمسيح ، ولما كان من العسير بالمسيح لقب « الكنيسة المنظورة » ، وعلى جميع المؤمنين الحقيقيين بالمسيح لقب « الكنيسة غير المنظورة » ، ولما كان من العسير على البشر ان يحكموا فى هذه الأمور ، فقد اطلق على جميع المعترفين الحقيقيين لقب « الكنيسة غير المنظورة » .

فنحن نعرف الكنيسة المنظورة لأن اعضاءها يعترفون علنا بايمانهم بالمسيح ، ويتقدمون الى الفرائض المقدسة ، ولكننا لا نعرف الكنيسة غير المنظورة لأن الله وحده هو الذى يعرف القلوب ويفحصها ، كما ان الكنيسة غير المنظورة تشمل جميع المؤمنين الذين على الأرض والذين فى السماء ، اى فى كل مكان وفى كل زمان .

وكنيسة المسيح على الأرض مقدسة لكنها ليست خالية من النقائص ، مثل النفس المتجددة تماما ، فانها تكون مقدسة بعمل روح الله لكنها ليست كاملة التقديس ... لكن الله يعمل بروحه فى الكنيسة وقد وعد بأنها ستتغلب على كل مقاوميها وابواب الجحيم لن تقوى عليها .

(١)
القاب الكنيسة

والكتاب المقدس غنى بالصور التى يصور بها الكنيسة ، وكلها ألقاب وأوصاف شريفة ومقدسة وتصف الكنيسة من كل ناحية من النواحى :

(أ) فالكنيسة من جهة بنيانها :

١ — بيت روحى « كونوا انتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله » (١ بط ٢ : ٥) .

٢ — وبيت الله « لكى تتعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله » (١ تى ٣ : ١٥) .

٣ — وعمود الحق وقاعدته « كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته » (١ تى ٣ : ١٥) .

٤ — وهيكل الله والروح القدس « اما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » (١ كو ٣ : ١٦) .

(ب) والكنيسة من جهة علاقتها الخاصة بالله :

٥ — جسد المسيح « لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » (أف ٥ : ٣٠) .

« وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادا » (١ كو ١٢ : ٢٧) .

في هذا الجسد مواهب متنوعة للأعضاء المتنوعين . وكل خدمة في الكنيسة لها أهميتها ، كما أن كل عضو له أهميته في الجسد ، وكلما عمل كل عضو عمله باتقان كان الجسد صحيحا ، واذا تعطل عضو تعرض سائر الأعضاء للتعطيل والألم .

٦ — وعروس المسيح « هلم فأريك العروس امرأة الخروف » (رؤ ٢١ : ٩) .

« احبوا نساءكم كما احب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » (أف ٥ : ٢٥) .

(ج) والكنيسة من جهة أهميتها عند الله :

٧ — مدينة مقدسة « رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها » (رؤ ٢١ : ٢) .

٨ — وهي ملء الله او ملء الذي يملأ الكل في الكل « الكنيسة التي هي جسده ، ملء الذي يملأ الكل في الكل » (أف ١ : ٢٣) .

٩ — وهي جنة الله وفلاحة الله .

« أختي العروس جنة مغلقة » (نش ٤ : ١٢) .

« أنتم فلاحة الله (١ كو ٣ : ٩) .

والعامل الأساسي في الجنة هو التراب ، لكنه لا يصنع جنة وحده .

انه يحتاج الى الماء والبذار والشمس . وبدون فلاحة تنتج الأرض شوكا وحسكا .

هكذا الكنيسة ، ثمارها تأتى نتيجة عمل نعمة الله وروحه . وما دامت الكنيسة تتفتح لعمل روح الله ، فالثمار مؤكدة والانتظارات محققة .

(د) والكنيسة من جهة رسالتها فى العالم :

١٠ — نور العالم « انتم نور العالم » (مت ٥ : ١٤) .

١١ — وملح الأرض « انتم ملح الأرض » (مت ٥ : ١٣) .

١٢ — وسفارة السماء « اذا نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ٢٠) .

١٣ — ورسالة المسيح « ظاهرين انكم رسالة المسيح » (٢ كو ٣:٣) .

وهكذا نرى ان الكنيسة ليست جماعة منطوية تغلق على نفسها الباب وتعتزل ، لكن من طبيعتها النمو والزيادة ، وتتطلع الى ربح العالم اليها ، فهى باكورة الحصاد المنتظر ، ووظيفتها أن تنير للناس الطريق ، وتصالحهم مع الله ، وتتغلغل فى حياة الناس لتصلحها كالملح ، وتكون واضحة ظاهرة كالرسالة المقروءة من جميع الناس .

— ٢ —

انظمة الكنيسة المنظورة

لابد لكل هيئة من نظام تسير عليه ، وقد حاول البعض ان ينكروا ضرورة اى نظام فى الكنيسة ، باعتبار ان الكنيسة جسد روحى لا ينبغى ان يكون له نظام خارجى ، وان العلاقة التى تربط الأعضاء ببعض روحية فقط ، ولا يليق ان يكون هناك تنظيم للكنيسة .

لكننا نرى ان الكنيسة المنظورة ، لابد ان يكون لها نظام خارجى ، يساعد على ترتيب خدمتها وتأدية رسالتها . وحتى فى كنيسة العهد الجديد نستطيع ان نلاحظ وجود نظم ظاهرة فيها ، نوجزها فيما يلى :

١ ــ اجتماعات مرتبة « وفى اول الأسبوع اذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزا خاطبهم بولس .. » (أعمال ٢٠ : ٧) .

٢ ــ انتخاب موظفين فى الكنيسة هم الشمامسة لخدمة خاصة :
« وفى تلك الأيام اذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين ان اراملهم كن يغفل عنهن فى الخدمة اليومية ، فدعنا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد ، فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم مشهودا لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجه ، اما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة » (أ ع ٦ : ١ ــ ٤) .

٣ ــ وجود وظائف معينة فى الكنيسة فقد كتب بولس الى كنيسة فيلبى قائلا : « الى جميع القديسين فى المسيح يسوع الذين فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة » (فى ١ : ١) .

٤ ــ تحديد مسئوليات لوظائف الكنيسة وسلطة لهذه الوظائف .

فقد استدعى بولس قسوس كنيسة أفسس ، وقال لهم : « احترزوا اذا لأنفسكم ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أ ع ٢٠ : ١٧ ، ٢٨) .

وقال المسيح ناصحا « من يريد ان يعاتب اخا أن يبدأ منفردا معه ، ثم يأخذ معه واحدا أو اثنين من الأخوة وان لم يسمع فقل للكنيسة ، وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار » (مت ١٨ : ١٧) .

٥ ــ وجود نظام للعطاء فى الكنيسة « لأن اهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعا لفقراء القديسين الذين فى أورشليم » (رو ١٥ : ٢٦) .

« واما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضا . فى كل اول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازنا ما تيسر حتى اذا جئت لا يكون جمع حينئذ » (١ كو ١٦ : ١ ، ٢) .

٦ ــ وجود فرصة لممارسة الفرائض المقدسة « فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا .. » (أ ع ٢ : ٤١) . وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات » أ ع ٢ : ٤٢) .

٧ — انضمام أعضاء جدد فى الكنيسة « وكان الرب كل يوم يضم الى الكنيسة الذين يخلصون » (أ ع ٢ : ٤٧) .

* * *

والمقصود من النظام فى الكنيسة ، معاونة الكنيسة أن تؤدى رسالتها على الوجه الصالح والنافع ، لاعلان الانجيل ، ورعاية النفوس ، ونشر الدعوة المسيحية ، وتقديم الخدمات الواجبة اظهاراً لمحبة المسيح وشفقته وعنـــايته .

وقد كان فى الكنيسة المسيحية الأولى رســـل وانبياء ، وهى وظائف مؤقتة ، عينها السيد المسيح للمعاونة فى تأسيس الكنيسة المســيحية على الأرض ، ولاكمال الوحى المقدس باعلانات الله لهؤلاء الرسل ، وباكتمال الوحى ، لا توجد الان هذه الوظائف (الرسل والأنبياء) .

ويعتقد البعض أن رجال الدين هم خلفاء الرسل ويرثون امتيازاتهم ، ولكن هذا الرأى غير صحيح ، لأن وظيفة الرسول كانت وظيفة مؤقتة ، وقد كان عدد الرسل عدداً معينا اختارهم المسيح ليشهدوا بصحة تعليمه وحوادث حياته وموته وقيامته . ومن صفات الرسل :

أ — أن تكون لهم معرفة ذاتية كاملة فى تعليم الانجيل .

ب — أن يكونوا قد عاينوا المسيح بعد قيامته .

جـ — أن يكونوا ملهمين بالروح القدس ليكونوا معصومين فى تعليمهم

د — أن يؤيد الــروح القـــدس خدمتهـــم بالعجائب والآيات المتنوعة والمواهب الروحية .

وقد اجتمعت هذه الصفات كلها فى الرسل الحقيقيين ، أما الذين ادعوا هذه الوظيفة بدون امتلاك هذه المواهب والبينات فسموا رسلا كذبة . ونرى أن بولس لما ادعى انه رســـول أظهر للاخرين انه مرسل بيســـوع المسيح (غل ١ : ١) ، وأنه لم يتعلم الانجيل من آخرين بل باعلان خاص من المسيح (غل ١ : ١٢) ، وأنه رأى المخلص بعد قيامته (أ ع ٢٢ : ٨ ، ١ كو ٩ : ١ ، ١ كو ١٥ : ٨) ، وأنه موحى اليه ولذلك يجب قبول تعليمه كتعليم المخلص (١ كو ١٤ : ٣٧) ، وأن الرب شهد له ولصحة رسالته كما شهد لرسالة

بطرس (غل ٢ : ٨) ، وانه قد عمل كل اعمال الرسول من العجائب والايمان (٢ كو ١٢ : ١٢) .

اذا فلا توجد وظيفة الرسول فى الكنيسة الآن ، ولكننا نرى الوظائف الحالية فى الكنيســة ثلاث :

١ — **وظيفة التعليم** : ويقوم بها خادم الانجيل ، وله اسماء كثيرة فى العهد الجديد منها القسيس ، والأسقف ، والناظر ، والشيخ ، والراعى ، والخادم ، ووكيل سرائر الله (اع ١٤ : ٢٣ ، ٢٠:١٧ ، ٢٨ ، ١ كو ٤ : ١، فى ١ : ١ ، ١ تى ٥ : ١ ، ١٩ ، تى ١ : ٥ ، يع ٥ : ١٤ ، ١ بط ٥:١—٥) .

ووظيفة القسيس شرح الانجيل ، ومقاومة الضلال ، وحث الناس على التوبة ، وممارسة الفرائض ، وافتقاد الرعية .

٢ — **وظيفة الادارة** : ويقوم بها الشيوخ المدبرون ويلقبهم العهد الجديد بأنهم مدبرون ، وقوات (١ تى ٥ : ١٧ ، رو ١٢ : ٨ ، ١ كو ١٢ : ٢٨) ، وهم يشاركون القسوس فى سياسة الكنيسة ، ويراقبون احوال الكنيســة الجسدية والروحية ، ويفحصون أحوال طالبى الانضمام ..

٣ — **وظيفة الخدمة** : ويقوم بها الشمامسة (١ تى ٣ : ٨ — ١٣ ، فى ١ : ١ ، أ ع ٦ : ١ — ٦) ، وخدمتهم قبول عطايا الكنيسة وتوزيعها على الفقراء ، وعمل الخير وخدمة الكنيسة فى الأمور الزمنية .

هذه الوظائف يتقلدها أصحابها بناء على اختيار جماعة المؤمنين بعد الصلاة ، ويفرزون لها بواسطة الصلاة ووضع الايدى أى الرسامة ..

والرسامة ليست تسليم وظيفة من شخص الى آخر ، ولكنها عملية فرز وتخصيص فحسب . وليس وضع الأيادى وسيلة لنوال الروح القدس ، بل أن الكتاب يبين لنا أن الشمامسة الذين اختارتهم الكنيسة كانوا مملوئين من الروح القدس قبل الرسامة ، فقد قال الرسل للاخوة : « انتخبوا أيهــا الأخوة سبعة رجال منكم مشهودا لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة » (أ ع ٦ : ٣) ... فاختاروا استفانوس رجلا مملوءا من الايمان والروح القدس ، وفيلبس و .... الذين اقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيادى » (أ ع ٦ : ٥ ، ٦) .

ويستشهد البعض بالايات التى فيها يذكر الكتاب ان الرسل وضعوا الأيادى على بعض الناس فقبلوا الروح القدس ، كالقول عن ذهاب بطرس ويوحنا الى السامرة : « حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس » (أ ع ٨ : ١٧) . فليس المقصود هنا رسامة الناس قسوسا أو أساقفة ، ولكن وضع الأيادى كان أسلوبا اختص به الرسل وحدهم ، ليقدموا عطية الروح القدس الى الناس عامة وليس الى القسوس ، ولم يكن هذا لأجل رسامة اكليروس او لاثبات الخلافة الرسولية بل لأجل منح مواهب عجيبة من الله لتأييد الديانة المسيحية فى بداية انتشارها . ولا نرى فى العهد الجديد خبر اعطاء الروح القدس بغير واسطة الرسل الاثنى عشر .

وقد يفتح هذا الحديث بابا لمناقشة موضوع تسلسل الخلافة الرسولية من بطرس الرسـول ، وكون بطرس هو أول أسـقف على روما ، ومنه تتسلسل الخلافة الرسولية ، ولا نريد التوسع فى هذا البحث ، ولكن نكتفى بأن نذكر هذه الحقـائق :

١ — أن المسيح لم يعط لبطرس امتيازا خاصا . وما ذكره يسوع له فى متى ١٦ : ١٨ ، ١٩ « انت بطرس وعلى هذه الصـخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات » . فما هذا الا تعليق السيد على اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى (مت ١٦ : ١٦) . لذلك قال يسوع له ان هذا اعلان من الآب السماوى لبطرس ، وأن هـذا الاعتراف بلاهوت المسيح هو الصخرة التى يبنى عليها المسيح كنيسته ، وسـيكون لبطرس مفاتيح اعلان انجيل المسيح لليهود والأمم ، وهكذا نرى أن بطرس هو أول من قدم عظة يوم الخمسين ، وهو أول من بشر كرنيليوس الأممى .

أما موضوع ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السـماء ، فهو اشارة الى القدرة التى اعطاها الله للرسـل وحدهم فهو يقوم بالاعلان لما فعله الله كاعلان الكاهن شفاء الأبرص بادراك المعلنات الالهيـة ليكتبـوا الوحى . وكل ما يعلنونه يكون اعلانا عن مشيئة الآب السماوى . وعلـى هذا الأساس نسمع بطرس يقول لسيمون الساحر الذى أراد أن يشترى موهبة الله بدراهم « ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر لأن قلبك ليس مستقيما امام الله ... لأنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم » (أ ع ٨ : ٢١ ، ٢٣) .

ولم يكن هذا السلطان لبطرس وحده ، بل لجميع الرسل فقد وجه اليهم يسوع نفس الكلام مرة اخرى (مت ١٨ : ١٨) .

٢ ـــ اننا نقرأ عن باقى الرسل أيضا انهم أساس الكنيسة :

« مبنيين على اساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفســـــه حجر الزاوية » (أف ٢ : ٢٠) .

٣ ـــ وفى مجمع أورشليم نرى رأى يعقوب الرســـول يقف ندا لرأى بطرس الرسول (أ ع ١٥ : ٧ ـــ ٣٠) . وفى ظروف اخرى نقرأ أن بولس وبخ بطرس على ريائه (غل ٢ : ١١ ـــ ١٣) .

وقال بطرس عن نفسه : « انا الشيخ رفيقهم » (١ بط ٥ : ١) .

٤ ـــ هذا فضلا عن أنه لا توجد ادلة على أن بطرس ، ولو فرضـــنا جدلا أن له هذا السلطان ، وأنه يستطيع أن يسلمه الى آخرين ، كما أن الدلائل التاريخية لا تثبت أن بطرس ذهب الى روما أو صار أسقفا لها .

ان الروح القدس هو الذى يختار ، وكلما ترك الشعب الفرصة للروح القدس أن يرشدهم ، وتركوا الأغراض الشخصية جانبا ، كلما كان الاختيار موفقـــا .

— ٣ —

نظـــام العبـــادة فى الكنيسة

أن شعار العبادة الذى ينبغى الا ننساه هوماقاله السيد المسيح بنفسه الى المراة السامرية ، التى كانت تظن ان عبادة الله ينبغى ان تكون فى مكان معين ، وبأسلوب معين ، لكنه قال لها : « ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثـــل هؤلاء الساجدين له . الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحـــق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٣ ، ٢٤) .

لذلك فلا يتحتم أن يكون اتجاه المتعبد نحو جهة معينـــة ، ولا مبنى الكنيسة ذا شكل معين ، ولا يشترط للمتعبد او للخادم او الواعظ أن يكون له انواع معينة وأشكال معينة من الثياب عند تأدية الخدمة .

لقد كانت كل تلك الطقوس ، موجودة فى العهد القديم ، لأنها كانت مرتبطة بنظام الذبائح ، ونظام الكهنة . وقد أوضحنا فى حديثنا عن كهنوت المسيح أن يسوع هو كاهننا الوحيد ، وانه لا كهنوت فى المسيحية ، بل جميع المؤمنين هم كهنة لله ، يستطيعون ان يتقدموا اليه مباشرة بذبائح تسبيحهم وحمدهم وصلواتهم ، وانه لا ذبيحة فى الكنيسة المسيحية بعد ذبيحة المسيح على الصليب ، لأنه بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المقدسين ....

بعد هذا لا يبقى مكان لمظاهر العبادة اليهودية على الاطلاق ، وقد كان المسيحيون الأولون يشعرون بهذا ، لذلك نرى أن أعظم كنيسة وأول كنيسة فى العهد الجديد كانت فى علية فى أورشليم ، وكان فى بيت فليمون كنيسة (فى ١ : ٢) ، وفى بيت اكيلا وبريسكلا كنيسة (رو ١٦ : ٣ ، ٥) ، وكان بولس يعظ عند شاطىء النهر حيث كانت تقام صلاة مدينة فيلبى ، وهناك فتح الرب قلب ليديا بياعة الأرجوان .

وكان التلاميذ يجتمعون للصلاة وكسر الخبز فى الدور الثالث من أحد البيوت ، فى اليوم الذى سقط افتيخوس من الطاقة (أ ع ٢٠ : ٧ — ٩) .

ونحن اذ نفتش فى العهد الجديد تفتيشا دقيقا ، لا نرى أية وصية أو تعليم يوصى بأن يكون لمكان العبادة شكل خاص ، او لنظام العبادة طقوس معينة ، بل نرى العبادة قاصرة على الترانيم والمزامير والوعظ والصلاة والتعليم وكسر الخبز (أ ع ٢ : ٤٢ ، ١ كو ١٤ : ٢٦) .

اما نظم الهيكل والمذبح ، فكانت فى نظام الكهنوت اللاوى ، وهذا قد أبطل تماما بكهنوت المسيح .

واذا كان هناك من ينادى من المسيحيين بالاحتفاظ بنظام الكهنوت اللاوى ، فيجب ان يحتفظ به كاملا ، وتصير عبادتنا كعبادة اليهود فى العهد القديم ، من تقديم ذبائح دموية ، وغسل ، ومنارة وتابوت ... وفى هذا انكار للعمل العظيم الذى قام به يسوع على الصليب .

* * *

لقد جعل الله كنيسته لتكون اعلان نور للناس ، تنادى داعية الناس أن يتوبوا ويرجعوا الى الله ، وتقوى المؤمنين وتبنيهم ، وذلك باستخدام وسائط النعمة ، وهى الكتاب المقدس وقراءته وشرحه ، والصلاة ، والمعمودية ، والعشاء الربانى .

هذه الوسائط التى تستخدمها النعمة فى جذب الخطاة ، وبنيان المؤمنين

(١٨)

الصـــلاة



غرس الله الكنيسة بيمينه ، وهو يسقيها كل لحظة ، ويحرسها لئلا يوقع بهـا ، ويرعاها لتصير مشرقة مثل الصـباح ، جميلة كالقمر طاهرة كالشمس ، مرهبة كجيش بألوية .

وأودع لهذه الكنيسة وسائل ووسائط تستخدمها ، ليزداد اعضاؤها تكريسا ، ولينموا فى النعمة وفى معرفة الله .

ووسائط النعمة كثيرة أهمها قراءة الكلمة المقدسـة ، والصـلاة ، والفريضتين : المعمودية والعشـاء الربانى .

وقد رأينا فى مستهل هذا الكتاب أن دستورنا الوحيد الايمان والأعمال هو الكتاب المقدس ، فواجبنا اذا أن نقرأ كلام الله ، ونصغى اليه ، ونتأمل فيه ، فانه الكيفية التى يكلمنا بها الله أحيانا ، وما أجمـل أن نخبىء كلام الله فى قلوبنا لكى لا نخطىء الى الله ، وان ننتبه الى تعاليم الكتاب الذى قيل عنه : « وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت التى تفعلون حسنا ان انتبهتم اليها كما الى سراج منير فى موضع مظلم الى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم عالمين هذا أولا أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ؛ بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ١٩ — ٢١) .

ومع قراءة الكلمة المقدسة ، ينبغى علينا أن نواظب على الصـلاة ، كواسطة من وسائط النعمـة .

ولسنا الان فى مجال تقديم مواعظ عن الصلاة ، فان ما يزيد عن ثلث الكتب الدينية فى العالم تشير الى الصلاة ، وتتحدث عن جانب أو آخر منها ، لكننا سندرس موضوع الصلاة من زاوية أخرى ، فى نور الكتاب المقدس .

اولا

معنى الصـلاة ولمن نصـلى

الصلاة هى رفع أشواق القلب الى الله باسـم المسـيح ، من أجل الأمور المطابقة لمشيئة الله ، مع الشـكر لله على مراحمـه ، والاعتراف

بخطايانا . هي خطاب النفس لله توضح فيه محبتها واعتبارها لكمال الله وشكرها على مراحمه ، وتوبتها عن خطاياها ، واتكالها على محبته وشفقته وخضوعها لسلطانه ، وثقتها بعناية ، ورغبتهـا فى رضاه ، وطلبها بركات عنايته الروحية والجسدية التي تحتاج اليها هي وغيرها .

واذا كانت الصلاة بهذا المعنى ، فلا يجب أن نقدم الصـلاة لغير الله وحده ، الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس . وفي العهد القـديم نرى جميع الصلوات موجهة الى الله ، وفي العهد الجديد اتجهت الصـلاة الى الآب والى الابن ، والى الروح القدس ، ولم توجه صـلاة الى اى من الأنبياء أو القديسين مهما عظم مقامهم .

فان الله وحدة هو الحاضر في كل مكان ، حينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسم المسيح فهناك يكون في وسطهم ، والله وحده هو القادر على كل شيء ، والله وحده هو الذي له سلطان استجابة الصـلاة ، لأنه خالق السـماء والأرض ومتسلط على هـذا الكون .

(أع ٧ : ٥٩ ، ٦٠ ، ٢ كو ١٢ : ٨ ، أف ١ : ١٧ ، ٣ : ١٤ ، ١ تس ٣ : ١١ ، مت ٢٨ : ٢٠ ، ٢ كو ١٣ : ١٤) .

ويقول المرنم : « يا سامع الصلاة اليك يأتي كل بشر » .

ثانيـا

انواع الصـلاة

١ ــ **الصلاة السرية** : فكما يحتاج المرء الى طعام يومي لجسـده ، هكذا يحتاج الى ساعات الاختلاء مع الله ، وهذه هي العلاقة الودية مع الله التي قال عنها المسيح : « وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصـل الى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفـاء يجازيك علانية (مت ٦ : ٦) . وقد كان السيد المسيح نفسه يصرف ساعات طويلة في الاختلاء مع الآب السماوي .

٢ ــ **الصلاة العائلية** : قال يشوع : (اما انا وبيتي فنعبد الرب) . فواجب رب الأسرة أن يجمع أفراد أسرته كل يوم لقراءة الكتاب والصلاة ، فهذا هو أساس بناء البيت المسيحي والتربية المسيحية . وقد قيل انه اذا

ماتت الديانة فى العائلة فلا يمكن ان توجد فى موضع آخر . وهذه مسئولية رب الأسرة ، ولا ينبغى الاعتذار عنها لاختلاف المواعيد فى الأسرة ، بل يجب أن يتم ذلك فى وقت ما ، سواء كان فى الصباح الباكر أو فى المساء أو على مائدة الطعام وقبل الطعـــام .

٣ ــ **الصلاة الجمهورية** : وهى التى يقوم بها بعض الاخوة فى اجتماعات العبادة العمومية نيابة عن جمهور العابدين ومن الواجب ان لا نهمل هذا النوع من الصلاة ، وبعض الناس يترددون فى القيام بالصـــلاة الجمهورية بسبب عدم تعودهم على ذلك ، ولكن الانسان يستطيع فى صلاته الانفرادية والعائلية أن يتدرب على الصلاة ، حتى يمكن أن يتقدم الى الصلاة وسـط الجمهـــور .

ويحسن أن تكون هذه الصلاة مختصرة ، وان تشمل حاجات الجماعة المتعبدة والأحوال العـــامة .

ثالثـــا

عنـــاصر الصـــلاة

تشتمل الصلاة عادة على ثلاثة عنـــاصر :

١ ــ الشكر . ويشمل تمجيد الله كقول المرنم : « باركى يا نفسى الرب وكل ما فى باطنى ليبارك اسمه القدوس » (مز ١٠٣ : ١) وقال المرنم « قدموا للرب يا قبائل الشعوب قدموا للرب مجدا وقوة . قدموا للرب مجد اسـمه » (مز ٩٦ : ٧ ، ٨) .

كما يشمل ذكر أعمال الله العجيبة ومدحه لأجلها ، كما يشتمل على الحمد والشكر لأجل أعمال عنايته وبركاته ، وقد قال الرسول : « لا تهتموا بشىء بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله » .

٢ ــ الاعتراف بخطايانا والتوبة عنها قال داود اليك وحدك اخطأت والشر قدام عينيك صنعت ويشمل ايضا طلب فحص النفس (اختبرنى يا الله واعرف قلبى ... امتحنى واعرف افكارى) .

٣ ــ الطلب وهو الدعاء وفيه نرفع طلباتنا الى الله لأجل ملكوته وعمله .

اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم .

لأجل الآخرين ، لأجل أنفسنا ، روحيا وجسديا .

ولا تجوز الصلاة لأجل الموتى ، لأن صلواتنا لن تفيد الميت شيئا ؛ اذ ان كل واحد سيحمل حمل نفسه ، والحكم على الموت سيكون حسب ايمانهم الشخصى وحياتهم الشخصية .

رابعا

اوضاع الصلاة

كما سبق فى الدرس السابق ورأينا ان عبادة الله روحية ، والله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا . لذلك لا تتقيد الصلاة بوضع معين يتخذه الانسان ، ولا فى اتجاه معين .

وقد استشهد البعض بصلاة دانيال أنها كانت متجهة نحو أورشليم (دا ٦ : ١٠) ، وبذلك يتجهون نحو الشرق ... لكن دانيال كان يتجه نحو أورشليم باعتبار أنها مكان عبادة الله ، وبها الهيكل وهو فى بلاد السبى ، اما نحن فأورشليمنا فى السماء ، واذا كان هناك اتجاه معين نتجه اليه فهو الى فوق الى السماء .

وليست الأوضاع الجسدية ذات أهمية فى الصلاة ، ففى الكتاب نرى عددا كبيرا من الأوضاع .

فقد صلى دانيال جاثيا على ركبتيه (دا ٦ : ١٠) .

وصلى العشار واقفا (لو ١٨ : ١٣) .

وصلى عبد أبرهيم ساجدا (تك ٢٤ : ٢٦) .

وكذلك يعقوب ابو الأسباط (تك ٤٧ : ٣١) .

وصلى ايوب خارا على وجهه (أى ٢١ : ١٦) .

وصلاة ايليا التى اقتدرت فى فعلها كانت وهو جالس وواضع وجهه بين ركبتيه (١ مل ١٨ : ٤٢) .

خامسا

الصلاة المقبولة

ليس كل من يرفع صلاة يعتبر مصليا ، فالصلاة المقبولة ينبغى ان تتوفر فيها الشروط الاتية :

١ — أن تكون من القلب ، فالله فاحص القلوب ومختبر الكلى لا يرضى بالالفاظ والوقار الظاهرى . بل يريد من يطلبه من القلب .

٢ — أن تكون مقدمة بوقار واحترام ، وهذا ما نراه فى الصلوات المرفوعة من الأتقياء فى الكتاب المقدس ، وفى سفر المزامير بوجه خاص .

٣ — أن تكون بتواضع ، اذ ينبغى أن نشعر أننا لسنا مستحقين أن نقف أمام الله ، ولا نكون كالفريسى الذى مدح نفسه أمام الله (لو ١٨) ، بل لنكن كأيوب الذى قال : « أندم فى التراب والرماد » . وكاشعياء الذى قال « ويل لى لأنى انسان نجس الشفتين » (اش ٦) . وكالعشار الذى قال : « ارحمنى اللهم انا الخاطىء » .

٤ — ان تكون الصلاة بلجاجة دلالة على اهتمامنا فعلا بما نصلى لأجله ، وقد بين السيد المسيح ذلك بوضوح فى مثل قاضى الظلم (لو ١٨ : ٥ — ٨) ، وفى قصة صديق نصف الليل (لو ١١ : ٨) .

٥ — أن تقترن بالتسليم لله . ولذلك علمنا السيد فى الصلاة النموذجية وهى الصلاة الربانية أن نقول : (لتكن مشيئتك) ، وهو نفسه فى صلاته قال : « لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » .

٦ — أن تكون بالايمان . ومعنى الايمان هنا ايمان الانسان بقدرة الله أن يجيب الصلاة ، اذا كانت متفقة مع مشيئته . وقد قال المسيح : « ان اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات » (مت ١٨ : ١٩) . وقد وضح يوحنا الرسول

شرط الاستجابة بقوله : « وهذه هى الثقة التى لنا عنده انه ان طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا » (١ يو ٥ : ١٤) .

٧ — أن تقدم باسم المسيح « مهما سألتم باسمى فذلك افعله » (يو ١٤ : ١٣) .

سادسا

استجابة الصلاة

ان الله يجيب على الصلاة فى كل حالة ، وله فى ذلك ثلاثة طرق : اما بالنفى ، وأما بالايجاب ، وأما بالأمر بالانتظار . ونحن فى كل حالة يجب أن نعتبر هذا أجابة من الله على الصلاة ، ونحن نقع فى خطأ اذا تصورنا أن الله يجيب كل الصلوات بالايجاب ، فلرب مسافر يصلى طالبا من الله طقسا جميلا وشمسا ساطعة ، فى نفس الوقت الذى يطلب فيه المزارع مطرا لكى تنمــو زراعتــه .

والله يجيب على الصلاة بالنفى اذا كان فى الايجاب ضرر لنفوسنا ، فقد صلى بولس الرسول طالبا من الله أن يزيل عنه الشوكة التى فى الجسد ، لكن الاجابة كانت بالنفى ، لأن الله قصد من هــذه الشــوكة ان لا يرتفع بولس ، وأن تظهر قوة الله فى ضعفه .

كذلك تكون الاجابة بالنفى اذا كان فى الايجاب ضرر بالغير ، ولقــد صلى يسوع قائلا : « يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، وكانت الاجابة بالنفى لأن فى استجابتها عدم صلب المسيح وبالتالى عــدم خلاص البشرية .

وأما اجابة الصلاة بالايجاب ، أو استجابة الصلاة فكثيرا ما يكون عن طريق غير مباشر بحيث نلحظ ذلك بصعوبة . ومع ان الله قادر على عمل المعجزات لتمجيد اســمه ، وعندما تقضى الظروف ، لكن الله أحيانا كثيرة يجيب الصلوات بطريق غير معجزى عن طريق القوانين الطبيعية . فنحن قد نصلى لأجل مريض ، فيعمل الله مرشدا الطبيب ليصف له الدواء الشافى ، وقد نصلى ليعول الله الأيتام والأرامل فلا ننتظر ان الله سيمطر عليهم من السماء ذهبا او فضة ، بل ان الاجابة تكون عن طريق عمل الله فى قلوب أهل الخير .

اما النوع الثالث من اجابة الصلاة فهو التأجيل ، ولنا فى حنة فى العهد القديم خير مثل لذلك . فقد استجاب لها الله بعد زمن طويل ، وكان ذلك لحكمة فى قصد الله . وعلينا أن نستمر فى صلواتنا دون فشل أو فتور .

وقد قال القديس أوغسطينوس : « ان بركات الله لا تأتى سريعا وذلك حتى يزداد شوقنا الى الله . ونجدد اشواقنا ، ونتمسك بالثقة والصبر » . وقد كان هذا حقيقيا فى حالته هو . فقد صلت أمه لأجله تسع سنوات قبل أن يتجدد .

سـابعا

اذا كان الله يعلم ما نحتاج اليه

قبل أن نسأله ، فلماذا نصلى ؟

قيل فى الكتاب المقدس ان الله يستجيب قبل ان ندعوه ، وانه يعلم ما نحتاج اليه قبل أن نسأله ، وانه اب سماوى لنا . لذلك يتساءل بعض الناس . لماذا نصلى اذا ؟

اذا كان الله يعرف حاجاتنا . ويحب أن يجيبها . فما الداعى للصلاة ؟

وللاجابة على هذا السؤال نورد ثلاث اجابات :

١ — أن الصلاة تأكيد لاعتمادنا الدائم على الله اننا عندما نطلب من الله . نؤكد لأنفسنا ولغيرنا اعتمادنا على الله . لان الله يعطينا عطاياه أحيانا كثيرة عن طريق غير مباشر . مثل قوى الطبيعة او مجهودنا الذاتى . او ذكائنا أو قوانا . فنحن قد نجرب بأن ننسى المعطى الحقيقى .

٢ — والصلاة توطيد لشركتنا القدسية مع الله . فالله ليس متجرا نشترى منه البضائع . ونقدم له الصلاة كثمن لما نشتريه . الله أب حنون ، فهل يتساءل الابن « ماذا أنال عندما التقى مع ابى » ؟ أن من يفكر هذا التفكير لا يستحق . أن يكون ابنا .

ان الله صديق يفتح لنا قلبه ، وما أشد حاجتنا الى شخص قريب منا فنطرح امامه مشكلاتنا .

ان الصلاة هي جو الشركة التي تجعلنا ننمــو وننضـــج . واذا كان الأطفال لا ينشأون أصحاء نفسيا الا اذا كانت تربيتهم في جو الأسرة ، فان الصلاة هي جو الأسرة الروحية التي نحيا فيها .

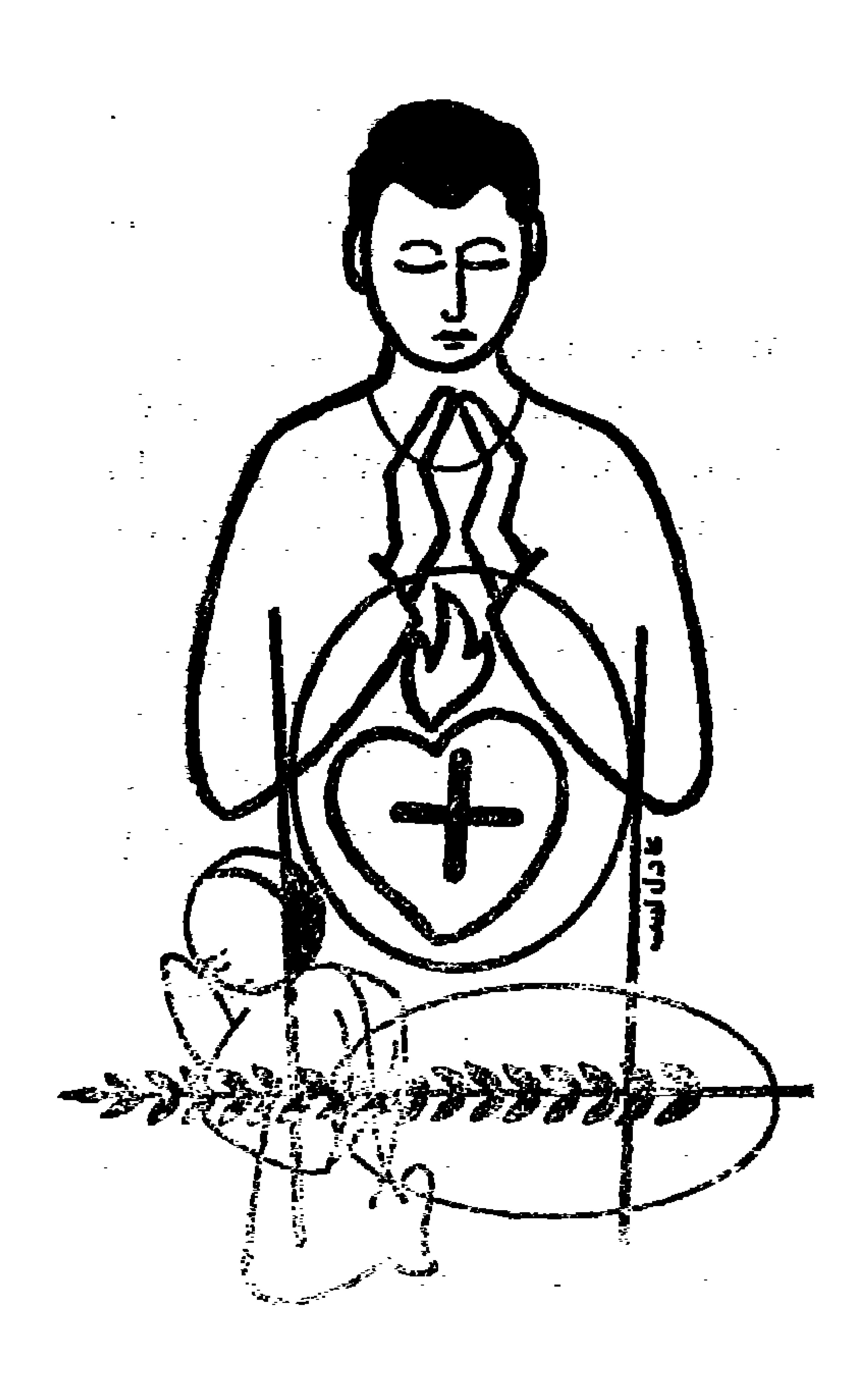
٣ ــ والصلاة تدريب لنا في مدرســة الله . فهي تدريب لنا أن نعرف أغراضنا الحقيقية التي نصلي لأجلها ... وتدريب لنا أن نسعى لأجل تحقيق ما نصلي لأجله ... وتدريب لنا أن نتجهز لاستقبال بركات الله واستخدامها.

ان الصلاة لا تغير ارادة الله ، لكنها قد تغيرنا نحن لنقبل مشيئة الله ، وقد تكون ارادة الله معلقة بصلواتنا ، كالأب الذي عزم ان يعطي ابنه هدية معينة اذا طلب منه ابنه هدية . وحين يطلب الابن الهدية ، يعطيه أبوه اياها فالارادة موجودة ، لكن تقديمها يتوقف على طلب الابن ....

لذلك صلوا كل حين ... صلوا ولا تملوا ...



الصوم



الصـــوم *

الصوم الدينى هو الامتناع عن كل نوع من أنواع الطعام ، والاعتكاف عن الاشغال والاقوال والأفكار العالمية ، وعن كل لذات الجسد — والامتناع عن الطعام فى حد ذاته ليس جزءا من العبادة الدينية ، لكنه اذا اقترن بالصلاة والتذلل كان واسطة معينة من الله نستعد بها لممارسة امور العبادة .

والصوم كالصلاة اما ان يكون فرديا أو عائليا او كنســيا ، ولكنه فى كل حالاته لابد له من دواع تدعو اليه وفى هذا يختلف الصــوم عن غيره من وسائط النعمة ، فالصلاة يجب أن تكون فى كل حين (لوقا ١٨ : ١) وكذلك التسبيح (عب ١٣ : ١٥) وقراءة الكلمة (مز ١ : ٢) أما الصوم فلابد أن يكون هناك ما يستدعيه .

دواعى الصــوم :

١ — من دواعى الصوم الرغبة فى التعمق الروحى بفحص النفس أمام الله والتذلل قدامه وسكب القلب لديه ، والرغبة فى انهاض الحالة الروحية سواء للفرد أو العائلة أو الكنيسة . قال الرب بفم يوئيل النبى « قدســوا صوما ، نادوا باعتكاف » (يؤ ٢ : ١٥) .

٢ — ومن دواعى الصوم طلب نجاح الخدمة الروحية كما كان التلاميذ « يخدمون الرب ويصـــومون » (أع ١٣ : ١ ، ٢) وكما ذكر بولس « فى كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير .. فى شدائد .. فى أتعاب ، فى اسهار ، فى أصـــوام .. » (٢ كو ٦ : ٤ — ٨) (وكذلك فى ٢ كو ١١ : ٢٧) .

---

* يود الكاتب أن يقر شاكرا بأن الحقائق الواردة فى هذا الفصل عن الصوم مقتبسة بايجاز من كتاب « مجموعة حقائق كتابية » للاخ برســـوم ميخائيل خادم الانجيل الجزء الرابع طبعة سنة ١٩٦٧ من صفحة ٢٩٥ الى ٣١٤ — وباذن خاص من المؤلف مشكورا .

٣ — كذلك من دواعى الصوم طلب القوة لقهر العدو الروحى ، فقد قال السيد المسيح عن حالة من حالات تملك الشيطان لأحد الأفراد « هذا الجنس لا يخرج الا بالصلاة والصوم » (مت ١٧ : ١٩ — ٢١) .

٤ — من دواعى الصوم طلب الهداية والحماية والنجاة من المخاطر كما صلى عزرا ونادى بصوم .. « لكى نتذلل أمام الهنا ، لنطلب منه طريقا مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل ما لنا .. فصمنا وطلبنا ذلك من الهنا فاستجاب لنا » (عزرا ٨ : ٢١ — ٢٣) .

وكما تذلل أهل نينوى وصاموا (يونان ٣)

وكما طلبت أستير من شعبها ان يصوم لكى ينقذها الله من غضبه الملك عندما تدخل اليه (أستير ٤) .

مميزات الصوم :

١ — **السرية** : فالصوم تذلل شخصى امام الله وهكذا أوصى السيد المسيح « متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين .. وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكى **لا تظهر للناس صائما** ، بل لأبيك الذى فى الخفاء » (مت ٦ : ١٦ — ١٨) — لذلك فالاعلان عن الصوم أمر غير كتابى اذا كان المقصود بالصوم تذلل شخصى للرب .

— تكون مدة الصوم عادة يوما من المساء الى المساء . فان الصوم المفروض على الشعب القديم هو يوم الكفارة « فتذللون نفوسكم .. من المساء الى المساء » (لاويين ٢٣ : ١٢) .

وعندما تذلل يشوع فى صومه على كسرة الشعب « سقط على وجهه الى الارض امام تابوت الرب الى المساء هو وشيوخ اسرائيل » (يش ٧ : ٦) وأجابه الرب بعد ذلك .

وكذلك داود ورجاله لما حزنوا متذللين أمام الرب من أجل كسرة الشعب « صاموا الى المساء » (٢ صم ١ : ١٠) .

وفى اشعياء ٥٨ : ٣ — ٥ يرد الله على شعبه الذى يقول له لماذا صمنا ولم تظهر فيقول « ها انكم فى يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون .. أمثل هذا يكون صوم أختاره ؟ » .

وفى هذا اشارة أن الصوم لمدة يوم . وقد يتكرر من حين لآخر من قبيل اللجاجة التى أوصى بها الرب ، ولكن عادة تكون هناك فترة بين يوم وآخر .

واذا قيل ان داود صام من أجل ابنه المريض سبعة أيام نرد بالقول انه كان ينبغى ان يفهم مشيئة الرب من اليوم الأول ويخضع لمشيئته ويسمع لمشورة شيوخ بيته ولكنه لم يسمع ، وصام بلا طائل وفى النهاية مات الولد (٢ صم ١٢ : ١٥ — ٢٣) .

واذا قيل أن دانيال صام ثلاثة أسابيع متصلة نرد بأن هذا لم يكن صوما . لأن الصوم امتناع عن الطعام أو الشراب أما دانيال فكان يأكل ويشرب من غير الاطايب لانه كان فى مناحة شخصية على مستقبل شعبه كقوله «كنت نائحا ثلاثة أسابيع ايام ، لم آكل طعاما شهيا ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر، ولم أدهن (دا ١٠ : ٢ ، ٣) .

ونلاحظ أن المناحة قد تصل بالانسان الى حد الامتناع عن كل أكل وشرب لنهاية اليوم ، وقد سميت هذه المناحة صوما (٢ صم ١ : ١١ ، ١٢ ، ٣ : ٣١ ، ٣٥) .

عندما صام داود ورجاله الى المساء وهم يندبون ويبكون موت شاول ويوناثان — وعلى موت ابنير .

وهذه ليست عبادة ولكنها مناحة لسبب واضح جلى .

٣ — ومن مميزات الصوم الانقطاع التام طيلة اليوم عن الأكل والشرب .

مثل أهل نينوى (يونان ٣ : ٥ — ٧) .

وشعب أستير (أستير ٤ : ١٥ ، ١٦) .

وهذا لانه من ضمن ما يعنيه الصوم الاقرار القلبى بعدم استحقاقنا حتى للخبز الذى نأكله أو الماء الذى نشربه ، ومن ثم فما نطلبه انما نلتمسه من الله على مبدأ النعمة .

فكل صوم فيه أكل أو شرب لا يعتبر صوما كتابيا .

٤ — ومن مميزات الصوم الا يكون فرضا بشريا — أى انه اختيارى.

فقول الرب « فمتى صمت .. » يدل على أن الصوم مسألة خاصة بين الفرد وربه فى حالة الفرد ، وبين الجماعة وربها فى حالة صوم العائلة أو الجماعة .

فحتى صوم الجماعة لا يفرضه عليها احد أو نظام لكن باتفاق الجماعة معا كصوم الشعب وقت أستير لظرف طارىء (أستير ٤ : ١٥ — ١٧) .

وكما حدث فى صوم خدام الرب معا فى أنطاكية لأجل عمل الرب المشترك بينهم (اعمال ١٣ : ٢) .

هذا الصوم الاختيارى هو الذى يدعو اليه الرب بعمل روحه فى القلوب « قدسوا صوما » .

أما الصوم الذى يفرض دوريا سنويا كتقليد فيحرمه الكتاب تحريما باتا ..

« فلا يحكم عليكم احد فى اكل أو شرب » (٢ كو ٢ : ١٦) « وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس (مت ١٥ : ٩) .

مصاحبات الصوم :

١ — **التوبة** : اذا كان بهدف التذلل امام الله ، والرجوع عن الشر .

« إرجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم .. (يؤ ٢ : ١٢ — ١٤) .

ومثل ما حدث مع اهل نينوى ، ومع يشوع عند خيانة عجان .

أما الصوم بلا توبة ونوح ولا رجوع الى الرب فهو رياء لا يطيقه الرب كقوله « لست أطيق الاثم والاعتكاف » (اش ١ : ١٣) .

٢ — الصلاة :

ونجد الصلاة دائما مقترنة بالصوم طيلة الوقت (مت ١٧ : ٢١ يونان ٣ : ٨ ، عزرا ٨ : ٢٣) .

٣ — الانقطاع التام عن الاكل والشرب :

أما اذا حرمت انواع من الاكل وسمح بأكل انواع أخرى ، وفى ايام معينة فهذا ما يعارضه الكتاب وينهى عنه وما إشار اليه الرسول عن المضلين الذين « آمرين أن يمتنع عن اطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق . لأن كل خليقة الله جيـــدة ولا يرفض شئ اذا أخذ مع الشكر » (١ تى ٤ : ١ — ٧) .

وقد أوضح السيد المسيح انه ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان ... (مت ١٥ : ١٠ — ٢٠) .

أما اذا قيل ان دانيال حلل البقول واعتبرها طاهرة وحرم اللحوم وامتنع عن اكلها فالرد أن ذلك لم يكن صوما منه والا اعتبرناه صائما مدى الحياة ، فى حين أن الصوم يوم له نهايته . وسر امتناع دانيال عن اللحوم ، انه كان يهوديا تحت الناموس الطقسى اليهودى ملتزما بمطاليبه وقـــد كان الناموس يحرم أكل الشحم والدم وما لا يشق ظلفــــا وما لا يجتر وما ذبح للأوثان من البهائم وسكب للأوثان من مشروبات — وكان دانيال يجـــد كل هـــذه فى بابل فجعل فى قلبه انه لا يتنجس بأطايب الملك وخمر مشروبه (دا ١ : ٨ — ١٢) .

أما المسيحى فقد تحرر من هذه القيود الناموسية بموته للناموس بموت المسيح (روميه ٧ : ١ — ٧) لذلك قال المسيح لبطرس عن الحيوانات التى كان يعتبرها نجسة وحرم أكلهـــا « ماطهره الله لا تدنسه أنت » (أع ١٠ : ١٠ — ١٦) .

أما اذا قيل أن الرسول قال فى رومية ١٤ ان الضعيف يأكل بقولا وانه يعتبر يوما دون يوم وانه حسن أن لا تأكل لحما ولا تشرب خمرا ولا شيئا يصطدم به أخوك أو يعثر الخ ..

فالرد ان الموضوع هنا ليس الصوم بل هو شخص مسيحى كان أصلا

يهوديا تحت الناموس ، لكنه لضعفه كان يجهل مركزه الجديد كمن مات للناموس ، فهو لا يزال يربط نفسه به .

وهذه حالة خاصة فى كنيسة رومية حيث كان كثيرون من اليهود المتنصرين وحيث كانت هناك الأصنام الرومانية التى تذبح لها الذبائح .

خطأ الاصوام الدورية الثابتة :

أن هذه وصايا الناس وفى هذا يقول الرسول « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كو ٢ : ١٦) وما الآن فالمسيحية « إذ عرفتم الله ، بل بالحرى عرفتم من الله ، فكيف ترجعون أيضا الى الأركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد ؟ أتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين — أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثا » (غل ٤ : ٩ ، ١٠) .

فاذا قيل ان لوقا أشار فى أعمال ٢٧ : ٩ بالقول « اذا كان الصوم ايضا قد مضى » نقول انه يشير بذلك الى صوم من الأصوام اليهودية التى كانوا من قديم قد فرضوها على أنفسهم فى أوقات معينة وهذا ما ينهى عنه الكتاب وذكر لوقا لهذا الصوم من قبيل التاريخ وليس التعليم او التوصية به كقوله مثلا فى أعمال ٢٠ : ٦ « وأما نحن فسافرنا فى البحر بعد ايام الفطير » — أى تستخدم هذه المناسبة لذكر التاريخ فقط .

لكن الرب يتبرأ من كل صوم يفرضه الانسان على نفسه أو غيره كفريضة دورية ثابتة — كما ورد فى زكريا ٧ : ١ — ٦ .

« .. وكان .. لما ارسل أهل بيت ايل .. قائلين البكي فى الشهر الخامس منفصلا كما فعلت كم من السنين هذه ؟ ثم صار الى كلام رب الجنود قائلا : « قل لجميع شعب الأرض وللكهنة لما صمتم ونحتم فى الشهر الخامس والشهر السابع — وذلك هذه السبعين سنة — فهل صمتم لى أنا ؟ ولما أكلتم ولما شربتم أنما كنتم أنتم الآكلين ، وأنتم الشاربين ؟ » .

أى أن مافعلتموه كان من تلقاء أنفسكم بغير أمر منى ، ومن ثم فلا شأن لى بأصوامكم ولا بأيامكم .

لذلك فالأصوام التقليدية المفروضة بالاضافة الى أنها بلا دواع شخصية أو عائلية أو كنسية ، فانها لم يأمر بها الله ولا تتمتع بمميزات الصوم الكتابى كالسرية أو الانقطاع التـام عن الأكل والشرب أو النوح على حالة معينـة أو التماس المراحم .

واليكم أمثلة :

(أ) الصوم المسـمى « بالصيام الكبير » ويقـال انه للتمثل بالرب فى صومه .

ومع ان واجب المؤمنين التمثل بالمسيح الا انهم من جهـة الصوم وأن استطاعوا أن يقاتلوا فى مبدئه الا انهم يعجزون عن التمثل به فى نوعه .

فقد كان صومه انقطاعا تاما عن الأكل والشرب طيلة الأربعين يوما .

وقد صام الرب هذه المدة مرة واحدة ولم يكررها فى كل ميعاد .

وبذلك لا يكون الصوم الكبير اقتداء بالمسيح . وهو لم يطلب ذلك من المؤمنين . فقد كان صيامه أمرا خاصا به لكى يوجد نفسه فى تجربته فى ظروف مضادة لظروف آدم الأول الذى جرب فى الأكل وهو فى جنة ومسموح له بكل أنواع الأكل ، أما يسوع فجرب وهو فى صحراء وهـو جوعان وذلك ليبرهن على عصمته كانسان وعلى أهليته ان يقدم نفسه كفارة عن البشر .

(ب) الصوم المسمى صوم الرسل — لا نجد فى الكتا بالمقدس ذكرا أن رسل المسيح صاموا صوما متواصلا لمدة شهر . الذى ورد ذكره فى (أع ١٣ : ١ — ٣) أن بعض الأنبياء كانوا فى أنطاكية يخدمون الرب ويصومون ولم يكن منهم أحـد من الرسل الاثنى عشر وكان صيامهم تذللا لينصرهم الله على الصعاب التى تعترض الخدمة . ولا مانع أن خدام الرب يقتدون بهم حسـب ظروفهم ولكن ليس بصوم مفروض .

(ج) الصوم المسمى بصوم العذراء .

— لم يرد فى الكتاب ان العذراء صامت .

— خطأ هذا الصوم أن من يصومه يتعبد للعذراء ويتشفع بهـا لقضاء

مصالح زمانية كاطالة عمر الأولاد ونجاح الامتحانات وشفاء الأمراض ـ وهذه كلهـا فوق أنها جسديات لا تتصل بملكوت الله وبره فانها موجهة الى انسان مهما كان مقامه رفيعا مكرما ، ولا يليق النـذر لانسان والقديسون فى الكتاب رفضوا أن يعبدوا ، ومزقوا ثيابهم تبرءا من نذر النـذور لهم وذبح الذبائح أو تقديم العبادة لهم (أعمال ١٤ : ٨ ـ ١٨) لأن العبادة فى كل أشكالها منحقوق الله وحده (متى ٤ : ١٠) وقـد قيل للعـون الرجل الذى يتكل على الانسان (ارميا ١٧ : ٥ ـ ٨) .

(د) الصوم المسمى صوم نينوى ـ وهنا يقول البعض انه مثل يونان . ويونان لم يصم لأن الصوم يجب أن يكون اختيـاريا اما يونان فكان فى جوف الحوت ولم ينو الصيام .

أما اذا قيل انه مثل شعب نينوى ، فقد كان هذا مصحوبا بتوبة بناء على كرازة يونان وانذاره ـ ولا توجد اشارة أنهم صاموا ثلاثة أيام ـ وهذا واجب الخطاة عند توبتهم وليس عادة سنوية .

(هـ) صوم الجمعة الكبيرة .

اذا قيل كان المسيح متألما ويجب أن لا نكون فرحين ـ نرد بأن المسـيح قال للواتى كن يبكين عليه « لا تبكين على » (لو ٢٣ : ٢٨) .

كما أن المسيح لم يكن ذاهبا للصليب مغلوبا على أمره بل برضاه لأجل خلاصنا .

وواجب المؤمنين أن يفرحوا لاجل الخـلاص « فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا اذا لنعيد »(١ كو ٥ : ٧) .

وذكرى موت المسيح نذكره بالعشاء الربانى بابتهاج .

(و) صيام قبل التناول من الفريضة (عشاء الرب) .

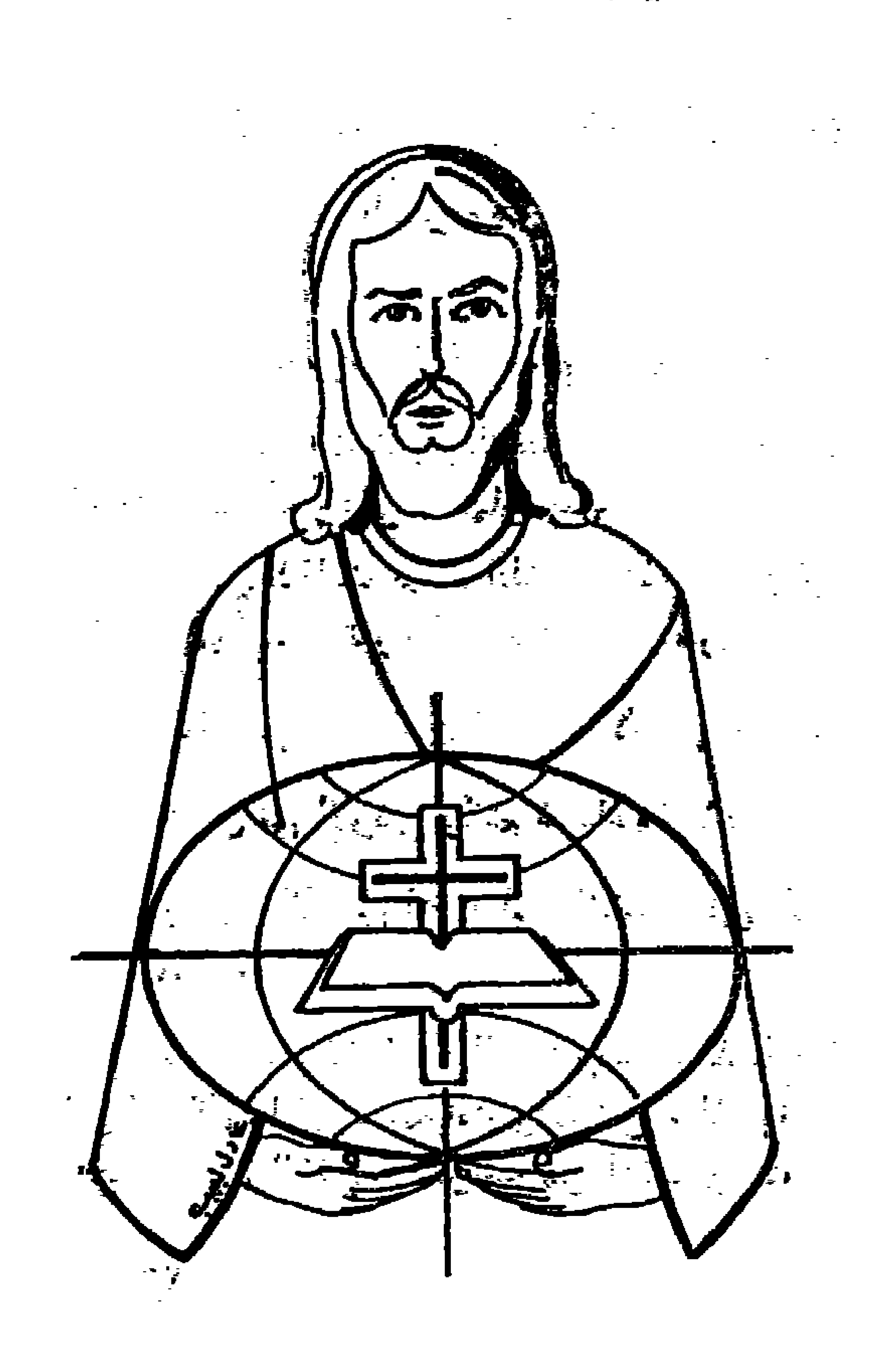
نقول ان الفريضة تمت بعد العشاء .

وعندما خلط أهل كورنثوس بين الطعام العادى وعشاء الرب قال لهم الرسول « ان كان احد يجوع فليأكل (أكله العادى) فى البيت » (١ كو ١١ : ٣٣ ، ٣٤) .

أما التذلل من اجل الخطية فيمكن ان يكون فى أى وقت .

(٢٠)

الوكالة المسيحية
أو
الأمانة فيما لله



أولا : أســـاس الوكالة المسيحية :

١ ـــ الله مالك المسكونة وما فيها .

« اهتفى للرب يا كل الأرض » .

« اعبدوا الرب بفرح . ادخلوا الى حضرته بترنم » .

« اعلموا أن الرب هو الله » .

« هو صنعنا وله نحن شعبه غنم مرعاه » .
(مزمور ١٠٠ : ١ ـــ ٣)

كل من اخترع شيئا يملك حق اختراعه والقانون يحميه . كل من ألف أدبا أو وضع لحنا ، يمتلك ما ألفه ، والقانون يحميه ..

والله خالق السماوات والأرض ، وكل ما فيها ، خلقها بأمره من العدم .. ألا يملك كل شيء فى هذه الأرض .

« الذى بيده مقاصير الأرض وخزائن الجبال له » .

« الذى له البحر وهو صنعه ويداه سكبتا اليابسة » .
(مزمور ٩٥ : ٤ ، ٥)

« هل نسجد ونركع أمام الرب خالقنا » . (مزمور ٩٥ : ٦)

« للرب الأرض وملؤها . المسكونة وكل الساكنين فيهـــا . لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها » (مز ٢٤ : ١ ، ٢) .

فبحق الخليقة يملك الله كل هذا الكون ، ولا منازع لملكه فيها . وهو يعلن ذلك فى مواضع كثيرة فى الكتاب المقدس .

فالأرض له « فإن لى كل الأرض » (خروج ١٩ : ٥) .

« لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » (لا ٢٥ : ٢٣) .

وثروة الأرض له « لى الفضة ولى الذهب يقول رب الجنود » (حجى ٢ : ٨) .

وكل ما نملك له « لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لأن لك كل ما فى السموات والأرض . لك يا رب الملك وقد ارتفعت رأسا على الجميع . والغنى والكرامة من لدنك وأنت تتسلط على الجميع وبيدك القوة

والجبروت وبيدك تعظيم وتشديد الجميع . والآن يا الهنا نحمدك ونسبح اسمك الجليل . ولكن من انا ومن هو شعبى حتى نستطيع ان ننتدب هكذا لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك » (اى ٢٩ : ١١ — ١٤) .

(من صلاة داود عند تقديم العطايا المعدة لبناء الهيكل) .

كل هذا يبين لنا حقيقة امتلاك الله لنا ولكل ما نملك — عندما ترك الله الانسان فى جنة عدن احتفظ لذاته بشجرة فى الجنة أوصى الانسان ان لا يقترب منها ولا يأكل منها ليذكر الانسان بأنه يحيا تحت سلطان الله وفى ممتلكاته ، لكن الانسان خالف ، فطرد من الجنة .

لقد خلقنا الله على صورته ، والصورة والكتابة التى على العملة تفيد ملكية الملك لهذا السلطان — وحتى لو جعلت الخطية صورة الله باهتة فينا لكن ذلك لا يغير من الحقيقة . حتى لو باع الانسان نفسه للشيطان فان المالك الحقيقى هو الله . والانسان ليس له حق فى نفسه .

٢ — الله يمتلك شعبه المفدى :

ليس بحق الخليقة وحدها يملك الله الانسان ولكن بحق الفداء — فان الله افتدى شعبه وفى العهد القديم رمز الى ذلك باختيار الله لشعب اليهود ليعلن لهم ذاته وفيما بعد أنقذهم من العبودية من أرض مصر ، رمز الفداء المسيح لكنيسته من عبودية الشيطان .

« اياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأمم » (عاموس ٣ : ٢ ، ١٢) .

« وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وامة مقدسة » (حز ١٩ : ٦) .

« عالمين انكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب دم المسيح » (١ بط ١ : ١٨ ، ١٩)

« وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء » (١ بط ٢ : ٩)

« انكم لستم لأنفسكم . لأنكم قد اشتريتم بثمن » .
(١ كو ٦ : ١٩ ب ، ٢٠)

هذه العلاقة الجديدة ، بين الله وشعبه ، تضع مسئولية الولاء لله على عاتق هذا الشعب ويظهر ذلك من هذا التحول .

« فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الأرض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة »
(خروج ١٩ : ٥ ، ٦)

هذه العلاقة وهذا العهد بين الله وشعبه مؤسس على افتداء الله لشعبه من العبودية .

« لانك انت شعب مقدس للرب الهك . اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا اخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم ، لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب اياكم وحفظه القسم الذى اقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر » .
(تثنية ٧ : ٦ ــ ٨)

ان هذا الفداء العظيم كان دائما يتردد فى اثناء العبادة . وعندما كان الناس يحضرون باكورة الغلات كجزء من عبادة الله فى الهيكل ، كانوا يرددون اعمال الله العجيبة معهم وكيف افتداهم وانقذهم .

« ومتى اتيت الى الأرض التى يعطيك الرب الهك نصيبا وامتلكتها وسكنت فيها ، فتأخذ من اول كل ثمر الارض الذى تحصل من أرضك التى يعطيك الرب الهك وتضعه فى سلة وتذهب الى المكان الذى يختاره الرب الهك ليحل اسمه فيه .. ثم تصرخ وتقول أمام الرب الهك . أراميا تائها كان أبى فانحدر الى مصر وتغرب هناك فى نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة ، فأساء الينا المصريون وثقلوا علينا وجعلوا علينا عبودية قاسية فلما صرخنا الى الرب اله آبائنا سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب .

وادخلنا هذا المكان وأعطانا هذه الأرض أرضا تفيض لبنــا وعسلا . فالآن هأنذا قد أتيت بأول ثمر الأرض التى أعطيتنى يا رب . ثم تضعه أمام الرب الهك وتسجد امام الرب الهك . (تثنية ٢٦ : ١ ــ ١٠)

ونفس هذه الذكرى كانت تردد فى العبادة عند تقديم الأبكار من الغنم والبهائم .

« ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين .. انك تقدم للرب كل فاتح رحم

وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك .. ويكون متى سألك ابنك غدا قائلا ما هذا تقول له بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية » .
(خر ١٣ : ١١ — ١٤)

٣ — ولاؤنا واعترافنا بسيادة المسيح علينا هو أساس وكالتنا المسيحية .

نحن نعترف بملكية الله للعالم وكل ما فيه فهو الاله الجواد القدوس المحب ، ونعترف بحضوره الدائم في كل زمان ومكان .

ونحن نعترف أيضا بسيادة المسيح علينا .

« فانه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق . الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل » . (كولوسي ١ : ١٦ — ١٧)

لذلك أعلن بطرس قائلا عن يسوع :

« هذا هو رب الكل » (أعمال ١٠ : ٣٦)

واذا كان الشعب العبراني في القديم كان في كل أجزاء عبادته يذكر ويردد انقاذ الله له من عبودية جسدية ، فكم بالحرى نحن يجب ان نعترف ونشيد ونذكر فداءه لنا من عبودية الخطية القاسية ، وكيف أنه اشترانا بدمه على الصليب ، واذا كانوا يقدمون له الباكورة من كل شيء ، فما أجدرنا ان نقدم كل شيء له ؟

« أم لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم من الله وانكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله » . (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠)

« لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته لأننا ان عشنا فللرب نعيش وان متنا فللرب نموت . فان عشنا وان متنا فللرب نحن » .
(روميه ١٤ : ٧ — ٨)

٤ — لذلك فان التعبير عن عبادتنا وتمجيدنا لله لا يكون مجرد تسبيح ظاهري أو شكر كلامي لكن العبادة والشكر والتمجيد لا بد ان تكون مصحوبة بتقديم الذات وكل ما نملك للسيد ويعبر عن ذلك رمزيا بالعطاء .

وقد اعتبر العطاء وتقديم التقدمات جزءا هاما من عبادة الله وتمجيده .

« قدموا للرب يا قبائل الشعوب قدموا للرب مجداً وقوة . قدموا للرب مجد اسمه . هاتوا تقدمة وادخلوا دياره . اسجدوا للرب فى زينة مقدسة »
(مزمور ٩٦ : ٧ — ٩)

فالله لا يريدنا ان نظهر امامه فارغين .

« ولا يظهروا امامى فارغين » . (خر ٢٣ : ١٥ ، ٣٤ : ٢٠)

ان تقدماتنا اذا كانت من القلب ، وبروح الشكر والعرفان الحقيقى ترضى الله ، ولكنها اذا كانت لمجرد اتمام واجب مفروض ، فانها تجعل عبادتنا لله غير مقبولة . قديما اراد بعض الناس أن يقدموا « شكليا » — لاتمام المفروض عليهم ، فقدموا تقدمات غير ممتازة — قدموا ما يستغنون عنه — قدموا حيوانات عمياء أو عرجاء أو مريضة . اسمعوا ماذا قال الرب لهم على لسان النبى :

« وان قربتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شرا . وان قربتم الأعرج والسقيم أفليس ذلك شرا . قربه لواليك أفيرضى عليك أو يرفع وجهك قال رب الجنود . والآن ترضوا وجه الله فيتراءف علينا . هذه كانت من يدكم . هل يرفع وجهكم قال رب الجنود . من فيكم يغلق الباب . بل لا توقدون على مذبحى مجانا . ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم » .
(ملاخى ١ : ٨ — ١٠)

وفى الختام الرسالة الى العبرانيين يحثنا الرسول أن نظهر حمدنا وشكرنا بشفاهنا وبأعمالنا قائلا :

« فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه . ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لانه بذبائح مثل هذه يسر الله » .
(عب ١٣ : ١٥ ، ١٦)

واشار بولس الى أهل فيلبى عن تقدماتهم للرب انها « نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله » . (فيلبى ٤ : ١٨)

ثانيا : تطبيق الوكالة المسيحية :

(أ) فى العهد القديم :

١ — نظرة العهد القديم الى المقتنيات :

كان اليهود فى العهد القديم ينظرون الى المقتنيات من ثروة ومال وغنم وارض باعتبارها بركة من الله .

« وبارك الرب ابراهيم فى كل شىء » . (تك ٢٤ : ١)

«باركت اعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض» . (ايوب ١ : ١٠)

على اننا نرى فى نفس الوقت اتجاهات الأنبياء تحذر من النظرة الاتانية الى الثروة ، وتعتبر ان من يملك ثروة عليه مسئولية رعاية الفقراء والمحتاجين وعدم استخدام الثروه استخداما اناينا او ظالما بل يجب استخدامها لصـــالح المجتمع .

« ان كنت منعت المساكين عن مرادهم أو أفنيت عينى الأرملة . او أكلت لقمتى وحدى فما اكل منها اليتيم . بل منذ صباى كبر عندى كأب ومن بطن أمى هديتها ان كنت رأيت هالكا لعدم اللبس او فقيرا بلا كسوة . ان لم باركتى حقواه وقد استدفا بجزة غنمى .

ان كنت قد هززت يدى على اليتيم لمـــا رأيت عونى فى الباب . فلتسقط عضدى من كتفى ولتنكسر ذراعى من قصبتها » . (ايوب ٣١ : ١٦ — ٢٢)

« اسمعى هذا القول يا بقرات باشان التى فى جبـــل السامرة الظالمة المساكين الساحقة البائسين القائلة لسادتها هات لنشرب . قد أقسم السيد الرب بقدسه هوذا ايام تاتى عليكن يأخذونكن بخزائم وذريتكن بشصوص السمك » . (عاموس ٤ : ١ ، ٢)

« لأجل ذلك من اجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها وغرستم كروما شهية ولاتشربون خمرها » . (عاموس ٥ : ١١)

كانت هذه دينونة الله لمن يسىء استخدام الثروة ، ويظلم بها المساكين .

وفى كل الأحوال كانوا يعتبرون أن الأرض مملوكة للرب ومن حقه أن يأخذ من غلاتها ، وأنهم ضيوف على الله فى أرضهم .

« والأرض لا تباع بتة » .

« لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » . (لاويين ٢٥ : ٢٣)

ولذلك جعل الله نظام الولى الذى يشترى الأرض نيابة عن قريبه ويفكها من الدين ، وحتى لو باع الانسان الأرض وعجز أقرباؤه عن فكها من الدين ، تعود الأرض لصاحبها الأصلى فى سنة اليوبيل وهى كل سابع سنة .

ويمكن أن تقرأ ذلك بالتفصيل فى (لاويين ٢٥ : ٢٥ — ٢٨)

اذا افتقر أخوك فباع من ملكه يأتى وليه الأقرب اليه ويفك مبيع أخيه ، ومن لم يكن له ولى فان نالت يده ووجد مقدار فكاكه يحسب سنى بيعه . ويرد الفاضل للانسان الذى باع له فيرجع الى ملكه . وان لم تنل يده كفاية ليرد له يكون مبيعه فى يد شاريه الى سنة اليوبيل ثم يخرج فى اليوبيل فيرجع الى ملكه » .

وزيادة فى تأكيد ملكية الله للأرض ، جعل الله شريعة اليوبيل تتضمن عدم حصاد الحقل فى سنة اليوبيل بل تكون هذه السنة سنة عطلة للأرض يأكل منها الانسان وعبيده وبهائمه وضيوفه دون أن يبيع منها أو يستغلها . وهكذا نرى ان شريعة الله تضمنت تفاصيل خاصة بالأرض وزراعتها باعتبار أن الله هو مالك الأرض .

« وأما السنة السابعة ففيها يكون للأرض سبت عطلة سبتا للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك . . ويكون سبت الأرض لكم طعاما . لك ولعبدك ولأمتك ولأجيرك ولمستوطنك النازلين عندك ولبهائمك وللحيوان الذى فى أرضك تكون كل غلتها طعاما » . (لاويين ٢٥ : ٤ ، ٦ ، ١٧)

٢ — نظام العشور فى العهد القديم :

العشور نظام قديم ، ونجده فى كثير من الشعوب — لكن العهد القديم وضع له تفاصيل ونظاما . وهو يعتبر حق الله ، وحق الكهنة الذين كانوا يمثلون الله ويقومون بفرائض العبادة .

ونحن نقرأ أن ابراهيم أب المؤمنين قدم لملكى صادق الكاهن وملك ساليم عشرا من كل شىء بعد انتصاره على الملوك . (تك ١٤ : ٢٠)

وفى الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر أخبار الايام الثانى نرى كيف رتب الملك حزقيا جمع العشور لرعاية الكهنة وخدمة الهيكل .

« واتوا بعشر الجميع بكثرة » . (٢ أخ ٣١ : ٥)

« واتوا بالتقدمة والعشر والأقداس بأمانة » . (٢ أخ ٣١ : ١٢)

وقد تعددت شرائع دفع العشور فى العهد القديم وليس هنا مجال لسردها بالتفصيل — ونكتفى بأن نسرد هذا الموجز .

(أ) كان على العابد أن يحضر عشر كل غلاته الى مكان العبادة ويأكل ويفرح ببركات الرب .

« وتقدمون الى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم وتأكلون هناك أمام الرب الهكم وتفرحون بكل ما تمتد اليه أيديكم أنتم وبيوتكم كما باركم الرب الهكم » .
(تث ١٢ : ٦ ، ٧)

كانت العشور فريضة أمر بها الرب .

« تعشيرا تعشر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة » . (تث ١٤ : ٢٢)

(ب) ونظرا لان بعض الناس كانوا بعيدين عن مكان العبادة لذلك كان على المتعبد أن يبيع العشور ويقدم قيمتها عند حضوره للعبادة فى الهيكل ، ويخص جزء منها اللاوى وهو من يقوم بخدمة الهيكل متفرغا ولا نصيب له فى الارض .

« ولكن اذا طال عليك الطريق حتى لا تقدر أن تحمله . اذا كان بعيدا عليك المكان الذى يختاره الرب الهك ليجعل اسمه فيه اذ يباركك الرب الهك . فبعه بفضة وصر الفضة فى يدك واذهب الى المكان .. وانفق الفضة فى كل ما تشتهى نفسك ..

واللاوى الذى فى ابوابك لا تتركه لانه ليس له قسم ولا نصيب معك »
(تث ١٤ : ٢٤ — ٢٧)

(جـ) نلاحظ هنا أن العشور كانت تصرف بواسطة المتعبد نفسه كشخص يعيد فى الهيكل وكان يدفع منها للاوى — ولكن فى السنة الثالثة كانت العشور كلها تصرف للاوى والغريب واليتيم .

« فى آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك فى تلك السنة وتضع فى أبوابك ... » . (تث ١٤ : ٢٨ ، ٢٩)

« متى فرغت من تعشير كل عشور محصولك فى السنة الثالثة سنة العشور وأعطيت اللاوى والغريب واليتيم والأرملة فأكلوا فى أبوابك وشبعوا تقول أمام الرب الهك . قد نزعت المقدس من البيت وأيضا أعطيته للاوى والغريب واليتيم والأرملة حسب كل وصيتك التى أوصيتنى بها . لم أتجاوز وصاياك ولا نسيتها ... اطلع من مسكن قدسك من السماء وبارك شعبك ... » . (تث ٢٦ : ١٢ ، ١٣ ، ١٥)

(د) فيما بعد نظمت العشور فأصبح العابد يدفع عشرا للاويين .

« وأما بنو لاوى فانى قد أعطيتهم كل عشر فى اسرائيل ميراثا عوض خدمتهم التى يخدمونها . خدمة خيمة الاجتماع » . (عدد ١٨ : ٢١)

والعشر الثانى يستهلكه العابد فى العيد فى أورشليم مع أسرته .
(تث ١٢ : ٥—١٩ ، تث ١٤ : ٢٢—٢٣)

والعشر الثالث كان يدفع كل ثلاث سنين وكل ستة سنين بدلا من العشر الثانى .

(هـ) كان التقصير فى دفع العشور يعتبر سلبا لحق الله ، وكان الله يطالب به .

« أيسلب الانسان الله ، فانكم سلبتمونى فقلتم بم سلبناك . فى العشور والتقدمة » . (ملاخى ٣ : ٨—١٢)

(ب) فى العهد الجديد :

هناك نظرتان الى الوكالة المسيحية فى العهد الجديد النظرة الحرفية ، والنظرة الروحية .

١ — النظرة الحرفية :

يتمسك أصحاب هذه النظرة بحرفية الوصايا ويقولون إن المؤمن فى عهد النعمة لا ينبغى أن يكون أقل اهتماما بدفع العشور من أولئك الذين عاشوا فى عهد الناموس ويستندون فى ذلك على أن السيد المسيح قال لتلاميذه . « ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تقدروا أن تدخلوا ملكوت السموات » . (متى ٥ : ٢٠)

كما أن السيد المسيح لم يوبخ الفريسيين على دفع العشور بتدقيق ولكنه وبخهم لانهم تركوا أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان واعتمدوا على برهم الذاتى لكنه قال لهم « كان ينبغى أن تفعلوا هذه ولا تتركوا تلك » . (متى ٢٣ : ٢٣)

لذلك يصر كثير من المؤمنين على أن يقدموا لله عشر ايرادهم بالتمام ويقولون ان ترك مجال للحرية فى هذا الأمر يجعل الحماس يقل والغيرة تفتر ويجعل الناس تعتذر بكثير من الأعذار ويعتقدون أن الحياة المسيحية تتطلب النظام والتدقيق ، وعدم الاعتماد على النواحى العاطفية لأن الانسان خاطىء وقلبه خادع وكثيرا ما يحاول تبرير ضعفه وتقصيره ليرضى عن نفسه .

٢ — النظرة الروحية :

ينبغى أن نشير اولا أن أصحاب النظرة الروحية لا يعارضون فى أن يقدم الإنسان عشوره لله ، لكن ما يعترضون عليه هو النظرة الحسابية الى الأمور الروحية ، فهم يخشون أن الانسان بصورة روتينية يدفع العشور ، ويتصور نفسه أنه بار وصالح لمجرد أنه يحافظ على شكليات الوصايا مثل الفريسى الذى دخل الهيكل مصليا وقال « اللهم أنا اشكرك لأنى لست مثل باقى الناس الظالمين الخاطفين الزناة ولا مثل هذا العشار . أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه » . (لوقا ١٨ : ١١ ، ١٢)

ان الوكالة المسيحية فى تقدير اصحاب النظرة الروحية ليست حسابا بلْ هى تجاوب من القلب لبركات الله وعطيته التى لا يعبر عنها . لذلك فان سؤال المسيحى « كم ينبغى أن أعطى ؟ » سؤال ليس فى مكانه .. لأنه ماذا يستطيع أن يعطى الانسان لله .

« ان أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا » .
(نشيد ٨ : ٧ ب).

فمهما قدم الانسـان لله ، فانه يكون عاجزا ومقصرا — وسيظل المؤمن المفدى فى حالة من الشكر والانبهار والتعجب مغمورا ببركات الله مسبحا نعمته على الدوام — وبينما هو يفكر فى أن يعدد حسنات الله ، اذا به يزداد من هذه البركات ويتمتع بها أكثر .

« ماذا أرد للرب من جل كل حسناته لى . كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو . أوفى نذورى للرب مقابل كل شعبه » . (مز ١١٦ : ١٣ ، ١٤)

لكن هذه الحرية التى لنا فى المسيح ، لا تجعلنا نتكاسل أو نتواكل ، بل انها لتدفعنا الى مزيد من العطاء والسخاء ، لأن السيد المسيح هو سـيد لحياتنا كلها — وبذلك يتحول العطاء من حساب الى عطاء بلا حساب .

ان بداية الوكالة المسيحية هى الافتراق عن سلطان المال فى حياتنا — فلا يكون المال أو ما يمثله من سلطان وجاه ومركز الها يستعبدنا فاما أن نعبد الله وتكون له السيادة التامة على حياتنا ويكون المال عبدا لنا نستخدمه لمجد الهنا — واما أن يستعبدنا المال فيكون سلطانا قاسيا علينا — وقد قال المسيح بوضوح : « لا يقدر أحد أن يخـدم سيدين . لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » . (متى ٦ : ٢٤) .

هكذا كانت كنائس مكدونية وأسلوب عطائها عندما فاضت فيهم محبة الله ، وسلموا سيادة وقيادة حياتهم للمسيح . يقول عنهم الكتاب :

« ثم نعرفكم أيها الاخوة نعمة الله المعطاة فى كنائس مكدونية . انه فى اختبار ضيقة شديدة فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق نغنى سخائهم ، لأنهم أعطوا حسب الطاقة أنا أشهد وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم . ملتمسـين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التى للقديسين . وليس كما رجونا بل أعطوا أنفسهم أولا للرب ولنا بمشيئة الله » .
(٢ كو ٨ : ١ — ٥)

وهكذا يكون العطاء المسيحى .

ثالثاً : المغزى الروحى للأشياء المادية :

مقدمة :

يظن البعض ان المسيحيه وهى ديانه روحيه تهمل الاشياء المادية ولا تبالى بها — هذا راى غير صحيح .. فان المسيحيه تساعدنا ان ننظر نظرة صحيحة الى الاشياء المادية . فنحن نحيا فى عالم ملىء بالأمور المادية ، وهكذا عاش الرب يسوع عندما كان بالجسد .

اشتغل يسوع بالنجارة ، كان يختار انواع الخشب الصالحة للمحاريث والانيار — كان يأكل من الخبز ويشكر الله قبل الأكل . كان يعتنى بصحته وبملابسه . عندما كان يتعب كان يجلس ليستريح ، وعندما كان يعطش كان يرتوى من المياه الموجودة فى النبع او العين .

كان ينظر بشفقة الى الناس المرضى والمتألمين ، ويتحنن عليهم وهو يرى اجسادهم تتألم ، وكان يريد ان يشبع كل جائع — واخيرا علق جسده على صليب من الخشب ، وسمرت يداه بمسامير مثل تلك التى كان يستخدمها هو فى النجارة .. وطعن بحربة من الحديد ، وامسكت ايدى رفقة بجسده الطاهر ولفته فى قماش من الكتان ووضعته فى القبر .. وعندما قام المسيح جلس واكل مع تلاميذه من الخبز والسمك .. وكان قد سبق وعلم تلاميذه ان يذكروا موته بالتناول من خبز وكاس ..

كل هذه الأشياء من خشب وحديد وطعام وماء وكتان .. استخدمها الله الذى صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا ..

فهل بعد هذا ننكر أهمية الأشياء المادية فى حياتنا الانسانية .

لقــد خلق الله الشمس والقمر والنجوم والأرض والبحــر والســمك والحيوانات والنباتات ، ونظر الله الى ما خلقه فاذا هو حسن ..

فالأشياء المادية هى خليقة الله الصالحة ، « لأن كل خليقة الله جيــدة ولا يرفض شىء اذا اخذ مع الشكر » . (١ تى ٤ : ٤)

والكتاب يدعونا على لسان بولس لجميع المؤمنين . « فأطلب اليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله » .

(رومية ١٢ : ١) ـ وكذلك قال « انكم لستم لأنفسكم لانكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » . (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠)

اذا فواجب المسيحى ان يقـدم أعضاء جسمه كآلات بر فى يد الله فى طريق طاعته ولتحقيق قصده ولمجده . « ولا تقدموا أعضائكم الات اثم للخطية بل قدموا ذواتكم كأحياء من الأموات وأعضائكم الات بر لله (رومية ٦ : ١٣) » .

وهذا يتم فى الحيـاة العادية التى يحياها الانسـان ، حسب عمله ووظيفته .

ـ الفلاح عن طريق العناية بالحقول التى أؤتمن عليها .

ـ المدرس عن طريق الأمانة فى تحمل مسئولية تعليم تلاميذه .

ـ المهندس عن طريق استخدام مواهبه بأمانة وجدية فى خدمة المصلحة التى يعمل فيها .

ـ ربة البيت عن طريق الأمانة فى القيـام بمسئولياتها المنزلية ورعاية الاولاد وتدبير المنزل .

ـ الطالب عن طريق الحرص على تنمية مداركه واستغلال وقته ليتعلم ويتدرب بحسب مواهبه .

ـ الشاب العادى العناية بجسده ونفسه وروحه .. الخ .

وفى كل هذه الأعمـال ينبغى مراعاة روح الشـكر والابتهاج والأمانة والصلاة والاعتماد على الله .

ان ما يجعل بيت الانسان ذا قيمة ليس هو قوة بنيانه بالحجارة والاعمدة وزخرفة حوائطه ، ولكن القيمة الحقيقية هى فى الشركة السعيدة والمحبة والعبادة .. ولكن الاعمدة والسقف والجدران والحجارة تساعد على الشركة والمحبة والعبادة ..

انه من مشيئة الله أن يكون للحجـارة والخشب والأشـجار والذهب والفضة وغير ذلك من الماديات خدمة شريفة ومغزى روحى فى حياتنا ..

صحيح انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، لكنه يحتاج الى الخـبز لذلك يصلى « خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » .

مفاهيم غير صـــحيحة :

١ ــ بعض الناس يقولون انه **لا يليق أن نتكلم عن المال فى الكنيسة ،** انهم يفضلون أن يصغوا الى المواضيع « الروحية » مثل الخلاص والمحبة والسماء واليقين والرجاء الخ ــ فاذا سمع أحدهم حديثا عن المال مثلا يقول « هربت من التجارة ومن المشكلات المالية فى العمل والبيت ، لا تعبد لله فى الكنيسة ، فاذا بى أسمع أيضا حديثا عن المال » !! .

من يقول هذا ليس عنده فكرة صحيحة عن الكتاب المقدس ــ ان نسبة كبيرة جدا جدا من أقوال المسيح وتعاليمه كانت متصلة بالامور المادية ، وكيفة تتصرف فيها ــ مثل الوزنات ــ تاجر اللآلىء ــ الدرهم المفقود ــ وكيل الظلم ــ الزارع ــ الغنى الغبى ــ الغنى ولعازر ــ الوكيل الأمين ــ العذارى الحديث عن الصدقة الخ .

ان الثروة صالحة وهامة ومتى استخدمت بروح الصلاة للخدمة حسب ارادة الله تعتبر منذورة لله . والكتاب لا يدين المال ولا يقول ان المال أصل لكل الشرور بل ان « **محبة المال** » أصل لكل الشرور (١ تى ٦ : ١٠) .

٢ ــ مفهوم آخر غير صحيح وهو .

ان كثرة الاموال والمقتنيات هى طريق السعادة .

ــ تدافع الناس نحو المكسب والاقتناء .

ــ المرتبات والعلاوات .

ــ الطعام والشراب .

يتمسكون بالمال والمقتنيات لأنهم يظنون أنها طريق السعادة .

« من يحب الفضة لا يشبع من الفضة ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل » . (جامعة ٥ : ١٠)

المسيح لاحظ ذلك على الناس .

متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله قدم لهم مثل الغنى الغبى . (لوقا ١٢ : ١٣ ــ ٢١)

الناس تتصور خطأ ان المـــال طريق السعادة لأنهم لا يملكونه — لكن متى ملكوه لا يجدون فيه السعادة . امثلة كثيرة .

الحصول على السعادة لا يتم ألا باتباع المسيح الذى يعطى الحيـــاة افضل — لا يكون بالمطامح الشخصية بل بعمل مشيئة الله .

٣ — مفهوم ثالث غير صحيح .

التمتع بالمقتنيات أمر دائم :

هل دامت ممتلكات الغنى الغبى ؟ وهل دام هو لها ؟

قصة امراة صرفت حياتها فى جمع التحف — لمـــا مرضت أخذت تتأمل فى التحف ، وتدعو وتطلب منها الشـــفاء فلم تشف ، ابتدأت تكسر التحف والأوانى .

« لا تتعب لكى تصير غنيا . كف عن فطنتك .

هل تطير عينيك نحوه وليس هو . لأنه انما يصنع لنفسه أجنحة . كالنسر يطير نحو السماء » . (أمثال ٢٣ : ٤ — ٥)

٤ — مفهوم خاطىء آخر .

أن الانسان يستطيع أن يتصرف بأمواله كيفما يشاء :

لقد درسنا أن ما نملكه هو من الله ، لذلك فنحن وما نملك يجب أن نكون مكرسين لله .

عندما قدم العبرانيون تقدماتهم السخية لأجل بنـــاء الهيكل صلى داود صلاة عظيمة قال فيها : « ولكن من أنا ومن هو شعبى حتى نستطيع أن ننتدب هكذا . لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك » . (١ أخبار ٢٩ : ١٤) .

والعبرانيون لم يكونوا قد تمتعوا بأمجاد الخلاص مثلنا ..

اننا ملك للرب لأنه هو صنعنا .

وما نحصل عليه مؤقتا فنحن وكلاء عليه وهو المالك الحقيقى . ويجب أن نمجده بما لنا .

قال الله للشعب المتجبر الذى لم يكن سعيـدا أن يقبل أمر خالقه من جهة استخدام ما كانوا مؤتمنين عليه .

« هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مردده ؟ » (اش ١٠ : ١٥)

اننا فى نهاية الحياة لابد أن نتقدم حسابا عما فعلناه .

فان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكة وحينئذ يجـــازى كل واحد حسب عمله .

مثل الوزنات (مت ١٦ : ٢٧ ، ٢٥ : ١٩ — ٢١) .

كل واحد سيسمع القول « اعط حساب وكالتك » . (لوقا ١٦ : ٢)

أضرار الثروة عند بعض الناس :

١ — تجعل البعض **متكبرين** .

فى مثل الزارع قال المسـيح ان الذى زرع بين الشـوك هم الذين يسمعون الكلمة وهموم هذا العالم **وغرور الغنى** وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر (مر ٤ : ١٩) .

الانسان كمخلوق ضعيف مديون لله كان يجب أن يشكر ، لكنه عندما يأخذ الغرور يتكبر « احترز من أن تنسى الرب الهك ولا تحفظ وصـــاياه وأحكامه وفرائضه التى أنا أوصيك بهـا اليوم . لئلا اذا أكلت وشـبعت وبنيت بيوتا جديدة وسـكنت وكثرت بقرك وغنمـك وكثرت لك الفضـة والذهب ، وكثر كل مالك يرتفع قلبك وتنسى الرب الهك الـذى أخرجك من أرض مصر (تث ٨ : ١١ — ١٤) .

٢ — الثروة **قد تزيد بعض الناس طمعا :**

تجميع الثروة لا يشبع النفس بل يزيدها طمعا . الطمع نار مشتعلة وتكديس الثروة انما هو تغذية للنار لتزيد اشتعالا .

قيل عن الطمع أنه عبادة أوثان (كولوسى ٣ : ٥) .

عخان الذى اشتهى الذهب والفضة والرداء ورجم بسببها يش ٦ : ١٩ ، ٧ : ١ ، ٢٠ — ٢٦ .

٣ ــ الغنى يستعبد الكثيرين :

لا يقدر احد ان يخدم سيدين . .

٤ ــ الثروة تبعدنا عن طلب ما هو افضـل :

الابن الضال وبعده عن شركة أبيه .

الغنى الذى لم يرد ان يوزع امواله للفقراء . ومضى حزينا .

٥ ــ الرغبـة فى الاحتفاظ بالثروة يجعلهـا بلا فائدة ، لأن فائدة الثروة هى فى استخدامها .

استخدام المـادة لغـايات روحية :

١ ــ الأشياء المادية قد تساعد على تمجيد الله .

مثل اعطـاء بيت الله مظهره اللائق ــ وضع العبرانيون فى خيمـة الاجتماع ستائر ملونة ومواد ثمينة ، وعند الانتهاء من صفها « ملأ بهـاء الرب المسكن » (خروج ٤٠ : ٣٤) .

كل شىء خلق لأجـل الله وكل شىء له (كولوسى ١ : ١٦) فلا ينبغى أن نخطىء كما فعـل الذين اخذوا يؤنبون المرأة لأجـل كسرها قارورة الطيب الثمين ، ومدحها المسـيح .

الله يطلب ان نكرمه من اموالنـــا « أكــرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك » (أمثال ٣ : ٩) .

٢ ــ الله يستخدم الأمور المـادية ليمتحن استحقاقنا .

« الأمين فى القليل أمين ايضا فى الكثير والظالم فى القليل ظالم أيضـــا فى الكثير » (لوقا ١٦ : ١٠ ، ١١) .

٣ ــ الثروة المـادية يمكن أن تستخدم لتساعدنا على تقديم نفوســـنا لله . الشخص الذى لا يقدم بسخاء من ماله كأنه يرفض أن يقدم نفسه لله .

عندما نصلى « لتكن مشيئتك كما فى السـماء كذلك على الأرض » يجب ان نعمل لتكون الأرض فعلا مكانا لتحقيق مشيئة الله فى خير النفوس وسـعادة الناس .

٤ ــ الثروة المـادية يستخدمها الله ليستبقينا قريبين منه (مت ٦ : ٢١) (حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضا) .

رابعا : فيم نحن وكلاء :

لقد استودعنا الله وزنات متعددة ، فان لم نكن أمناء باستخدام كل الامكانيات التى جعلنا الله وكلاء عليها ، فلن تكون لنا بركة فى شخصياتنا وحياتنا ، وهذا يوسع نظرتنا الى الوكالة المسيحية ، فيجعلها تتعدى المال والمقتنيات المادية ، وتشمل عدة أمور أخرى .

فمن عطايا الخليقة التى أعطاها لنا الله اجسادنا ، وهى موضوع اهتمام الله ، فهى هيكل للروح القدس ويجب ان نمجد الله فيها وبها (مت ١٠ : ٣٠ ؛ ١ كو ٦ : ١٩ ، يع ٢ : ١٦) .

كذلك الوقت ، وأوقاتنا كلها فى يد الله (مز ٣١ : ١٥) ومن واجب المسيحى أن يحسن التصرف فى وقته ويوزعه توزيعا صحيحا ملائما ، بين العباده ، والعمل ، والراحة ، والعناية بشئون الأسرة .

كذلك فان عطايا الله لم تقتصر على عطايا الخليقة بل أعطانا الله عطايا الفداء العجيب ، والانجيل هو قمة العطايا التى اعطاها الله لنا ، وقد اعلن بولس الرسول ابتهاجه بهذه العطية بقوله : « شكرا لله على عطيته التى لا يعبر عنها (٢ كو ٩ : ١٥) ولعل مثل الوزنات الوارد فى (متى ٢٥) لا يشير الى المواهب المادية فحسب ، بل بالأكثر الى عطايا النعمة ومواهب الفداء .

ان هناك خطرا كبيرا فى أن نعتبر الانجيل « راس مال » ميتا وندفنه ولا نستخدمه ، بل يجب ان نستخدمه .

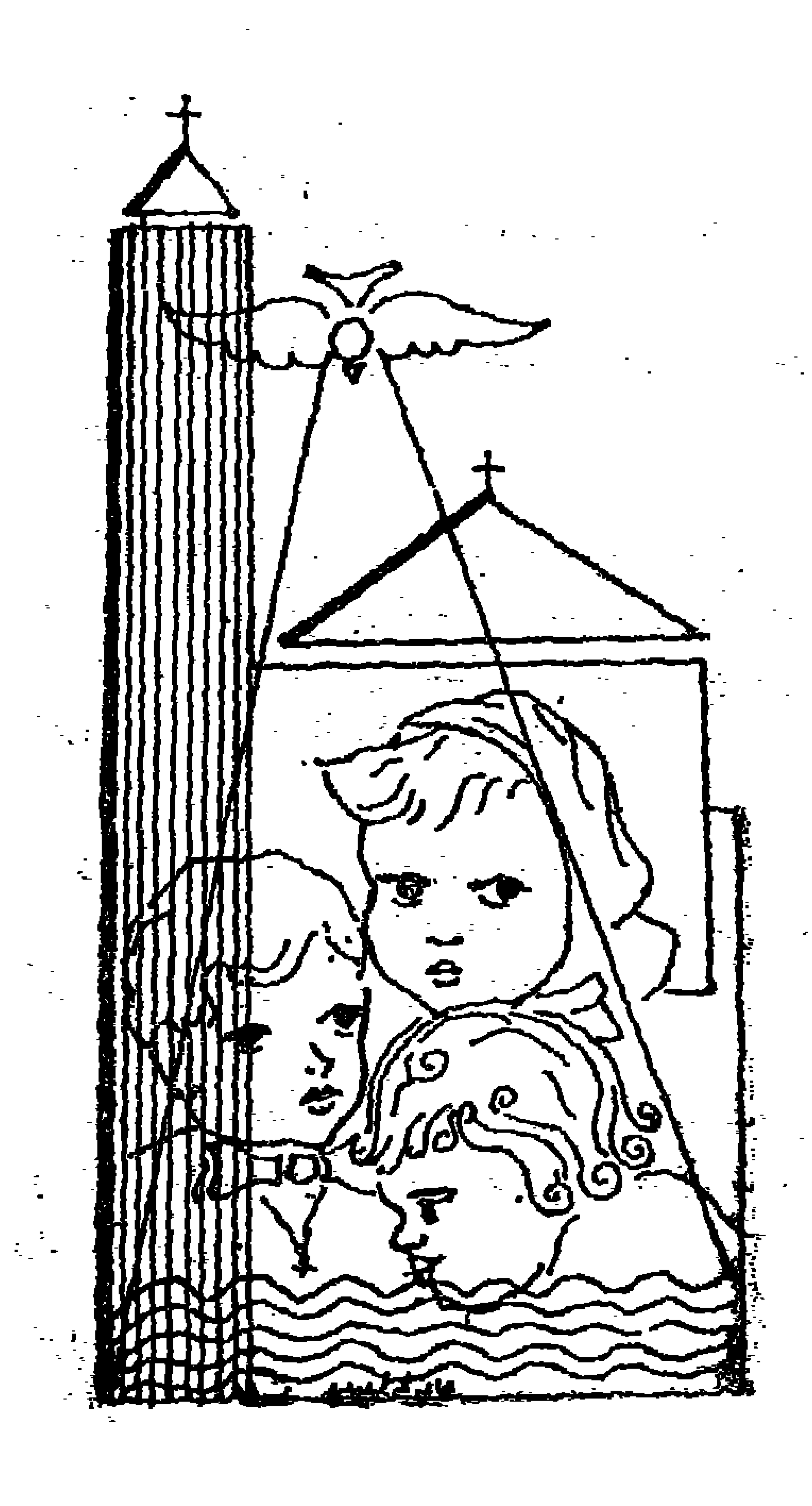
وفى الأصحاح الثانى عشر من رسالة رومية نجد جوانب متعددة لمبادىء الوكالة المسيحية فى مواهب النعمة ، ونرى المجالات الرائعة للوكالة المسيحية فى الجسد والروح والنبوة والخدمة والتعليم والوعظ والعطاء والتدبير والرحمة والمشاركة الوجدانية والضيافة والتسامح وغيرها ... وكلما استثمرنا هذه المواهب زادت فينا لأن « كل من له يعطى فيزداد ، ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه » (متى ٢٥ : ٢٩) .

ان الله يعطى جماعة المؤمنين عطايا النعمة ليساعدهم فى وكالة الانجيل ، وعندما يبدأ المؤمنون فى ممارسة هذه الوكالة بأمانة ، سينعكس هذا على حياة الجماعة وعلى حياة المجتمع الذى يعيشون فيه وتظهر أعظم موهبة وهى المحبة (١ كو ١٣) وهنا نكتشف أن الأعظم هو الذى ينال هذه الموهبة ويعبر عنها بخدمة الآخرين (لوقا ٢٢ : ٢٦) .



٢١

المعمودية



المعمودية والعشاء الربانى هما الفريضتان اللتان وضعهما السيد المسيح واوصى تلاميذه بممارستهما . فقد قال لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح والقدس » (متى ٢٨:١٩). وهو بذلك يطلب من تلاميذه أن يقوموا باجراء هذه الفريضة على الدوام .

وقد تنوعت الآراء بشأن اهمية العماد ، وحقيقة المعمودية وكيفيتها ، وفاعليتها ، ونحن هنا نقدم ما نفهمه من تعاليم الكتاب المقدس عن المعمودية.

ولعل السؤال الأول والأهم ، هو عن حقيقة هذه المعمودية ، فان الجواب عليه يحدد لنا الاتجاه فى باقى الأسئلة .

وتعريف المعمودية أنها فريضة وضعها السيد المسيح ، يجرى فيها الغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس ، علامة وختما لتطعيمنا فى المسيح ، ونوالنا فوائد عهد النعمة ، ومعاهدتنا على أن نكون للرب .

فالمعمودية المسيحية تختلف عن معمودية اليهود ، ومعمودية يوحنا المعمدان .

كان لليهود عدة شرائع للاغتسال قبل اداء الفرائض الدينية ، وقد ظهرت هذه الشرائع بوضوح فى شريعة اللاويين (خر ١٩ : ١٠ ، لاويين ١٥ ، ١٧ ، ٢٢) ، لكن هذه لم تكن تعتبر معمودية . كان اليهود يعمدون الدخلاء عند قبولهم الديانة اليهودية .

وجاء يوحنا المعمدان يكرز قائلا : « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » وكان يعمد الناس عندما يقبلون اليه معترفين بخطاياهم على أساس رجاء مجيء المسيح المخلص .

أما المعمودية المسيحية فهى فريضة وضعها السيد المسيح علامة خارجية لبركة داخلية ، هى كون الانسان ضمن أولاد الله ، وتحت تأثير عمل الروح القدس .

وهى بذلك تختلف عن معمودية يوحنا المعمدان ، لانها تشير لا الى مجرد غفران الخطايا والتوبه ، بل الى الايمان بالمسيح المخلص . والدليل على ذلك ان أبولس الاسكندرى عندما عمد اهل افسس بمعموديه يوحنا ، اتى بولس وعمدهم باسم الرب يسوع ، قائلا . « ان يوحنا عمد بمعمودية التوبه قائلا للشعب ان يؤمنوا بالذى يأتى بعده اى بالمسيح يسوع . فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع » (اع ١٩ : ٣ — ٥) .

والمعمودية اشارة فحسب ، بمعنى أنها لا تتضمن النعمة التى تدل عليها ، ولكنها تشير اليها . فالمعمودية لا تجدد الانسان ، ولكنها تشير الى عمل الروح القدس فحسب .

— ١ —

المعمودية والميلاد الثانى

يعتقد البعض أن الميلاد الثانى مرتبط بالمعمودية ونتيجة لها ، وانه بدون المعمودية لا يمكن ان يتجدد احد ، لكن الكتاب يوضح لنا ان المعمودية اشارة فقط الى عمل الروح كما كان الختان علامة ظاهرية تميز الشعب اليهودى فى القديم . ولنا على ذلك أدلة كثيرة :

١ — ان التجديد من عمل الروح القدس فى الداخل ، يأتى بالايمان الخلاصى ، بعمل الروح الذى هو كالريح تهب حيث تشاء (يو ٣) ، ولايتوقف ذلك على فريضة معينة يقوم بها انسان أيا كان . وما المعمودية الا أشارة وعلامة على التجديد . ففى حالة الكبار الذين لم يولدوا من عائلات مسيحيه، عندما يؤمن الواحد منهم بالمسيح ، وتظهر ثمار ايمانه ، يتعمد بعد أن يتجدد كعلامة لهذا التجديد ، فهو يأتى بعد التجديد . قال بطرس لجمهور الشعب فى يوم الخمسين « توبوا وليعتمد كل واحد منكم ». (أع ٢ : ٣٨) . وقال فيلبس للوزير الحبشى الذى أراد أن يعتمد : « ان كنت تؤمن من كل قلبك يجوز » (أع ١٠ : ٤٧) ، وعندما آمن كرنيليوس وأهل بيته بالمسيح وقبلوا الروح القدس ، اندهش الحاضرون من المؤمنين لأن موهبة الروح القدس انسكبت على الأمم أيضا ، فقال بطرس : « اترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لايعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا» (أع ١٠ : ٤٧). وفى كل هذه الأدلة ما يوضح أن المعمودية ليست متضمنة لبركة الميلاد الثانى، وهى كالختان بالنسبة لليهود ، مجرد علامة خارجية ، وقد قال بولس :

« لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) .

٢ — ان الكتاب يبين لنا أن الايمان وحده هو الذى يخلص ، وعدم الايمان هو الذى يهلك « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص » (أع ١٦ : ٣١) . وفى مرقس ١٦ : ١٦ قال المسيح : « من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن » . ولم يقل من لم يؤمن ولم يعتمد .

وقد تأيد هذا عمليا فى العهد الجديد ، فاللص التائب على الصليب ، نال الخلاص رغم انه لم يعتمد . وسيمون الساحر مع أنه اعتمد ، لكنه أظهر ما يدل انه لم يكن مؤمنا حقيقيا .

٣ — ان المعمودية هى عبارة عن اغتسال ، ويمكننا أن نرى أن الماء ليس له شأن روحى فى موضوع الاغتسال ، وانما هو اشارة الى كلمة الله وعمل الروح القدس .

قال اليشع لنعمان السريانى : « اذهب واغتسل سبع مرات فى الأردن فيرجع لحمك اليك وتطهر » (٢ مل ٥ : ١٠) .

وقال يسوع للأعمى : « اذهب اغتسل فى بركة سلوام » (يو ٩ : ٧) .

وقال حنانيا لشاول الطرسوسى الذى هو بولس : « قم واعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) .

وهنا نرى الماء فى الأردن ، والماء فى بركة سلوام ، والماء فى المعمودية . فما علاقة الماء بالنتائج التى حدثت ؟

هل الماء هو الذى طهر البرص الذى هو اشارة الى الخطية الأصلية ؟ هل الماء هو الذى أعاد البصر الى الأعمى ؟ هل الماء فى المعمودية هو الذى غسل خطايا بولس ؟ ... كلا فليس السر فى الماء فى حد ذاته ، فلو كان ماء بركة سلوام يعيد البصر ، لذهب اليه كل العميان ولو كان الماء فى نهر الأردن يطهر البرص لذهب اليه كثيرون ممن كانوا مصابين بهذا المرض فى أيام نعمان السريانى .

اذا ما السر ؟ السر كان فى الطاعة والايمان . فبركة سلوام لم يكن

فيها خاصية تفتيح عيون العميان ، كذلك مياه المعمودية ليس فيها أى سر بالمرة ، بل هى اشارة ظاهرية لما يحدث بفعل الروح القدس فى حالة الايمان .
فقد يتعمد الانسان بالماء ولا يتعمد بالروح ، كسيمون الساحر ، وقد يتعمد الانسان بالروح القدس قبل أن يتعمد بالماء ، مثل كرنيليوس . وقد يتعمد الانسان بالروح القدس من بطن أمه كيوحنا المعمدان ، لأن الريح تهب حيث تشاء .

٤ — أما قول المسيح لنيقوديموس : « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥). الذى يعتمد عليه أصحاب عقيدة التجديد العادى فلا يشير الماء هنا الى المعمودية ، بل يشار به الى التطهير ، الذى كان يشير اليه بالماء فى تعليم اليهود الذين منهم نيقوديموس ، وقد يكون اشارة الى كلمة الله التى تجرى أنهار ماء حية مطهرة للمؤمن ، كقول الرسول عن تطهير المسيح للكنيسة بغسل الماء بالكلمة (أف ٥ : ٢٦) . كذلك قول الرسول بولس : « خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) . فالاشارة هنا الى الميلاد الثانى بعمل الروح القدس فى التجديد ، فى مقارنته بالغسل الخارجى أى المعمودية . وقد توضح ذلك فى رسالة بطرس الأولى اذ يقول عن المعمودية ومغزاها : « لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢١) .

— ٢ —

معمودية الأطفال

يسأل البعض لماذا تعمد الكنيسة الاطفال ، بينما كان الكبار يعتمدون فى مستهل تاريخ المسيحية ؟ . والواقع أن العهد الجديد يذكر لنا أسماء من تعمدوا وهم كبار ، لأن المعمودية هى علامة الدخول الظاهرى الى دائرة الكنيسة المسيحية ، وقد كانت المسيحية فى جيلها الأول ، يعتنقها الناس ويتركون دياناتهم الأولى كاليهودية والوثنية ، لذلك كانوا يتعمدون بعد ايمانهم وهذا ما تفعله الكنيسة الى الآن مع الذين يدخلون المسيحية من أديان أخرى.
لكن هناك اشارات فى العهد الجديد يفهم منها أن الأسرة كلها كانت تتعمد ، ومن المحتمل وجود أطفال فيها . فقد اعتمدت ليديا هى وأهل بيتها (أع ١٦ : ١٥) . واعتمد سجان فيلبى هو والذين له أجمعون (أع ١٦ : ٣٣) ، وقال بولس انه عمد بيت استفانوس (١ كو ١ : ١٦) .

والواقع اننا وقد فهمنا معنى المعمودية ، انها علامة ظاهرة لبركة داخلية ، وما دام موعد الروح القدس هو للمؤمنين ولأولادهم حسب قول بطرس في عظة يوم الخمسين (أع ٢ : ٣٩) ، لذلك فان معمودية الأطفال على ايمان والديهم جائزة بل ومستحبة ، لان يسوع أحب الأطفال وقال : « دعوا الأولاد يأتون الى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : ١٤) . فما دام لهم هذا الملكوت فمن الطبيعى جدا أن تعمدهم الكنيسة .

كما نذكر أن فرائض العهد الجديد ، حلت محل فرائض العهد القديم . فالمعمودية حلت محل الختان ، والعشاء الربانى حل محل الفصح . وقد قال الرسول موضحا ذلك : « وبه أيضا ختنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح ، مدفونين معه فى المعموديه التى فيها أقمتم أيضا معه بايمان عمل الله الذى أقامه من الأموات » (كو ٢ : ١١ ، ١٢) ، فالختان كان باب الدخول الى كنيسة العهد القديم ، والمعمودية هى باب الدخول الى دائرة كنيسة العهد الجديد ، وكل من الختان والمعمودية رمز للتطهير ، لذلك نرى المعمودية الخارجية بالماء يقابلها ختان الجسد الظاهرى ، والمعمودية بالروح يقابلها ختان القلب بالروح . وفى هذا يقول بولس : « لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانا ، بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى ، وختان القلب بالروح (تطهير القلب بالروح) لا بالكتاب » (رو ٢ : ٢٨ ، ٢٩) .

وقد كانت هذه الشريعة تطبق على الأطفال عند اليهود ، وعلى نفس القياس تعمد الكنيسة الأطفال .

— ٣ —

كيفيـة العماد

مادامت المعمودية علامة ظاهرية فحسب ، كما أوضحنا ، لذلك فان كيفية المعمودية ليست بذات أهمية جوهرية .

ويعتقد البعض أن الكنيسة المسيحية الأولى كانت تعمد الناس بالتغطيس ، وهذا جائز جدا ، جريا على النظام الذى كان يوحنا المعمدان يعمد به فى نهر الأردن ، ولكن هناك حالات كثيرة ، يظهر منها استحالة

العماد بالتغطيس ، مثل عماد بيت سجان فيلبى ، وعماد الثلاثة الآلاف الذين آمنوا يوم الخمسين .

وحتى فى الكنائس التقليدية القديمة كان يجوز العماد بالسكب او الرش فى حالات المرض .

واللفظ اليونانى الأصلى لكلمة « معمودية » لا يفيد التغطيس ولكنه يفيد الاغتسال ، وهو نفس اللفظ المترجم « يغسل » فى مرقس ٧ : ٤ « غسل كؤوس وأباريق » وفى لوقا ١١ : ٣٨ « لم يغتسل أولا قبل الغداء » ، وهذا لا يشير الى التغطيس بل الى مجرد رش ماء بكيفية طقسية .

أما قول الرسول : « مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضا معه » (كو ٢ : ١٢) ، وقوله فى رومية ٦ : ٤ « فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة » فلو نظرنا الى الظرف الذى قيلت فيه هاتان الآيتان لفهمنا التفسير الصحيح . فالرسول يتكلم عن شركة المؤمن مع المسيح فى موته ، فلكى يجعل هذه الشركة تامة قال « فدفنا معه » والدفن لا يقصد به هنا اختفاء الجسد فى الأرض ، بل يقصد به كمال الموت .

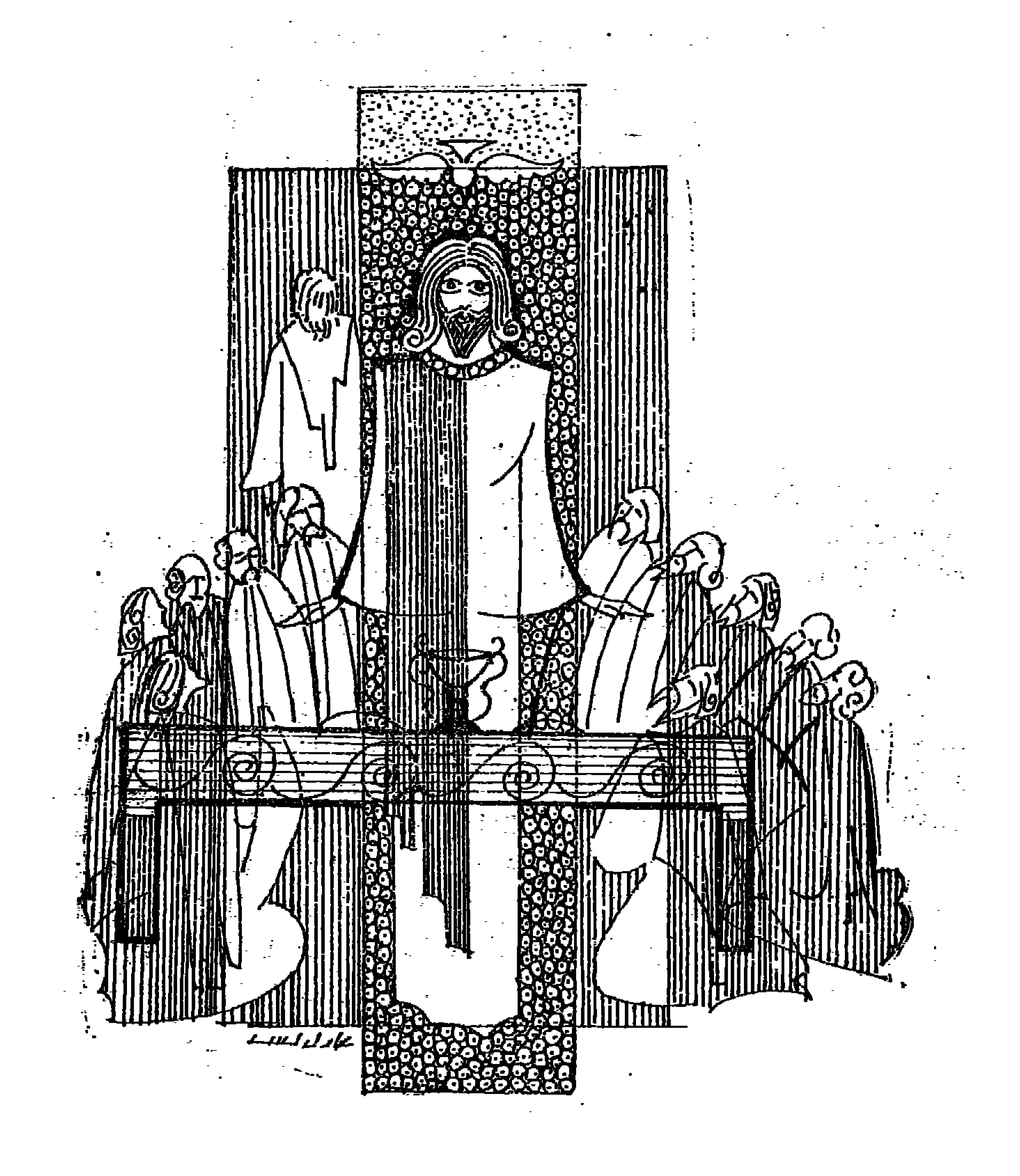
وفى المعمودية ، وهى فريضة رمزية فحسب ، يعتبر سكب الماء على رأس المعتمد بمثابة تغطية الجسد كله بالماء ، لأن العبرة بالفكرة الروحية ، لأن المعمودية كما وصفها بطرس الرسول « لا ازالة وسخ الجسد ، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢١) .

ان أجمل ما فى المعمودية ، اشارتها الرائعة الى عمل روح الله الذى يطهر المؤمنين ويغسل خطاياهم ، الى تطعيم المتعمد فى المسيح ، والى دخول الأطفال والكبار ضمن دائرة الكنيسة المسيحية .

والمعمودية فرصة لتعهد الوالدين أن يربوا أولادهم فى تأديب الرب وانذاره وتكريسهم للمسيح ، لتنتقل معرفة الرب من جيل الى جيل ، ويكون بنونا كالغروس النامية فى بيت الرب ، وبناتنا كأعمدة الزوايا منحوتات حسب بناء هيكل .

٢٢

العشاء الربانى



العشاء الربانى فريضة رسمها السيد المسيح فى الليلة التى اسلم فيها ، بينما كان يأكل الفصح مع تلاميذه ، اذ أخذ خبزا وشكر وكسر وأعطى تلاميذه قائلا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ... وأخذ الكأس وبه الخمر وقال هذه الكاس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم . وقد أمر السيد أن تمارس هذه الفريضة عندما قال : « اصنعوا هذا لذكرى » (لو ٢٢ : ١٩) .

فما هى هذه الفريضة ، وما مدلولها ، وعناصرها ، وأهميتها فى حياة المؤمنين والكنيسة ؟

اننا لا نستطيع أن نفهم هذه الفريضة فهما صحيحا الا اذا درسناها فى ضوء الظروف التى أجراها فيها السيد المسيح . فقد كان فى ذلك الوقت يأكل الفصح مع تلاميذه ، واذ ذاك وضع لهم فريضة العهد الجديد ، لتحل محل الفصح اليهودى وتحمل المعانى البعيدة التى كان يشير اليها الفصح .

— ١ —

الفريضة والفصح

عندما ندرس تاريخ الشعب العبرانى فى أرض مصر أيام موسى ، نرى كيف ان الله اظهر بضربات كثيرة رغبته ان يطلق فرعون هذا الشعب من ارض العبودية ، ولكن قلب فرعون كان قد تقسى ، فلم يستجب لهذه الرغبة الالهية التى اعلنها الله على فم موسى ، لذلك رتب الله الضربة الأخيرة التى على اثرها اطلق فرعون الشعب ، وهى موت الابكار .

ولكى يكون لهذا العمل اثر خالد فى نفوس الشعب ، رتب الله فريضة الفصح لتكون عيدا قوميا ودينيا للشعب ، فقد أمر كل أسرة أن تذبح حملا صحيحا ابن سنة فى المساء ، ويأخذون من دم الذبيحة ليجعلوا علامة على باب كل بيت من بيوتهم ، على القائمتين والعتبة العليا . اما لحم الذبيحة فيأكلونه مشويا مع فطير اى خبز غير مختمر ، وذلك اشارة الى سرعة الخروج ، لذلك كانت الفريضة تقضى أن يأكلوا الفصح وهم بملابس الخروج والارتحال ، أحقاؤهم مشدودة ، واحذيتهم فى ارجلهم ، وعصيهم فى ايديهم . (خروج ١٢ : ١ — ١٤) .

وقد وعد الله انه عندما يطوف الملاك المهلك ليقتل كل بكر فى الارض ، انه يعبر عن البيوت التى على ابوابها الدم ، فلا يهلك ابكارها ، اذ قال : « ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى انتم فيها . فأرى الدم واعبر عنكم » (خر ١٢ : ١٣) . ومن هذه الكلمة « عبور » وهى « فصح » بالعبرية جاء الاسم عيد الفصح اى عيد العبور .

وفى عيد الفصح اشارة رمزية الى الخلاص بالمسيح وبصليبه ، فنحن نعلم ان البركات الجسدية فى العهـد القديم ، تقابلها البركات الروحية فى العهد الجديد ، وأن كل اعياد ومواسم العهد القديمة كانت تشير الى حقائق روحية فى العهد الجديد ، ففى خلاص الشعب اليهودى من ارض العبودية الجسدية ، اشارة الى خلاص شعب الله من عبودية الخطية ، وفى خروف الفصح المذبوح ، اشارة الى يسوع المسيح الذى هو « حمل الله الـذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) . وقد ذكر ذلك الرسول بولس بالوحى بالقول : « لأن فصحنا ايضا المسيح قد ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧) .

ومن الجائز أن العلامة التى وضعها اليهود بالدم على الأبواب كانت علامة الصليب ، فان هذه هى اسـهل كيفية لوضـع علامات بالدم على الجدران والأبواب .

وهكذا وضع السيد المسـيح هذه الفريضـة لتكون بديلة لفريضـة الفصح ، وكما كان الفصح تذكاراً لنجاة الشعب اليهودى من العبـودية ، هكذا تكون فريضة العشاء الربانى خدمة تذكارية لصليب المسيح ، وسفك دمه ، وكسر جسده على الصليب لأجلنا ، لينقـذنا من العبودية ، ويقودنا بنعمته الى أرض الموعد ، وهى كنعان السماوية ، فننال نصيبا مع القديسين ، ونشترك فى خدمة ابن داود الجالس على عرشه الأبدى فى السماء .

— ٢ —

هدف فريضة العشـاء الربانى

وعندما نتساءل عن هذا الهدف ، وفى ضوء تعليم الكتاب المقـدس ، نرى هذه الأهداف :

١ — تذكار لموت المسيح لأجلنا

فالمؤمن وهو يتقدم الى مائدة العشـاء الربانى يذكر موت المسيح ،

وانفصال جسده عن دمه ، لأن الجسد لا ينفصل عن الدم الا عند الموت ، ولذلك قدم المسيح الخبز وحده ، ثم الكأس وحدها ، اشارة الى موته ، وتذكار موت المسيح تذكار لعملية الفداء الذى تم ، اذ مات الرب يسوع عن خطايا البشر . وكما كان الفصح تذكارا للفداء من العبودية ، صار العشاء الربانى تذكارا للفداء من الخطية .

٢ ــ اعتراف بالايمان بالمسيح المصلوب

فكل من يتقدمون الى المائدة الربانية ، يعترفون باشتراكهم فى هذه الفريضة انهم يؤمنون بالمسيح المصلوب لأجلهم ، وباتكالهم على نعمته وكفارة الصليب فى ستر خطاياهم ، ويقرون بقبولهم الرب يسوع ملكا وفاديا وبأنهم تلاميذ له ، مكرسين حياتهم له . ولذلك كان من واجب كل مسيحى أن يتقدم الى هذه المائدة ، ليكون اعترافه بالمسيح كاملا .

٣ ــ نمو المؤمنين فى النعمة وبنيانهم فى الايمان .

فلا شك أن المؤمن عندما يتقدم الى المائدة المباركة يتذكر موت المسيح، فيندم على خطاياه ؛ وتتحرك عواطفه ، وتتجدد فيه المحبة للمسيح ، ويتذكر واجباته المتنوعة لله والكنيسة ، وهكذا تنمو فيه مختلف الفضائل المسيحية . والمسيح اذ يحضر روحيا فى هذه الفريضة ، يبارك المؤمن ويقويه أمام تجارب الحياة ، وهكذا ينمو المؤمن فى النعمة والايمان ، لذلك تعتبر هذه الفريضة من بين وسائط النعمة التى يستخدمها الرب لخير المؤمنين الروحى .

٤ ــ تأكيد وحدة المؤمنين واتحادهم بالمسيح .

فعند المائدة يجلس الجميع رغم اختلاف أعمارهم وثقافتهم ومراكزهم، وجميع المؤمنين أمام الرب سواء ، اخوة ، متحدين مع المسيح بالاشتراك فى الخبز الواحد والكأس الواحدة ؛ ايمانهم واحد ، ورجاؤهم واحد ، مهما اختلفت اجناسم وبيئاتهم .

فالمؤمنون يتحدون معا تحت رأس واحد هو المسيح ، فيصيرون جسدا روحيا واحدا ، ذلك لأن الروح القدس يحل فى كل واحد منهم ويجعلهم

واحدا ، مترابطين حتى اذا تألم عضو واحد اشتركت معه بقية الأعضاء في الألم ، واذ أكرم عضو واحد فرح بقية الأعضاء لاكرامه .

٥ — الشهادة للمسيح :

فالمؤمنون يجلسون على المائدة ثم يخبرون بموت الرب الى ان يجيء . ومع أن الشهادة واجبة على الدوام ، الا أن الفريضة تجدد في المؤمن الاحساس بمسئوليته ، ليشارك الآخرين في بركات الله الروحية التي ينالها عن طريق الفريضة ، ويدعو الناس للايمان بالمسيح الذى مات ودفن وقام ، والذى سيجيء في المستقبل ليمجد ابناءه .

٦ — الاشارة الى مستقبل الكنيسة

فان اجتماع المؤمنين معا حول المائدة ، يشير الى اجتماعهم في السماء عند عرش الحمل السماوى ، حيث الوليمة العظيمة للمفديين يوم المسيح . وهكذا تربط الفريضة بين ماضي الكنيسة وحاضرها ومستقبلها . فهي تذكرنا بما حدث في أورشليم عندما أجرى يسوع هذه الفريضة لأول مرة ، وتجمعنا في الحاضر أمام المائدة ، وترفع أشواقنا الى السماء حيث المسيح جالس .

وفي كل هذه الأهداف نرى حقيقتين :

(أ) ان أهداف الفريضة روحية وليست جسدية . فان كثيرين يتقدمون الى الفريضة لينالوا أهدافا جسدية مثل النجاح في الامتحان أو الشفاء من مرض أو التقدم في مشروع معين .

ان الفريضة روحية وليست جسدية ، ولا ينبغي أن ننزل بالفريضة الى مستوى الجسديات مهما كانت أهميتها لنا .

(ب) ان الفريضة تحق للمؤمن بالمسيح بعد ايمانه ، ولكن غير المؤمنين بالمسيح لا ينبغي أن يتقدموا اليها ، لأنهم يأكلون ويشربون دينونة لأنفسهم لانهم غير مميزين جسد الرب .

فالفريضة لا تعطى الانسان الخلاص ، انما الخلاص بالايمان بالرب يسوع ، كما سبق وذكرنا مرات ، والكتاب المقدس يوضح لنا أن هناك من نالوا الخلاص دون أن يشتركوا في المائدة الربانية مثل اللص التائب على الصليب ، وكثيرين من الأطفال الذين ماتوا في طفولتهم .

ولو كان الخلاص يأتي نتيجة للاشتراك في هذه الفريضة ، لكان الخلاص بالأعمال والطقوس والفرائض ، لا بالايمان كما أوضحنا مرارا كثيرة .

أما استناد البعض على قول المسيح : « ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٢٣) ، فان هذه الآية ، كما يظهر من الظروف التى قيلت فيها لا تشير الى العشاء الربانى لكنها تشير إلى الايمان بالمسيح وقبوله روحيا . لأن المسيح فى هذا الوقت كان يتكلم عن نفسه باعتباره الخبز النازل من السماء الواهب حياة أبدية ، وفى نفس الأصحاح من انجيل يوحنا قال : « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية . انا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت » (يو ٦ : ٤٧ — ٥٠) .

وعندما تعثر التلاميذ عندما ظنوه يتكلم ماديا لا روحيا قال لهم يسوع الروح هو الذى يحيى . أما الجسد فلا يفيد شيئا . الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة (يو ٦ : ٦٣) .

وهذا يؤكد أن المقصود هو قبول المسيح روحيا بالايمان .

— ٣ —

عناصر الفريضة

تتكون فريضة العشاء الربانى من عنصرين هما الخبز والخمر ، وهما اشارة الى جسد المسيح ودمه . والمؤمن اذ يتناول من هذين العنصرين ، يذكر موت المسيح ، والمسيح يرافق العشاء الربانى بعمل الروح القدس ، ويوصل فائدته الى قلب المؤمن . فالمسيح يكون حاضرا روحيا عندما نمارس الفريضة بالايمان والشكر والتواضع ، وفى حضور المسيح هذه البركة التى تجعل المؤمن يتحد مع المسيح روحيا بالايمان .

فليست الفريضة مجرد علامة وتذكار فقط كما يقول البعض ، وليست هى حضور المسيح جسديا ليصاحب الخبز والخمر كما يقول البعض الآخر ، وليست هى تحول الخبز والخمر الى جسد حقيقى ودم حقيقى للمسيح ، كما تقول الكنائس التقليدية ، بل هى حضور المسيح روحيا ليصاحب اجراء الفريضة ، فالروح القدس يوثق روابط الاتحاد بين المؤمنين والمسيح .

وحيث أن عددا كبيرا من الناس فى بلادنا يعتقد بتحول الخبز والخمر الى جسد ودم حقيقيين ، لذلك رأينا أن نوضح الرأى الانجيلى المعارض لهذا الرأى ، بالأدلة الكتابية والتاريخية ، مع تقديرنا لجميع من يخالفوننا فى الرأى، وصلاتنا أن يرشدهم الله بالروح القدس .

ونجمل الرأى فى النقاط التالية :

(١) عندما أجرى السيد المسيح هذه الفريضة لأول مرة ، كان جسده سليما صحيحا أمام التلاميذ ، اذ لم يكن قد صلب بعد ، فكيف يمسك بجسده جسده ليقول لهم هذا هو جسدى ؟ ... ولا شك أن التلاميذ والرسل الاطهار فهموا أن كلامه هذا اشارة رمزية الى جسده ، بدليل أن بولس الرسول قال بالوحى فيما بعد : « كلما أكلتم هذا الخبز ،وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يجىء » (١ كو ١١) .

(٢) أخذ المسيحيون الأولون والآباء بهذا الرأى ، ومنهم من تعتز بهم الكنائس التقليدية ، فقد قال اثناسيوس الرسولى (٣٧٠م) فى شرحه للأصحاح السادس من انجيل يوحنا :

« ان مناولة جسد المسيح ودمه حقيقة أمر لا يقبل ، ولكن معنى المسيح فى هذه الآيات لا يفهم الا روحيا » .

وقال يوحنا فم الذهب (٤٠٠م) : « ان الخبز المقدس يستحق أن يسمى جسد الرب مع أن الخبز لم يزل على حقيقته » .

وقال أوغسطينوس (٤٢٠م) : « ان قول المسيح انه يعطينا جسده لنأكل لا يجوز فهمه جسديا لأن نعمته لا تقبل بالاسنان » . وهكذا كثيرون من أباء الكنيسة رفضوا فكرة الاستحالة رفضا باتا .

والواقع أن عقيدة الاستحالة لم تدخل الى الكنيسة المسيحية الا فى عصور متأخرة ، فقد أقر مجمع القسطنطينية سنة ٧٥٤م بأن العناصر فى فريضة العشاء الربانى هى مجرد رموز ، ولم تظهر فكرة الاستحالة الا فى المجمع النيقوى الثانى سنة ٧٨٧ م . أما فى الكنيسة الكاثوليكية فابتدأ التفكير فى عقيدة الاستحالة فى السنودس الرومانى سنة ١٠٧٩م ، وأصبح عقيدة رسمية بعد المجمع اللاترانى الرابع سنة ١٢١٥ م .

وهكذا يظهر لنا ان الكنيسة فى عصورها الأولى القريبة من عصر المسيح وتلاميذه كانت تؤمن بالمبدأ الانجيلى ، وليس المبدأ الانجيلى بدعة جديدة ، لكنه عودة الى الحق الكتابى .

(٣) ان عقيدة الاستحالة تخالف شهادة الحواس ، فالخبز لا يزال خبزا بشهادة البصر والذوق والشم واللمس ، واذا ترك ذلك الخبز فسد كالخبز العادى ، وكذلك الخمر ، لذلك صرحت الكنائس التقليدية أن الاستحالة تحدث فى جوهر الخبز والخمر لا فى أعراضهما ، لكن لا يمكن ان نسلم غفلا بأن تغيير الجوهر لايحدث تغييرا فى الأعراض . فالله الذى يقدر على كل شىء كان يستطيع أن يغير الأعراض كما غير الجوهر .

(٤) ان قول المسيح : « هذا هو جسدى » يشبه قوله : « أنتم ملح الأرض » « أنتم نور العالم » « أنا هو الباب » « انا الكرمة وأنتم الأغصان » « الصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠ : ٤) وكلها تشبيهات لتسهيل الفهم والادراك .

(٥) ان الاعتقاد بالاستحالة يقتضى اعتقادات أخرى معارضة لتعليم الكتاب المقدس ، مثل تكرار ذبيحة المسيح كل أسبوع يقدمها الكاهن لأجل رفع خطايا الأحياء والأموات . وهذا التعليم ينافى تعليم الكتاب المقدس لأسباب كثيرة :

فليس فى العهد الجديد كهنة اذ أن يسوع هو الكاهن الوحيد للمؤمنين، وله كهنوت لا يزول ، كما أوضحنا فى دراستنا لكهنوت المسيح .

ولا يجوز تقديم أية صلوات أو عبادات لطلب غفران خطايا الأموات ، لأن فرصة رحمتهم وتوبتهم كانت فى الحياة على الأرض .

ولا توجد سوى ذبيحة واحدة للتكفير عن الخطية ، وهذه الذبيحة قدمت مرة واحدة على الصليب لأجل جميع الخطايا الماضية والمستقبلة . وقد ورد فى الرسالة الى العبرانيين ست مرات أن ذبيحة المسيح قدمت « مرة واحدة » (عب ٧ : ٢٧ ، ٩ : ١٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ١٠ : ١٠ ، ١٤).

وقد قيل ان المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضا (رو ٦ : ٩). فاذا كان المسيح لا يموت ثانية ، فكيف تكون ذبيحة القداس ذبيحة ؟ واذا كانت ذبيحة القداس على حد قول من يعتقدون بها ليست دموية ، فكيف

تحدث بها مغفرة والكتاب صريح « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » ؟ (عب ٩ : ٢٢) .

ان المسيح على الصليب قال : « قد أكمل » (يو ١٩ : ٣٠) وبذلك لا يمكن تكرار تقديم ذبيحة عن الخطية ، ولا حاجة لمثل هذه الذبيحة على الاطلاق .

* * *

ان جسد المسيح ودمه لا يكونان حاضرين جسديا ولا جسميا فى الخبز والكأس ، ولكن المسيح يحضر روحيا لايمان المتناول ، وحضوره حق مثل حضور العناصر الخارجية للحواس الظاهرة ، والمتناول يتناول جسد المسيح ودمه روحيا ، وبالايمان يقبل المسيح مصلوبا مع جميع البركات الناتجة عن موته .

— ٤ —

كيف نتقدم الى الفريضة

فى الوقت الذى لا نسمح فيه لغير المؤمنين بالمسيح ان يتقدموا الى العشاء الربانى ، نشجع كل مؤمن بالمسيح أن يتقدم الى هذه الفريضة ، لينال البركات الروحية المرتبطة بها .

وقد أساء بعض الناس تفسير بعض ما قاله بولس الرسول بشأن هذه الفريضة ، فامتنعوا عنها ، لذلك نرجو أن نوضح هذه الأقوال .

تحدث بولس الرسول عن من يكون « غير مميز جسد الرب » فيأكل ويشرب لنفسه دينونة . فقد كان المؤمنون فى الكنيسة المسيحية الأولى يكسرون خبز الفريضة بعد وليمة المحبة التى كانوا يأكلون فيها معا طعامهم العادى ، وأراد الرسول أن يحذر غير المؤمنين بالمسيح ايمانا صحيحا ، والذين كانوا يحضرون هذه الولائم من أن يأكلوا من خبز الفريضة دفعا للجوع كأى طعام عادى ، أو أن يشربوا من كأس الرب رغبة فى الشرب ؛ غير مميزين الفريضة وهدفها الروحى ، واعلان ايمانهم بصليب المسيح .

ولعل هؤلاء أيضا هم الذين قال عنهم بولس فى نفس النص : « أى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد

الرب ودمه » . وقد ظن بعض الناس أن كلمة « بدون استحقاق » تشير الى وجود نقص او خطية ما فى حياة الانسان . لكن هذا ليس التفسير الصحيح، فلو كنا ننتظر من الذين يتقدمون الى الفريضة ان يكونوا فى حالة من «الكمال الادبى » لما وجدنا انسانا يستحق ابدا ، فالجميع زاغوا وفسدوا ... لكن كلمه « استحقاق » هنا تشير الى الاستحقاق فى دم المسيح ... والذى يتقدم الى المائده بدون استحقاق هو الذى ينكر صليب المسيح ، ولا يقبل عمله الكفارى لأجله ، ويظن انه قادر ان يخلص نفسه باعماله وصلواته وتقواه .. هذا هو غير المستحق ...

ان الشعور بالخطية والنقص شعور طيب ، ولكنه ينبغى ألا يعطلنا عن التقدم الى المائده ، بل يجب أن ينبهنا الى ضرورة التوبة واليقظة واستخدام وسائط النعمة للانتصار على الخطية .

وبعض النـــاس يمتنعون عن الفريضــــة لأنهم فى خصـــام مع بعض الناس ، والحقيقـــة ان عدم التقدم الى المائـــدة لن يخفف من مســـئولية الانسان الذى لم يسع فى ايجـــاد السلام ، وأن فرصة المائدة فرصة مناسبة لكى يصفح ويتصافح مع مخاصميه ، وهكذا يمتحن الانسان نفسه ، وهكذا يتقدم الى المائدة .

وقد يخشى البعض السقوط فى الخطية بعـــد التناول فتكون دينونتهم أعظم ، لكن الامتناع عن الاشتراك ليس علاجا للتجـــارب ، بل بالعكس ، فان الفريضه قـــد تكون وسيلة يســـتخدمها الروح القدس لتقويته ليـــكون أكثر قـــوة أمام التجارب . ونحن عندما نتقدم الى المائدة ، نعترف بعجزنا عن الوقوف على أقدامنا ،ونقر بحاجتنا الدائمة الى نعمة الله التى تسندنا وتقوينا وروحه الساكن فينا ليرشدنا ويعلمنا .

ليس هناك سبب يمنع الانسان عن التقدم الى المائدة ، مادام قد سبق فآمن بالمسيح وسلم حياته له ، وعزم على أن يسلك فى طريق طاعته .

« فتعالوا لأن كل شيء قد أعد »



حالة النفس بعد الموت



هناك ثلاثة أنواع من الموت يحدثنا عنها الكتاب المقدس :

١ ـ الموت الروحى ، وهو انفصال النفس عن الله . كقول الرسول بولس : « واذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا » . وهذه حالة كل انسان بعد سقوط آدم ، اذ يصبح ميتا روحيا الى أن ينال الخلاص ، فيقوم مع المسيح .

٢ ـ الموت الجسدى ، وهو انفصال النفس عن الجسد ، وعودة الجسد الى التراب متحللا الى عناصره البسيطة ، ويعبر عن هذا الموت الجسدى بالنسبة للانسان أنه :

الانضمام الى قومه	تث ٣٢ : ٥٠
الذهاب فى طريق الأرض كلها	يش ٢٣ : ١٤
الانضمام الى آبائه	قض ٢ : ١٠
رجوع التراب الى الأرض	جا ١٢ : ٧
النوم	يو ١١ : ١١
الموت	أع ٥ : ٥
نقض الخيمة الأرضية	٢ كو ٥ : ١
الانحلال	٢ تى ٤ : ٦
النزول الى القبر	أى ٧ : ٩

٣ ـ الموت الثانى وهو نفى النفس الأبدى من حضرة الله وشقاء الانسان فى جهنم .

النفس بعد الموت الجسدى :

ان أنفس الابرار تكمل فى الطهارة بعد الموت ، وتدخل السماء حيث تنتظر فداء أجسادها الكامل عند مجىء المسيح ثانية ، أما نفس

الأشرار فتطرح فى جهنم ، حيث تبقى فى القصــاص والظلام ، محفوظة الى حكم اليوم العظيم .

١ ــ فالكتاب يعلمنا أن نفوس الأبرار تذهب حالا الى حضرة المسيح ،

قال يسوع للص التائب : « اليوم تكون معى فى الفردوس » .

وقال بولس « لى اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ، ذاك أفضل جدا » (فى ١ : ٢٢ ، ٢٣) . أنظر أيضا ٢ كو ٥ : ١ ــ ٨ ، لو ٢٣ : ٤٣ ، يو ١٤ : ٣ ، مت ٢٢ : ٢٣ لو ١٦ : ٢٢ ، يو ١١ : ٢٦ ، ١ تس ٥ : ١٠ ، مت ١٧ : ٣ .

٢ ــ كذلك يعلمنا الكتاب أن الأشرار فى العقاب الى يوم الدينونة ، كما يتضح ذلك من قصة الغنى ولعــازر (لو ١٦) ، كذلك يقول بطــرس الرسول : « يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة الى يوم الدين معاقبين » (٢ بط ٢ : ٩) .

فكأنما ينال كل انسان نصيبه الأبدى عند الموت ، الا أن هذا النصيب يكون غير كامل فى بعض الوجوه الى وقت القيــامة العامة والدينونة ، أو بالحرى استعلان دينونة الله العادلة .

فالابرار يتوقون نوال أجسادهم عند القيامة ودخولهم بالنفس والجسد الروحانى معــا الى السعادة السماوية ، والأشرار أيضا أجسادهم والذهاب بنفوسهم وأجسادهم الروحانيــة الى الشــقاء الأبدى . ففى (رو ٨ : ٢٣) يقــول الرسول : « نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفســنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا » . اقــرأ أيضــا ٢ بط ٢ : ٩ ، رؤ ٦ : ١١ .

مبــادىء خاطئة ومناقشتها

الرأى الأول : مبدأ الفناء

وبعض أصحابه وهم الماديون يقولون أن نهاية الحيــاة تكون بموت الجسد ، وأنه بعد الموت فناء لا بقاء . ومن أصحاب هذا الرأى الصدوقيون ، والأبيقوريون ، والرواقيون ، والماديون .

كما أن السبتيين المجيئيين يؤمنون بأن الحياة الابدية مكافأة من اللـــه للأبرار ، ولـــكن نفوس الأشرار تفنى ، ويشــــاركهم فى هذا الرأى جماعة شهود يهوه .

وهذا المبدأ ينافى استدلالات العقل ، كما أنه لايتفق اطلاقا مع شهادة الكتاب المقدس ، وهو القانون الوحيد المعصوم للايمان والاعمال . وسنقسم الرد على هذا الراى الى قسمين : الادلة العقلية ، والادلة الكتابيه .

١ ـــ الأدلة العقلية على خلود النفس

(ا) ان النفس بسيطة وليست مركبة ، والموت هو تحليل المادة الى عناصرها الأولية ، وحيث أن النفس عنصر بسيط لايمكن ان يتحلل ، لذلك فهى خالدة .

(ب) ان الانسان كائن عقلى أدبى دينى ، لايمـــكنه أن يصل الى كمال وغاية وجوده هنا على الارض ، والحكمة الالهيـــة لا يمكن أن تبـــقى عملها ناقصا ، لذلك يجب ان تكون هناك حياة اخرى خالده تـــكمل فيها النفس وتؤدى غايتها .

(حـ) اننا نعيش فى عالم أخلاقى محكوم بمبدأ الثواب والعقاب ، وحيث أن الانســان لا يلاقى كمال ثوابه أو عقابه فى هذه الحياة ، فلابد أن تكون هناك حياة أخرى فيها يكمل الثواب والعقاب .

(د) ان وجود هـــذا المبدأ فى جميع أديان البشر وفى أفضـــل المذاهب الفلسفية ، يعتبر شــهادة وجـــدان الانسان نفسه بوجود نفسه وبسلطانها على الجسد .

٢ ـــ الأدلة الكتابية على خلود النفس

(أ) قصة خلق الانسان تدل على أن الله خلق الانســان ترابا من الأرض ولكنه نفخ فى أنفه نسمة حياة فصار نفسا حية ، وبذلك يكون خلقـــه على صورته كشبهه وبالتالى خالدا عديم الفساد .

(ب) حديث الكتاب المقـــدس أن الروح تذهب الى اللـــه بعد الموت (جا ١٢ : ٧) .

(ج) كلام السيد المسيح نفسه عن الحياة الأبدية والعقاب الأبدى لا يكون له معنى الا اذا كانت فى هذه الحياة الأبدية والعذاب الأبدى نفوس أبدية خالدة . « اذهبوا عنى يا ملاعين الى النار الأبدية » (مت ٢٥ : ٤١) « فيمضى هؤلاء الى حياة أبدية وهو الى عذاب أبدى » انظر يو ٥ : ٢٤ ، ٦ : ٤٧ ، ٥٣ .

وقد رد يسوع المسيح بنفسه على جماعة الصدوقيين الذين ينكرون القيامة ، ووصفهم بأنهم يضلون اذ لا يعرفون الكتب ولا قوة الله . ثم ذكر لهم من أسفار موسى الخمسة ، التى كانوا يؤمنون بها وحدها ، دليلا على القيامة بقوله : « وأما من جهة قيامة الأموات افما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل . انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب . ليس الله اله أموات بل اله أحياء » (متى ٢٢ : ٢٣ ــ ٣٢) .

(د) حديث الكتاب المقدس الصريح عن العذاب الأبدى ينفى نفيا باتا أقوال الذين ينادون بفناء الأشرار . فالكتاب المقدس يتحدث عن الموت الثانى الذى هو عقاب الأشرار الأبدى (رؤ ٢ : ١١) « من يغلب فلا يؤذيه الموت الثانى » . وفى سفر الأعمال القول انه ستكون قيامة الأبرار والأشرار (أع ٢٤ : ١٥) انظر رؤ ٢٠ : ١٤ ، ١٥ ، رؤ ٢١ : ٨ .

(هـ) ان قيامة السيد المسيح وحدها اكبر دليل على أن الموت ليس فناء ، وعلى مثاله سنقوم نحن أيضا (٢ تى ١ : ١٠) .

الرأى الثانى : مبدأ نوم النفس الى يوم القيامة

وأصحاب هذا الرأى يعتقدون أن نفس الانسان تنام بلا شعور بعد الموت الى يوم القيامة وبعدها تقوم للدينونة ، ثم تذهب بعد ذلك الى مصيرها ويستدلون على ذلك بأن الكتاب كثيرا ما يسمى الموت رقادا (١ تس ٤ : ١٤) ، كذلك يقولون انه لو كانت النفس تذهب مباشرة الى مصيرها بعد الموت ، لما كانت هناك حاجة الى يوم الدينونة ، والرد على هذا الرأى يتلخص فيما يلى :

(١) ان تشبيه الموت بالرقاد يرجع الى أن الجسد الميت والجسد النائم متشابهان ، كذلك الايمان بأن الموت تعقبه حياة جعل المؤمنين يسمون الموت رقادا تعقبه يقظة الأبدية .

(ب) انه وان كانت النفس تنال نصيبها من حياة أو عقاب بعد المــوت مباشرة ، الا ان الله فى يوم الدينونة يعلن امام الملائكة وكل البشر عدله ، لذلك سمى ذلك اليوم يوم استعلان دينونة الله .

(حـ) ان كلام الــكتاب المقدس صريح أن النفس لا تنام بل تظل شاعرة بحالتها ، الى ان تاخذ الجسد الروحانى عند القيامة . فقد ظهر موسى وايليا يتكلمان مع المسيح على جبل التجلى بعد موتهما بزمان طويل (لو ٩ : ٣٠ ، ٣١) . ومن مثل الغنى ولعازر نفهم انهما كانا يشعران بحياتهما بعد الموت (لو ١٦) ، واللص التائب وعد أن يكون مع المسيح فى الفردوس فى نفس اليوم (لو ٢٣ : ٢٤) ، وقد ذكر الرسول ان التغــرب عن الجســد هو الاستيطان عند الرب (٢ كو ٥ : ٨) ، وذكر أيضا انه عندما ينطلق يكون مع المسيح (فى ١ : ٢١) ، وفى (رؤيا يوحنا ٦ : ٩ — ١١) راى يوحنا انفس الشهداء تحت المذبح ذوى وجدان واشواق حية .

الراى الثالث : عقيدة المطهر

وان كان قصدنا فى هذا الكتاب هو شرح العقيدة التى نؤمن بها دون التعرض لعقائد الكنائس الاخرى ، التى نكن لها كل تقدير واحترام ، لكننا نناقش فكرة المطهر موضوعيا .

يقسم بعض اللاهوتيين التقليديين الاماكن التى تذهب اليها النفوس بعد الموت الى خمسة اماكن :

١ — **لمبوس الآباء** : وفى اعتقادهم هو المكان الذى نزلت اليه نفوس الآباء قبل مجىء المسيح بالجسد ، وانتظرت مجيئه . ولما أتى يسوع واكمل عمل الفداء بموته على الصليب ، نزل الى حيث كانت تلك النفــوس مسجونة وخلصها واخذها الى السماء .

٢ — **لمبوس الأطفال** : وهو مكان تذهب اليه نفوس الأطفال الذين لم يعمدوا — حسب اعتقادهم — وتبقى فيه الى الأبد . والسبب فى هـــذا الاعتقاد هو اعتقادهم بأن الوســيلة الوحيدة لتطهــير النفس من الخطية الاصلية هى المعمودية على يد الكهنة ، ولذلك فان الأطفال غير المعمدين لن يذهبوا الى السماء .

٣ — **المطهر** : وهو مكان يدخل اليــه جميــع المؤمنين الــذين آمنوا

بالمسيح ، ولكنهم لم يوفوا عن قصاص خطاياهم الزمنى ، بالوسائل المبينة فى قانون سر التوبة حسب اعتقاد هؤلاء اللاهوتيين ، وهم يعتقدون ان هذا المكان يطهر الخطية ويكفر عنها بعذاب نار مادية ، ومدة هذا العذاب غير معينة ، ولكن يمكن تقصيرها وتخفيف العذاب — حسب اعتقادهم — بصلوات القديسين وذبيحة القداس . ويعتقد اصحاب هذا الراى ان رؤساء الكنيسة لهم القدرة والسلطة على رفع العذاب عن النفوس فى المطهر .

وقد بنى هذا الاعتقاد على أساس عقيدة اخرى ، وهى ان المسيح ينقذ المؤمن من الخطية الاصلية فقط بواسطة المعمودية ، اما الخطايا المعينة بعد المعمودية فلا خلاص منها الا بحل الكاهن عند الاعتراف ، وبوفاء مطاليب قانون سر التوبة .

ويعتقد أصحاب هذا الرأى أن بعض القديسين ادوا فى حياتهم صلوات وأعمال صالحة اكثر من المطلوب منهم لدخول السماء ، لذلك فبعد ان دخلوا الى السماء اكتنز الله لهم هذه الصلوات والصالحات ، وجعلها تحت سلطان رؤساء الدين ياخذون منها ويعطون للاخرين لتخفيف عذاب المطهر عنهم . وهذا هو اساس الاعتماد على بركات القديسين وصلواتهم .

٤ — **جهنم** : وهى مكان العذاب الأبدى للملائكة الساقطين ، وللذين يسقطون فى خطية مميتة ويموتون قبل نوال الغفران عنها .

٥ — **السماء** : وهى مكان الملائكة الأطهار ، والابرار المكملين اى القديسين ، وكذلك الذين ينالون التطهير فى المطهر بعد الموت .

مناقشة هذه العقيدة

١ — هذه عقيدة مستحدثة ، ولم تعرف قانونيا الا فى بداية القرن السابع الميلادى . ويعتقد البعض أن لها جذورا فى بعض الديانات القديمة ، وتظهر بعض الأفكار المماثلة لها فى شعر « فرجيل » وفى محاورة افلاطون « فيدون » .

٢ — لا نجد فى الكتاب المقدس ما يؤيد هذه العقيدة وأصحاب هذه العقيدة انفسهم يعترفون ان اساسها يعتمد على قرارات المجامع الكنسية التى لها فى اعتقادهم سلطان مثل سلطان الكتاب المقدس . وقد صرح

بهذه العقيدة رسميا فى مجمع فلورانس سنة ١٤٣٩ ، والمجمع التريدنتينى سنة ١٥٤٥ .

٣ — ان التلميحات التى يعتمدون عليها من الكتاب المقدس ، مفسرة بواسطتهم تفسيرا خاطئا مثل :

(ا) قول المسيح : « ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى » (مت ١٢ : ٣٢) .

فهم يفسرون العالم الآتى بأنه المطهر . ولكن التفسير الصحيح هو أن اليهود كانوا يقسمون الزمن الى قسمين : الدهر الحاضر وهو العالم الشرير قبل المسيا ، والدهر الآتى وهو العالم بعد مجىء المسيا أو العالم الذى يملك عليه الله . ويقصد المسيح أن من يجدف على الروح القدس أى يرفض نداء الروح وعمله فى قلبه ، لا يمكن ان يتوب ، وبالتالى لا ينال غفرانا أبدا . كما أنه لم يرد فى الانجيل أن هناك غفران بعد الموت بفرض اشارة عبارة الدهر الآتى الى ما بعد الموت .

(ب) قول المسيح : « كن مراضيا لخصمك سريعا مادمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم الى القاضى ويسلمك القاضى الى الشرطى فتلقى فى السجن الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير » (مت ٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

فهم يفسرون السجن بأنه المطهر ، ولكن الحقيقة أن المسيح هنا يشير الى القصاص الشرعى فى الحياة على الأرض ، وليس هناك ما يدعو أن نحمل كلام السيد المسيح فوق ما يحتمل .

(ح) قول بطرس الرسول : « فان المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار لأجل الاثمة لكى يقربنا الى الله مماتا فى الجسد ولكن محيى فى الروح . الذى فيه أيضا ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن ، اذ عصت قديما حين كانت أناة الله تنتظر مرة فى أيام نوح » (١ بط ٣ : ١٨ — ٢٠) .

فهم يقولون ان السجن هنا يشير الى المطهر ، وان المسيح ذهب فكرز للأرواح التى فى المطهر ، وهذا التفسير باطل ، فحتى لو كانت عقيدة المطهر

حقيقية (افتراضا) فانه لا يكون للهالكين الذين يرفضون الكرازة كاولئك الذين أهلكهم الطوفان .

٤ — ان عقيدة المطهر تخالف تعليم الكتاب المقدس . فعندما مات لعازر حملته الملائكة الى حضن ابراهيم (لو ١٦ : ٢٢) ، والغنى ذهب الى جهنم أو الهاوية ، وبين المكانين هوة عظيمة قد اثبتت . وحتى لو اعترضوا بأن قصة الغنى ولعازر هى مثل من أمثال المسيح ، فانها تعبر عن حقائق ثابتة ، ما كان المسيح يستخدمها لو لم تكن مطابقة للواقع .

ولو كانت عقيدة المطهر صحيحة لما قال المسيح للص التائب : « اليوم تكون معى فى الفردوس » ، بل كان الأمر يحتاج الى بعض الوقت ليتطهر هذا اللص الذى لم يعمل صلاحا فى حياته .

وحين استشهد اسطفانوس قال : « أيها الرب يسوع اقبل روحى » (أ ع ٧ : ٥٩) .

والكتاب يتحدث صريحا ان دم يسوع المسيح هو الذى يطهر من كل خطية .

٥ — هذا التعليم يفترض عدم كفاية المسيح للخلاص الكامل ، وأن الخلاص يمكن نواله بالأعمال والصلوات بينما يعلمنا الكتاب أن الخلاص بالنعمة كما سبق أن أوضحنا فى الفصول السابقة .

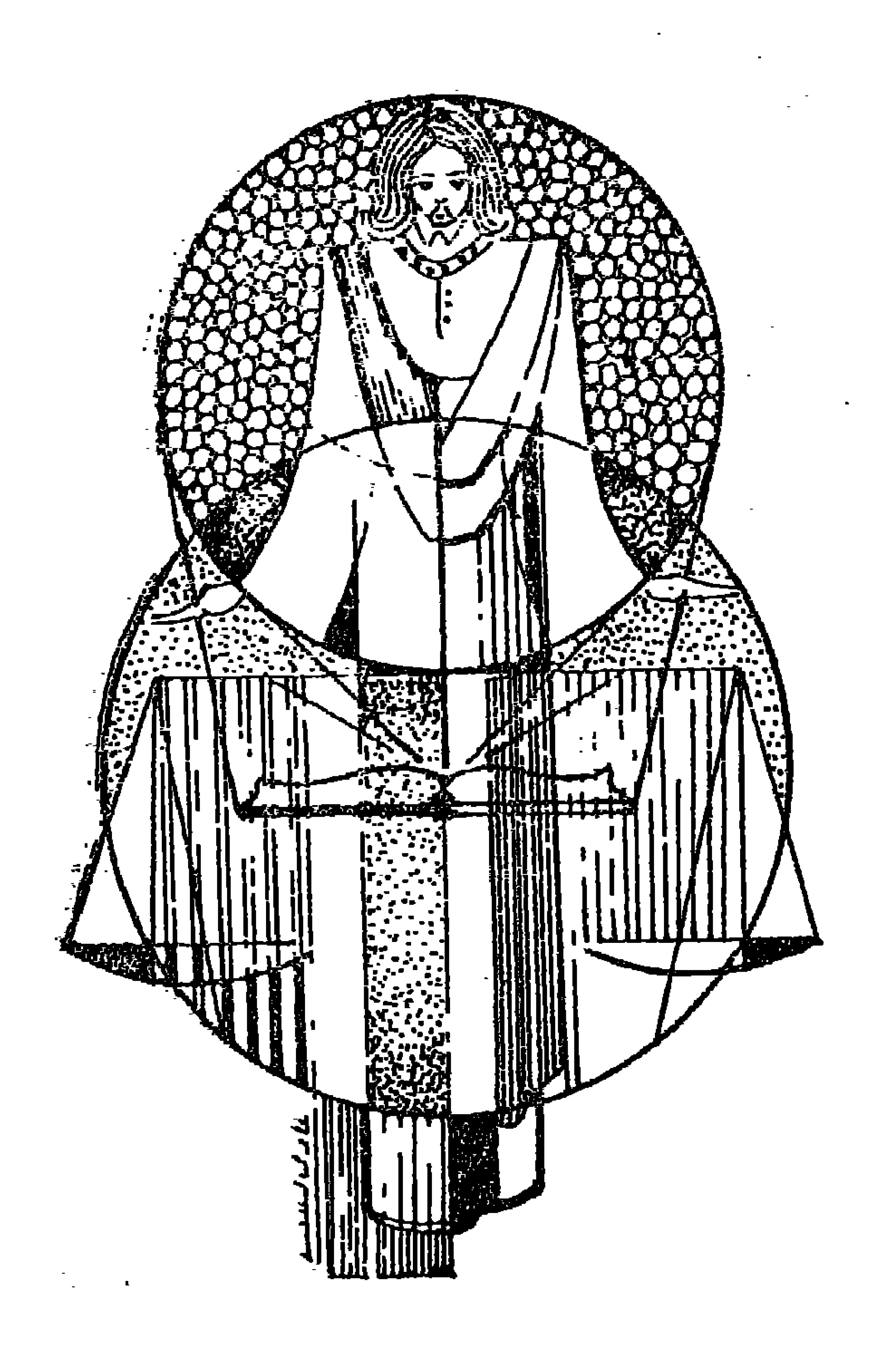
كما أن هذا التعليم يفترض ان القديس يمكنه أن يكتنز لنفسه كمية من الاستحقاق أكثر مما تقتضى مغفرة خطاياه ، ومن هذا الاستحقاق تأخذ الكنيسة ما تشاء لاعانة النفوس فى المطهر ، فى الوقت الذى يعلمنا الكتاب المقدس اننا بأعمالنا لا نتبرر أبدا ، وجميع الناس أخطأوا واعوزهم مجد الله .

* * *

ان التعليم الكتابى الصحيح هو أن نفوس الابرار تكمل فى الطهارة بعد الموت مباشرة وتدخل السماء منتظرة فداء الأجساد عند مجيء المسيح ثانية ، وان نفوس الأشرار تطرح فى جهنم حيث تبقى فى القصاص الى يوم الدينونة الرهيب ، حيث استعلان عدل الله .

(٢٤)

مجئ المسيح ثانية



ويشمل الأبحاث التالية

١ ــ مقدمة

٢ ــ أقوال المسيح عن مجيئه

٣ ــ انتشار الانجيل فى كل العالم

٤ ــ المعنى الصحيح لملك المسيح

٥ ــ علاقة المجىء الثانى بمستقبل الأمة اليهودية

٦ ــ الالف سنة والقيامة الأولى

٧ ــ الارتداد واعداء الكنيسة

مقدمة عن المجىء الثانى

ان مجىء المسيح ثانية هو امل الكنيسة ورجاؤها وانتظارها ، وهذا الأمل مصدر تعزية للمؤمنين وللكنيسة فى جهادها على هذه الأرض .

قال يعقوب الرسول : « فتأنوا أيها الأخوة الى مجىء الرب ، هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنيا عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر . فتأنوا انتم وثبتوا قلوبكم . لأن مجىء الرب قد اقترب » (يع ٥ : ٧ ، ٨) .

وقال كاتب الترنيمة عن الكنيسة فى انتظارها :

فى تعب والم	فى نصب وفى سقام
تنتظر اليوم الذى	فيه ترى نور السلام
وسوف تحظى بالذى	ترجو بأن تنظره
وتبصر الملك الذى	تشتاق أن تبصره

وعندما صعد السيد المسيح الى السماء ، وارتفع وتلاميذه ينظرون ، وأخذته سحابة عن أعينهم ، ظل التلاميذ يشخصون الى السماء وهو منطلق « واذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا : أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء . ان يسوع هذا ارتفع عنكم الى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء » (أع ١ : ١٠ ، ١١) .

الا أن كثيرا من الناس فسروا النبوات المتصلة بمجىء المسيح ثانية بما يختلف عن روح الكتاب ، ومعانيه الروحية الخالدة ، وهكذا اختلف الناس فى هذا الموضوع أكثر مما اختلفوا فى أى موضوع آخر ، ذلك أن بعضهم وضع علامات محددة لمجىء المسيح ثانية ، وفسروا النبوات تفسيرا حرفيا ، ثم أخذوا يفسرون الأحداث التاريخية فى ضوء ما وضعوه من علامات ، وكان ذلك سببا فى وقوعهم فى كثير من الأخطاء .

ولكى يكون الموضوع واضحا أمام عيوننا ، علينا أن ندرس أقوال الكتاب عن الحوادث التى تسبق مجىء المسيح الثانى ، ونفهمها فهما جيدا صحيحا ، وهى كما يلى :

١ ــ انتشار الانجيل فى كل العالم ودعوة الأمم لينضموا الى الكنيسة المسيحية .

٢ ــ رجوع بعض اليهــود الى المسيحية وانضــمامهم الى شــعب الله المؤمن بالمسيح .

٣ ــ حدوث ارتداد عظيم فى الكنيسة وظهور أعداء للمسيح .

٤ ــ دخول الكنيسة فى عصر جديد عبر عنه بالالف سنة فيه تملك مبادىء المسيح على قلوب البشر .

لكن هذه الموضوعات تثير كثيرا من الجدل لأن هناك افكارا متباينة فى تفسيرها ، لذلك نرى من المناسب دراستها بالتفصيل والتوسع الى حد ما فى شرحها ، حتى تكون لدينا صورة أوضح عما يقصده الكتاب منها .

ويحسن أن نبــدأ هــذه الدراسة بالاشــارة الى أن بعض الأخطاء الواردة فى تفسيرات البعض لهــذا الموضوع ترجع الى الخلط فى التفســير بين اقوال الســيد المسيح نفسه عن مجيئه ، فالبعض يرون ان كل ما قاله يسوع عن مجيئــه يقصد به مجيئه فى نهاية العــالم ، وهــذا غير صحيح ؟ لذلك نرى من الضرورى أن نبدأ هذه الدراسة ببحث أقوال السيد المسيح نفسه عن مجيئه .

— ٢ —

اقوال المسيح عن مجيئه

فى الاناجيل الاربعة عدة أحاديث تكلم بها السيد المسيح ، فيهـا اظهر انه سيجىء . لكن ما يغيب عن أذهان الناس أن معنى المجىء قد يختلف فى كل مرة عن الأخرى .

وسنذكر هنا اربعة انواع من المجىء :

١ — النوع الأول وهو ما يقصد به يسوع المسيح أنه سيجىء للمؤمن عند موته لينقله اليه ، وذلك مثل قوله : « أنا أمضى لأعد لـكم مكانا . وان مضيت واعددت لـكم مكانا آتى ايضا وآخذكم الى حتى حيث أكون أنـا تكونون أنتم ايضا . وتعلمون حيث انا أذهب وتعلمون الطريق » (يو ١٤ : ٢ — ٤) .

٢ — النوع الثانى هو ما يقصد به المسـيح مجيئه الى قلوب المؤمنين بواسطة الروح القدس الذى يرشد المؤمن ويعزيه . وذلك مثل القـول : وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ... لا أترككم يتامى . انى آتى اليكم . بعد قليل لا يرانى العالم ايضا وأما أنتم فترونني » (يو ١٤ : ١٦ — ١٩) . « ان احبنى احد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلا ... سمعتم انى قلت لـكم انـا اذهب ثم آتى اليكم » (يو ١٤ : ٢٣ ، ٢٨) .

« هأنذا واقف على الباب وأقرع . ان سمع أحد صوتى وفتح الباب ادخل اليه واتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) .

٣ — النوع الثالث ما يشير الى مجيئه فى القوة — أو مجيئه فى ملكوته — وينبغى ان ننتبه الى هذا النوع ، فان كثـيرا من الناس يخلطون بينـه وبين مجىء المسـيح ثانية فى انقضاء العالم ، وبذلك يقعون فى خطأ كبير فى التفسير .

ولكى نشرح هذا النوع ، نذكر أن يسوع المسيح فى حياته على الأرض، تحدث مرات كثيرة عن مجيئه فى ملكوته ، أو مجيئه بقوة ، وهو لا يقصـد بذلك مجيئه فى انقضاء العالم ، ولكنه يقصـد بعض الأحداث التى تحـدث

فى العالم ، ويظهر فيها مجد الله وقوته ، فى عقاب الأشرار ، ودينونة الشعوب والامم . فمثلا فى متى ١٦ : ٢٧ ، ٢٨ يقول المسيح . « فان ابن الانسان سوف ياتي في مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله . الحق اقول لكم ان من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان اتيا فى ملكوته » وفى مرقس ٩ : ١ « الحق اقول لكم ان من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد اتى بقوة » وفى لوقا ٩ : ٢٦ ، ٢٧ « لان من استحى بي وبكلامي فبهذا يستحي ابن الانسان متى جاء بمجده ومجد الاب والملائكة القديسين . حقا اقول لكم ان من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله » .

وفى نفس المناسبات التى تكلم فيها بهذا الكلام ، تحدث عن اضطرابات كثيرة . وصفها رمزيا بانها « علامات فى الشمس والقمر والنجوم . وعلى الارض كرب امم بحيرة . البحر والامواج تضج . والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة لان قوات السموات تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الانسان اتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير » . ثم يوصى تلاميذه قائلا . « ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لان نجاتكم تقترب . وقال لهم مثلا . انظروا الى شجرة التين وكل الاشجار . متى أفرخت تنظرون وتعلمون من انفسكم ان الصيف قد قرب . هكذا انتم ايضا متى رايتم هذه الاشياء صائرة فاعلموا ان ملكوت الله قريب . الحق اقول لكم انه لا يمضى هذا الجيل حتى يكون الكل » (لوقا ٢١ : ٢٥ — ٣٢) .

ماذا يقصد يسوع بهذه الأشياء ؟ من المؤكد أنه لا يقصد انتهاء العالم . فان حديثه يبين أن هذه الأمور ستتم فى ذلك الجيل ، وسيشاهدها بعض الأحياء فى ذلك الوقت الذى تحدث المسيح فيه بهذا الكلام .

والحقيقة ان هذه النصوص بالذات التى ذكرناها ، ونصوص أخرى مثلها فى (متى ٢٤ : ١٥ — ٣٤ ، مرقس ١٣ : ٢٤ — ٣٠) ، تشير الى حادثة هامة حدثت فى سنة ٧٠ ميلادية وهى خراب أورشليم على يد تيطس الرومانى . وقد اعتبر السيد المسيح هذه الحادثة التى تنبأ عنها أكثر من مرة ، انها نوع من المجىء يأتى فيه يسوع ابن الانسان بقوة وبمجد ، يعلن فيها عقابه على شرور الامة اليهودية ، جزاء لرفضها اياه ، واتماما لقوله لهم : « هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » ، وبهذه الدينونة يعلن المسيح ملكوته بقوة ، وينطلق المسيحيون فى طريقهم لاعلان بشارة الانجيل دون خوف أو تهديد من اليهود ، لتصل رسالة الانجيل الى العالم أجمع .

ويتساءل الناس عن معنى بعض العبارات فى هذه النصوص مثل « علامات فى الشمس والقمر والنجوم » (لو ٢١ : ٢٥) أو « قوات السموات تتزعزع » (لوقا ٢١ : ٢٦) أو « تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه » (متى ٢٤ : ٢٩) ، أو « نجوم السموات تتساقط » (مرقس ١٣ : ٢٥) .

والواقع أن كل هذه الكلمات التى استخدمها يسوع فى حديثه مستعارة من الفكرة اليهودية عن « يوم الرب » . فقد قسم اليهود الزمان الى دهرين : الدهر الحاضر ، والدهر الآتى . والدهر الحاضر فى نظرهم ملىء بالشر والفساد ولا يمكن اصلاحه ، والدهر الآتى هو العصر الجديد الذى يسود فيه الخير والصلاح ، واعتقدوا أنه بين الدهر الحاضر والدهر الآتى ، سيأتى يوم مخوف مرهب هو يوم الرب ، يتدخل فيه اله بقوة ومجد لدينونة الاشرار ، بشكل ظاهر ، ليخرج من عالم الشر أو العالم الحاضر ، عالم الخير والصلاح أو العالم الآتى .

وقد وصفوا الاضطراب الذى يسرد فى يوم الرب هذا بأوصاف كثيرة ، فقيل فى (صفنيا ١ : ١٤ — ١٦) « قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جدا . صوت يوم الرب . يصرخ الجبار مرا . ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشرف الرفيعة » وفى (يوئيل ٢ : ٣٠ ، ٣١) « وأعطى عجائب فى السماء والأرض دما ونارا وأعمدة دخان . تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم المخوف » .

وفى (اشعياء ١٣ : ١٠ ، ١٣) فان نجوم السماء وجبابرتها لا تبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوءه ... لذلك أزلزل السموات وتتزعزع الأرض من مكانها فى سخط رب الجنود وفى يوم حمو غضبه .

ان مثل هذه الصور التشبيهية كانت تصف يوم الرب عند اليهود ، وكانت هذه التعبيرات مألوفة لديهم ، لذلك استخدمها المسيح وهو يتنبأ عن خراب أورشليم ليبين لهم أن ذلك اليوم سيكون « يوم الرب » الذى سيعلن فيه الله دينونته على الأمة التى رفضت يسوع المسيح ابن الله ، وأن الله سيخرج من هذا الخراب أمة روحية جديدة هى الكنيسة المسيحية من كل الشعوب والأمم والقبائل والالسنة .

على ان هذا المجيء لا يـكون قاصرا على حادثة واحـدة هي خراب أورشليم سـنة ٧٠ ميلادية ، بل ان كل وقت تهتز فيه أوضـاع العالم ، لينبثق من هـذه الاضطرابات عالم جديد يعود فيه الناس الى طاعة الله ومحبته ، يعتبر يوما من أيام الرب . أو يوما من الأزمنة الأخيرة .

وفي عهد يوحنا الرسول ، عندما ظهر مقاومون للمسيحيين ينـكرون لاهوت المسيح أوناسوته ، واضطربت أفكار الناس . كتب يوحنا فيقول : « أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة . وكما سمعتم انه ضد المسيح يأتي قـد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون . من هنا نعلم أنهـا الساعة الأخيرة » (١يو ٢ : ١٨) . فيوم الرب ، أو الساعة الأخيرة ، ليست قاصرة على وقت معين ، بل إنها تتكرر في حقب التاريخ ،وهي ليست ساعة خراب وفناء ودينونة فقط ، بل هي نهاية عصر معين ، وبداية عصر آخر .

ففي خراب أورشليم سنة ٧٠ م نجد يوما من أيام الرب الخالدة ، تحقق فيه هلاك كثيرين ، وكان عبرة لكثيرين فعادوا الى طريق الله .

وفي عصر الاصلاح الديني أيام لوثر ، نجد يوما من أيام الرب الخالدة، فيه عاد كثيرون الى معرفة الله والايمان بالكتاب المقدس ، وفيه أدين كثيرون لأنهم تمادوا في بعدهم عن الله وعن الكتاب .

وفي الحرب العالمية التي مضـت ، وفي اسقاط القنبـلة الذرية على هيروشيما ، نرى يوما من أيام الرب الخالدة ، دينونة الله على الشـعوب والدول التي تلعب بالنـار ، تثقـل ضمائرهم ، وتجعلهم يهتمون بنـزع السـلاح ...

وفي كل هذه الأحـداث ، نرى سلطان يسـوع ، سواء في القضـاء والدينونة ، أو في التجديد والاصلاح .

٤ — النوع الرابع من أحاديث يسوع عن مجيئه ، هو ما يتحدث فيه يسـوع فعلا عن مجيئه الثاني عند انقضاء العالم لدينونة العالم ، ولنقـل الكنيسة الى المجـد . وذلك مثل ما ورد في متى ٢٥ : ٣١ — ٤٦ ، عنـدما يقول المسيح في بداية هـذا النص « ومتى جاء ابن الانسـان في مجـده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئـذ يجلس على كرسي مجـده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من

الجداء » وفى ختام النص يقول : « فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية » .

وكقوله : « اسهروا لذا لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم » (مت ٢٤ : ٤٢) .

ونحن نلاحظ أنه فى بعض النصوص يرتبط حديث المسيح عن مجيئه فى القوة كما فى خراب أورشليم ، بحديثه عن مجيئه الأخير عند انقضاء العالم .

وتفسير ذلك أن المسيح جعل من كلامه عن خراب أورشليم رمزا الى مجىء المسيح ثانية والدينونة الأخيرة عند انقضاء العالم . أو بتعبير آخر أراد أن يبين أن صورة الدينونة والقضاء فى حادثة خراب أورشليم ، ستكون صورة رمزية مصغرة للصورة الأخيرة التى ستكون عند مجيئه الثانى وأن علامات يوم الرب التى ستكون عند خراب أورشليم ، ستكرر بشكل أوضح وأكمل وأشمل عند المجىء الثانى .

أى أن يوم الرب سيتكرر فى حقب التاريخ ، وسيكون آخر يوم من أيام الرب العظيمة ، هو يوم مجىء المسيح ثانية للدينونة وانقضاء العالم .

انتشار الانجيل فى كل العـالم

وليس بين المسيحيين خلاف فى هذا الأمر ، فالمعروف أن رسالة الانجيل ستمتد فى كل البلاد ، وتعم العالم أجمع ، وقد شبه السيد المسيح ملكوته بحبة خردل صغيرة تنمو وتصير شجرة كبيرة ، وبخميرة صغيرة لكنها تخمر العجين كله (متى ١٣) .

وقد جاء فى النبوات ما يؤيد ذلك « ويملك (المسيح) من البحر الى البحر ، ومن النهر الى اقاصى الأرض ، ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له » (مز ٧٢ : ٨ ، ١١) . « ويكون فى آخر الايام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى اليه كل الأمم . وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد الى جبل الرب ... فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله » (اش ٢ : ٢ — ٤) .

« لأن الأرض تمتلىء من معرفة مجد الرب كما تغطى المياه البحر » (حب ٢ : ١٤) .

ونحن نلاحظ على هذه المواعيد امران :

١ — أن هذه المواعيد تحققت فعلا فى الكنيسة المسيحية ، والديانة المسيحية ، لأنها ديانة عامة لجميع الناس ، على اختلاف أجناسهم ، ولكى يتضح الأمر لنا واهمية هذه النبوات ، نذكر أن الفكرة القديمة كانت أن لكل شعب من الشعوب اله يتعبدون له ، وقد ظن اليهود أن الله الها خاصا لهم ، كما انهم شعب خاص له ، وكانوا يتفاخرون به بين الامم ، وغير اليهود الراغبين فى اعتناق الديانة اليهودية كانوا يدخلونها بجهد ، ويعتبرون على الدوام « دخلاء » . وهذا ظاهر من العهد الجديد .

وعندما جاءت المسيحية ، ظن بعض اليهود الذين آمنوا بالمسيح أن المسيحية ما هى الا تطوير للديانة اليهودية ، أو شيعة من شيع اليهودية ، وكان بعضهم يحاول أن يفرض على الأممى الذى يريد أن يؤمن بالمسيحية أن يصير يهوديا أولا ، لكن هذا الاتجاه كان اتجاها خاطئا ، ومن يقرأ سفر الأعمال يرى كيف أن بولس وبطرس فى مجمع أورشليم وقفا ضد هذا الرأى ، وأصبح من المعروف أن أى انسان من أى جنس يمكنه أن يأتى الى المسيحية

مباشرة ، دون ما حاجة الى التهود ، وقد كتب بولس الرسول رسالته الى اهل غلاطية يقاوم كل دعاة التهود ويعتبر من يتبعونهم اغبياء لا يذعنـــون للحق الالهى .

٢ ـــ كما أنه ليس من المقصود بأن جميـــع الناس سيكونون مسيحيين قبـــل مجىء المسيح ، ولكن المقصود أن الانجيل بعد أن كان محـــدودا فى مكان واحد ، وبقعة محدودة ، سيصل الى جميع بلاد العالم ، وسيسمع جميع النـــاس عن الرب يســـوع المسيح ودعوته لهم للخلاص ، تحقيقا لوعـــده لتلاميذه « وتكونون لى شهودا فى أورشليم واليهودية والسامرة والى اقصى الأرض » .

وليس معنى ذلك أن جميع الناس سيؤمنون بالمسيح اذ أن الـــكتاب يعلمنا أن هناك دائما زوانا وسط الحنطة لن ينفصل عنها الا فى يوم الحصاد الذى هو انتهاء العالم والدينونة .

المعنى الصحيح لملك المسيح

لا يمكن أن نفصل بين عقيدة المجىء الثانى للسيد المسيح ، وبين الفهم الصحيح لفكرة ملك الرب يسوع المسيح ، لأن الحقيقتين ترتبطان معـــا ، واذا لم نفهم معنى ملكوت المسيح فهما صحيحا يطابق ما جاء فى الكتاب ، فانه سيترتب على عدم الفهم هذا نتائج خاطئة فى تفاصيل فكرة المجىء الثانى ونحن نسأل هل سيجىء المســيح ثانية ليملك على الأرض ، أم ســـيجىء للدينونة والقضاء ؟ وما معنى ملك المسيح ؟

وفى هذا الموضوع ندرس الحقائق التالية :

(أ) ان ملك المسيح ابتدأ من وقت صعوده الى السماء ، ولايزال هذا الملك ثابتا يمتد فى العالم .

يظن البعض أن المسيح لا يملك الآن ، لذلك فهم ينتظرون زمنا فيـــه يجىء يسوع بالجسد ، ليملك على الأرض فى أورشليم مدة ألف سنة . ونحن وان كنا سنتحدث عن الألف سنة بالتفصيل فيما بعد ، لكننا نريد أن نوضح مبدئيا خطأ هذا التفسير ، بتأكيد حقيقة ملك المسيح الآن . من نبوات العهد القديم ما جاء فى زكريا ٩ : ٩ « ابتهجى جدا يا ابنـــة صهيون اهتفى يا ابنة أورشليم . هوذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » وقد دخل يسوع فعلا بهـــذه الصورة الى أورشليم عند دخوله الانتصارى ، ومع أن الصليب كان ينتظـــره ، لكنه حتى على الصليب كان ملكا ، لكن ملكه تأكد وتأيد بالقيامة من الأموات ، وصـــعوده الى السماء ، وجلوسه عن يمين الله . فان هـــذا معناه أن يســـوع المسيح ملك على عرش السماء ، اتماما لما جاء فى مزمور ١١٠ : ١ « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » . وفى هـــذا قال بولس الرسول فى ١ كو ١٥ : ٢٥ « لأنه يجب أن يملك حتى يضـــع جميـــع الأعداء تحت قدميه » .

وهذا ينفى تصور البعض أن ملك المسيح يقتضى ابادة الأشرار والشر من العالم ليكون المسيح ملكا ، كلا ، فان المسيح الآن ، رغم وجود الشر والأشرار . وقد وصف كتاب العهـــد الجديد يسوع بأنه جالس على عرشه السماوى . وهذه بعض الآيات :-

« ثم ان الرب بعدما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله » (مر ١٦ : ١٩) .

« بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى » (عب ١ : ٣) .

« وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الأبد عن يمين الله » (عب ١٠ : ١٢) .

« الذى هو فى يمين الله اذ قد مضى الى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له » (بط ٣ : ٢٢) .

« اذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضا ، وأخضع كل شىء تحت قدميه واياه جعل راسا فوق كل شىء لكنيسة » (أف ١ : ٢٠ — ٢٢) .

كل هذه وغيرها كثير أدلة على أن يسوع المسيح تبوأ كرسى الملك عند صعوده الى السماء ، وهو لا يزال على عرشه ، فلا محل للفكر أنه يتخذ ملكا مرة ثانية ، بل نحن ننتظر ازدياد عدد الخاضعين له ، أو امتداد ملكه وظهور مجده أكثر فأكثر ، وبالطبع لا يكون ذلك بالانحطاط من السماء الى الأرض واتخاذه ملكا أرضيا .

(٢) ان ملكوت المسيح روحى لا جسدى

لقد كانت تجربة الشيطان له فى البرية أن يتخذ لنفسه ملكا أرضيا جسديا عندما أراه ممالك العالم ومجدها ، وقال له أعطيك كل هذه ان خررت وسجدت لى . لكن يسوع رفض ذلك ، وقد قال صراحة بفمه الطاهر « مملكتى ليست من هذا العالم (يو ١٨ : ٣٦) . ومعنى ذلك أن ملكوت المسيح ليس جسديا أو أرضيا أو زمانيا مثل ممالك الأرض بل هو ملكوت روحى يتعلق بقلوب الناس وحياتهم الروحية . ويمكننا أن نؤيد هذا الرأى بآيات كتابية كثيرة للغاية نذكر منها :

« لا يأتى ملكوت الله بمراقبة (لوقا ١٧ : ٣٠) .

« ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك لأن ها ملكوت الله داخلكم » (لوقا ١٧ : ٣١) .

« لأن ليس ملكوت الله اكلا وشربا ، بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس » (رومية ١٤ : ١٧) .

وقد رفض يسوع المسيح فى حياته أن يتدخل فى نزاع بين شخص وأخيه بسبب الميراث ، فعندما جاءه رجل قائلا له : « قل لأخى أن يقاسمنى الميراث » أى طلب منه أن يقضى له فى الأمور المدنيـة أجابه « يا انسان من أقامنى عليكما قاضيا او مقسما » . وليس معنى ذلك أن يسوع لا تهمه الخلافات المدنية ، لكنه لايتدخل فيها مدنيا بل روحيا لذلك وجه رسالته حالا بعد ذلك بقوله « انظروا وتحفظوا من الطمع لأنه متى كان لأحـد كثير فليست حياته من أمواله » (لوقا ١٢ : ١٥) .

لذلك نرى ان يسوع الغى الفرائض الزمانية التى كانت الديانة اليهودية تعتبرها جزءا لا يتجزأ من الدين ، وطلب من الناس ان يعبدوه عبادة روحية إذ قال : « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) .

لذلك فمن الممكن أن يكون ملكوت المسيح قائما دون أن تتغير ظـروف الانسان المدنية والسياسـية ، لأن ملكوت المسيح روحى وعلاقتـه قائمة بأحوال الانسان الروحية . والدخول الى ذلك الملـكوت ، دخـول بالميلاد الثانى ، وهو ميلاد روحى لا جسدى ، كما ذكر يسوع لنيقوديموس بوضوح أنه ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقـــدر أن يرى ملكوت الله أو يدخله (يوحنا ٣ : ٣ — ٥) .

ان ملكوت المسيح موجود الآن ، فهو يملك فى قلوب ابنائه المولودين ، وهو يملك على كنيسته ، فالكنيسة ليست ترتيبا استعداديا لاظهار الملكوت فى الألف سنة كما يعتقد البعض ، لكنها الملكوت الفعلى للمسيح ، لذلك يقول الرسول : « الذى انقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا الى ملكوت ابن محبتـه (كو ١ : ١٣) .

(٣) ان وسائل حفظ ملكوت المسيح وانتشاره وسائل روحية وليست جسدية .

نحن لا ننتظر فرصة جسدية لانتشار ملكوت المسيح ، ولن يسـتخدم الله أسلوبا جسديا لذلك ، ولكن الوسائل كلهـا روحية ، تتركز فى الكرازة

بالانجيل ، واعلان الحق الالهى ، وممارسة الفرائض المقدسة ، واقناع الناس برسالة الخلاص وفى ذلك قال الرسول :

« وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح » (أف ٤ : ١١ ، ١٢) .

« ان أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون» (٢ كو ١٠ : ٤) .

ان عصرنا الحالى ، بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثانى هو عصر الروح القدس والكرازة . والروح القدس قادر على كل شيء ، من اثارة قلب الانسان وتجديده وارجاعه الى الله وتقديسه وتثبيته الى النهاية . فلا يحتاج العالم أن يجيء المسيح ثانية ليملك ويعيد الناس الى الله ،فقد سبق وجاء لهذا الغرض ، ومجيئه الثانى هى الدينونة وانقضاء العالم .

وقد شبه السيد المسيح نفسه ، أحوال العالم بعد مجيئه الأول ، بأنه حقل ينمو فيه الزوان مع الحنطة ، اى الشر مع الخير ، الى وقت الحصاد الذى هو انقضاء العالم ، حينما ينال الشر دينونته والخير مكافأة النعمة . وقد بدا السيد المسيح هذا المثل بقوله : « يشبه ملكوت السموات» (مت ١٣ : ٣٨ — ٤٣) .

فالذين يتصورون ان ملكوت السموات معناه انتفاء الشر تماما ، وهلاك الأشرار ، وبقاء الأبرار الف سنة تحت حكم المسيح جسديا في أورشليم ، يخالفون حق الكتاب المقدس الواضح فى كل هذه الآيات والتشبيهات .

(٤) ان يسوع المسيح الملك قد جلس فعلا على عرش داود ، وهو الآن جالس على كرسى داود .

وكثيرون يخطئون فهم هذه الفكرة ، ويتصورون أن جلوس المسيح على كرسى داود ، معناه ان يأتى يسوع مرة ثانية ويملك بالجسد على عرش جسدى فى مدينة مادية هى أورشليم مدينة داود فى أرض فلسطين .

هذا التصور غير صحيح اطلاقا ، ويناف تعليم الكتاب المقدس ، ومن الواجب توضيح الفكرة الكتابية .

وعندما بشر جبرائيل الملاك مريم العذراء المباركة بمولد يسوع قال لها : « هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود ابيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٢ ، ٣٣) .

فيسوع هو ابن داود ، حسب الجسد ، وقد أورد متى فى بداية سلسلة نسب المسيح قوله : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود » (متى ١ : ١) .

وداود كان رمزا الى المسيح ، ومملكة داود الأرضية كانت رمزا لملكة المسيح الروحية ، وكرسى داود الأرضى كان يرمز الى كرسى المسيح السماوى .

وعندما مزق الله المملكة فى عهد رحبعام بن سليمان ، أعطى لبيت داود سبطا واحدا قائلا : « لأجل داود عبدى ولأجل أورشليم التى اخترتها» (١ مل ١١ : ١٣) . هذا السبط أعطى لكى تثبت مملكة داود التى كانت ترمز الى مملكة المسيح ، اذ قال الله « ليكون سراج لداود عبدى كل الأيام أمامى فى أورشليم المدينة التى اخترتها لنفسى لأضع اسمى فيها (١ مل ١١ : ٣٦) .

وقد أستعير اسم داود للاشارة الى المسيح ، فقد جاء فى ارميا ٣٠ : ٩ « بل يخدمون الرب الههم وداود ملكهم الذى أقيمه لهم » . وهذه النبوة جاءت بعد عصر داود بزمان طويل ، لكنها مثل باقى النبوات تشير الى المسيح وخلاصه وملكه الروحى . كما استخدم اسم داود للاشارة الى ملك المسيح ، لمختاريه ورعايته لهم ، كما جاء فى نبوات حزقيال « فأخلص غنمى فلا تكون من بعد غنيمة ، وأحكم بين شاة وشاة ، وأقيم عليها راعيا واحدا فيرعاها عبدى داود ، هو يرعاها ، وهو يكون لها راعيا (حز ٣٤ : ٢٢ ، ٢٣) . وفى حزقيال ٣٧ : ٢٥ « وعبدى داود رئيس عليهم الى الأبد » .

وأورشليم ، هى مدينة داود ، التى فيها كرسى داود ، هى صهيون ، وقد أستخدمت للاشارة الى الكنيسة المسيحية ، أو أورشليم السماوية ، التى بها كرسى داود الروحى ، اى ملك المسيح ، وسندرس فيها بعد كيف أن الآية اليهودية قد انتهت رسالتها بعد مجيء المسيح الأول ، وأن كل المواعيد

التى يذكر فيها اسم أورشليم ، أو صهيون ، أو بيت يعقوب ، أو اسرائيل ، أصبحت من نصيب الكنيسة المسيحية ، لكننا نكتفى الآن بأن نورد قول بولس الرسول : « بل قد اتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحى أورشليم السماوية والى ربوات هم محفل ملائكة ، وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات » (عب ١٢ : ٢٢ ، ٢٣) .

لذلك فاننا نجد كل المواعيد تفيد استمرار كرسى داود الى الأبد ، وهذا لا ينطبق أبدا على مملكة سياسية أو حكم جسدى ، لكنه ينطبق تماما على ملك المسيح الروحى .

ونحن نقرأ ما وعد الله داود به بالقول :

« متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من احشائك واثبت مملكته . وهو يبنى بيتا لاسمى ، وأنا أثبت كرسى مملكته الى الأبد . . . ويأمن بيتك ومملكتك الى الأبد أمامك . كرسيك يكون ثابتا الى الأبد » . (٢ صم ٧ : ١٢-١٦) .

وقد تحقق هذا الوعد جزئيا فى سليمان ، ولكنه تحقق كاملا فى المسيح ابن داود .

وفى مزمور ٨٩ : ٣ ، ٤ « قطعت عهدا مع مختارى . حلفت لداود عبدى الى الدهر اثبت نسلك وابنى الى دور فدور كرسيك » .

وفى مزمور ١٣٢ : ١١ نقرأ القسم « أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه . من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك » لذلك قال الرسول بطرس فى خطابه يوم الخمسين : « أيها الرجال الاخوة ، يسوغ أن يقال لكم جهارا عن رئيس الآباء داود انه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم . فاذ كان نبيا وعلم أن الله حلف له بقسم انه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه ، سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لن تترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فساد . فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعا شهود لذلك . واذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذى انتم الآن تبصرونه وتسمعونه . لأن داود لم يصعد الى السموات ، وهو نفسه يقول قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا

لقدميك ، فليعلم يقينا جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هــذا الذى صلبتموه أنتم ،ربا ومسيحا » . (أ ع ٢ : ٢٩ ــ ٣٦) .

وهنا قد يتساءل البعض عن الحكمة في استخدام لفظ« كرسى داود » للدلالة على عرش المسيح الروحى،ولماذا يكون داود رمزا للمسيح . وكرسيه رمزا لعرشه ، ومدينة داود أورشليم رمزا لكنيسته .

أليس المسيح هــو ملك الملوك ورب الأرباب ؟ فلماذا يرمز الى عرشه بعرش ارضى ؟ ولماذا داود بالذات ، وأورشليم بالذات ؟

ونحن نجيب على هذا التساؤل ، ان يسوع فعــلا هو ملك بصفته كونه الها مشاركا للآب ، وكما وصفه يوحنا « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » هو ابن الله صاحب الملك الأزلى ، وله الملك العــام على الأرض وملئها ، والمسكونة والساكنين فيها .

لكن يسوع له أيضا ملك خاص ، لا بصفة كونه ابن الله ، بل بصــفة كونه أيضا ابن الانسان .

والمسيح يجلس الآن على العرش باعتبار كونه ابن داود الذى أخــذ الملك من بيت داود لأنه فى الجسد الذى أخذه من بيت داود . فقد قال عنه بولس فى رسالة رومية ١ : ٣ « عن ابنه . الذى صــار من نسل داود من جهــة الجسد » . وبهذه الصفة ، صفة كونه ابن الانسان ، له سلطان الدينونة ، كما قال يسوع بفمه الطــاهر : « لأن الآب لا يدين أحــدا بل قــد أعطى كل الدينونة للابن » ، ثم فسر القول فيما بعد بقوله : « وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا لأنه ابن الانسان » (يو ٥ : ٢٢ ، ٢٧) .

فيسوع ، الملك ، الذى له سلطان الدينونة ، هو ابن الإنسان ، أو ابن داود ، الذى اتخذ لنفسه جســدا ، وولد من نسل داود ، لذلك كان كرسى داود رمزا لعرشه ، ومدينة داود أورشليم رمزا لكنيسته .

ويبين بولس الرسول ذلك فى قوله فى رســالة رومية ٨ : ٣٤ « من هو الذى يدين ؟ المسيح هو الذى مات ، بل بالحرى قام أيضا ، الذى هو أيضــا عن يمين الله ، الذى أيضا يشفع فينا » .

أى المسيح الانسان ، هو الذى يدين ، ويشفع ... وهنا نرى صفة أخرى تضاف الى ابن الانسان بالاضافة الى الملك والديئونة وهى صفة الشفاعة . ونذكر هنا نبوة زكريا عنه « هوذا الرجل ، الغصن اسمه ؛ ومن مكانه ينبت ، ويبنى هيكل الرب ، فهو يبنى هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ، ويكون كاهنا على كرسيه » (زك ٦ : ١٢ ، ١٣) .

ولكن لم يكن للملوك أن يكونوا كهنة ليسوا من سبط لاوى . وقد عاقب الله عزيا الملك لانه أوقد للرب وقام بعمل الكهنة . لكن يسوع هو وحده الملك والكاهن ، كاهن على رتبة ملكى صادق وليس على رتبة هرون ، والكاهن يجب أن يكون مأخوذا من بين الناس .

لذلك فالذى يجلس عن يمين العظمة ، هو يسوع بصفة كونه ابن الانسان ، ابن داود . الشفيع والديان ، الكاهن والملك .

ونحن لا ننتظر أن يكون لصاحب العرش السماوى عرشا أرضيا بعد أن جلس عن يمين الله ، ولا لصاحب الأقداس غير المصنوعة بالأيدى ، هيكلا أرضيا يبنى فى أورشليم الأرضية ...

ان يسوع ملك على الكنيسة ، أورشليم الجديدة ، وسيبقى ملكا الى الأبد ، لأنه لن يكون لملكه نهاية .

— ٥ —

علاقة المجىء الثانى بمستقبل الأمة اليهودية

سؤال يشغل الأذهان هو :

هل توجد علاقة بين المجىء الثانى ومستقبل الأمة اليهودية :

الكتاب المقدس حافل بالنبوات ، ونظرا لأن العهد القديم يروى تاريخ الأمة اليهودية باعتبارها تمهيدا للمسيحية ، لذلك فكثير من النبوات تشير الى الأمة اليهودية ، لكن هناك أنواعا كثيرة من النبوات ، تختلط فى أذهان المفسرين ، وكان نتيجة ذلك اختلاف الآراء فى هذا الموضوع المتشعب . ولكى نصل الى الفهم الكتابى الصحيح ، علينا أن ندرس الكتاب دراسة شاملة ، وندرك الأسلوب الصحيح للتفسير ، فان خطأ التفسير ينتج أخطاء فى العقيدة .

وربما كان من المناسب أن نوجز بعض الحقائق الأساسية فى هذا الموضوع ، قبل أن نشرح التفاصيل باسهاب .

— ١ —

خلاصة التعليم الكتابى عن ماضى الأمة اليهودية ومستقبلها

يعلمنا الكتاب المقدس أن الله اختار ابراهيم ليكون للمؤمنين ، ووعده أن فى نسله تتبارك جميع قبائل الأرض ، ثم اختار الله الأمة اليهودية وقطع عهدا مع يعقوب أبى الأسباط ، وكان قصد الله فى هذا مزدوجا :

١ — أن تكون الأمة اليهودية واسطة لتعريف باقى الأمم الوثنية بالله الواحد وطبيعته وصفاته .

٢ — أن تكون الديانة اليهودية ديانة رمزية فى طقوسها وعبادتها وذبائحها ، أى أن ترمز الى الكيفية التى أعدها الله فى قصده الأزلى لفداء العالم ، بواسطة المسيح الذى وعد الله أنه سيأتى من سبط يهوذا من نسل داود .

لكن الشعب اليهودى أظهر أنه صلب الرقبة ، كثير العناد ، لذلك عاقب الله هذا الشعب عقابا متواليا فى زمن القضاة وفى زمن الملوك . وبسبب غضب

الله على هذا الشعب انقسمت مملكته التى كانت مزدهرة فى عهد داود ، انقسمت فى عهد رحبعام بن سليمان الى مملكتين ، المملكة الشمالية وهى مملكة افرايم او اسرائيل ، والمملكة الجنوبية وهى مملكة يهوذا .

وقد انتهت المملكة الشمالية فى السبى أو الأسر الأشورى نحــو عام ٧٢٢ ق . م . وانتهت المملكة الجنوبية فى السبى او الأسر البابلى نحــو عام ٥٨٦ ق . م .

لكن الله ، اذ كان قد وعد بمجىء المسيح مجيئه الأول من سبط يهوذا ، وعد أيضا بعودة الأسباط من السبى لتحقيق هذا الغرض ، وفعلا حفظ الله الأسباط منفصلة ومتميزة بعضها عن بعض ، الى أن رجع اليهود من السبى كأمة فى عصر عزرا ونحميا .

وتعاقب على أرض فلسطين حكام كثيرون فى فترة ما بين العهــدين ، وكان أغلبهم أجانب لكن الأسباط حفظت متميزة الى ميلاد يسوع المسيح من سبط يهوذا من نسل داود .

لكن اليهود لم يتبلوا يسوع المسيح ، ورفضوه، ولم يعتبروه المسيا الذى كانوا ينتظرونه ، لأن انتظاراتهم كانت جسدية فقد أرادوا ملكا أرضيا ، وجاء المسيح ملكا روحيا ، وهكذا جاء يسوع الى خاصته ، وخاصته لم تقبله ،لذلك انذر يسوع اليهود بخراب هيكلهم ، ومدينتهم أورشليم ، وقال لهم : « هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » . وفعــلا جاء القــائد تيطس الرومانى عام ٧٠ م وحاصر أورشليم ، ودمرها ، ولم يترك فيهــا حجرا على حجــر ، وتشتت اليهود ، وضاعت سجلات أسباطهم ، وتركوا عبادتهم وطقوسهم،وانتهى بذلك دور الأمة اليهــودية انتهاء نهائيا بلا عودة ، وحلت الديانة المسيحية بدلا من الديانة اليهودية ، وانفتح باب الكنيسة لدخــول الأمم ، من جميع الشعوب والقبائل والألسنة ، وصــارت مواعيــد الله كلها من نصيب الــكنيسة المسيحية .

من هذا يتبين لنا أن الأمة اليهودية قد انتهت رســالتها تماما بمجىء المسيح منها حسب الجسد ، ولا مكان الآن لها فى خطة الله لفداء العــالم ، وليست هناك مبررات دينية لوجودها على الاطلاق .

التفسيرات المختلفة للنبوات

تعددت نبوات العهد القديم المختصة بمستقبل الأمة اليهودية ، كمـــا تعددت التفاسير لها ، ويمكن إجمال الآراء فى هذا الموضـــوع فى ثلاثة آراء متباينة :

١ — الرأى اليهودى : وهم يعتقدون أن المسيح لم يأت على الأرض الى الآن ، أن يسوع الذى أتى فى مستهل القرن الأول الميلادى ليس سوى أحد الأدعياء . وهم ينتظرون مجىء المسيا ملكا أرضيا يعيـــدهم الى فلسطين ليمتلكوها ، ويجددوا عبادتهم الطقسية فى هيكل أورشليم ، وبذلك يعـودون شعبا متفوقا ممتازا فى العالم .

٢ — الرأى الحرفى : ويعتنقـــه بعض من يفسرون الـــكتاب المقـدس تفسيرا حرفيا ، ويتأثرون برأى اليهود ، وهم يظنون أن اليهـــود سيعودون حرفيا الى فلسطين ، وسيأتى المسيح ليملك فى أورشليم جسديا ويتجدد بناء الهيكل ، وتتحول الكنيسة المسيحية الى كنيسة يهودية . على أن بعضهم هاله أن ترجع المسيحية الى العراء بهـــذا الشكل ، فقالوا أن الجزء الأول من النبوات التى تشير الى رجوع اليهـــود الى فلسطين ، سيتم حرفيا ، لـــكن تجديد الديانة اليهودية سيتم روحيا ، فان اليهود عندما يقدمون الذبائح على المذبح فى الهيكل ، ولا تنزل نار من الســـماء لتأكلها ، عندئذ سيتحولون الى الايمان بالمسيحية . ولسنا نرى من أى كتاب أتوا بهذا الخيال التمثيلى ، كما نسألهم اذا كانوا قد اقتنعوا بالتفسير الروحى جزئيا ، فلمـــاذا لا يسلمون به كليا ؟

٣ — الرأى الانجيلى الروحى : وهو يؤكد انتهاء رسالة الأمة اليهودية كأمة ، وأن كل النبوات التى يفهم منها رجوع اليهود وازدهار عبادتهم ، تشير الى عودة البعض منهم الى الديانة المسيحية ، كل البركات التى ورد أنهـــا تكون من نصيب أورشليم واسرائيل انما يقصد بها روحيا الكنيسة المسيحية والمؤمنين بالمسيح .

وأصحاب هذا التفســـير الروحى ، وهو عقيـــدة الكنيسة الانجيلية المشيخية منذ نشأتها فى القرن السادس عشر ، ينكرون التفسير اليهودى والحرفى — كنبوات — انكارا تاما ، ويؤكدون أن الكتاب المقدس لا يتنبأ أبدا عن ضرورة رجوع اليهود الى فلسطين حرفيا قبل مجىء المسيح الثانى .

وتفسير النبوات ، فى راى الكنيسة الانجيلية المشيخية ، هو أن هناك أربعة أنواع من النبوات :

١ — هناك نبوات فى العهد القديم عن تشتت اليهود ورجوعهم الى فلسطين وهذه النبوات تمت فعلا فى تشتتهم فى السبى الأشورى والبابلى ، وفى رجوعهم الى فلسطين ، وبناء الهيكل ، فى عهد عزرا ونحميا .

٢ — وهناك نبوات لها معنيان : المعنى الأول يقصد به الرجوع الحرفى بعد السبى ، والمعنى الثانى هو الرجوع الروحى الى الله فى عصر الكنيسة المسيحية ، والنبوة تشير الى الأمرين باعتبار أن الرجوع الأول المادى ، رمزا للرجوع الثانى الروحى .

٣ — وهناك نبوات عن رجوع اليهود يقصد بها المعنى الروحى فقط ، فعندما تتحدث النبوة عن رجوعهم الى أورشليم يكون القصد رجوعهم الى الكنيسة المسيحية ، وعندما يشار فى النبوة أن داود يكون ملكا لهم ، يقصد بذلك ملك المسيح الروحى . كما أوضحنا من قبل .

٤ — وهناك نبوات عن « اسرائيل » والبركات التى وعدها الله بها ، والمقصود باسرائيل هنا ليس دولة اسرائيل ، بل اسرائيل الروحى ، أى كل المؤمنين بالمسيح ، ويتضح هذا من قول بولس « فان كنتم اذا نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة » (غلاطية ٣ : ٢٩) .

(والكاتب يود أن يؤكد أنه يقدم هذا البحث بهدف تعليم الحقائق الدينية الصحيحة ، ولا يذكر هذا بهدف سياسى أو مجاملة لنظام الحكم الحالى ... فان هذا هو الحق الكتابى الذى لا يكون موضوع مساومة أو مجاملة — والحق الكتابى ينفى كل الدعايات الصهيونية التى تحاول أن تتخذ لنفسها مظهر الدين ، وتحاول تسخير بعض التفاسير الخاطئة لمصلحتها السياسية . والواقع أن الحركة الصهيونية حركة سياسية ، لا تذكر عنها النبوات شيئا ، شأنها شأن كل الأحداث التاريخية المعاصرة . والكتاب المقدس لا يشير الى هذه الحركة بتاتا) .

البراهين على صحة التفسير الروحى

ان التفسير الروحى هو أصدق تفسير يتمشى مع روح الكتاب المقدس لأننا لو فسرنا النبوات حرفيا لوجدنا تناقضا ظاهرا بينها . فهناك نبوات يفهم منها صعود جميع الأمم الى أورشليم لممارسة الديانة اليهودية ، ففى زكريا ١٤ : ١٦ — ١٩ نفهم أن جميع الأمم ستصعد الى أورشليم لتعيد عيد المظال ، والأمم التى لا تصعد الى هناك يضربها الله ، وفى بعض النبوات الأخرى يفهم منها ان الديانة اليهودية بطقوسها ستعم كل الأرض كالقول فى ملاخى ١ : ١١ « لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة ، لأن اسمى عظيم بين الأمم » .

لو فهمنا هذه النبوات حرفيا ، لكان متعذرا تصديقها وتطبيقها ، بل وانها تبدو متناقضة ، بينما لو فسرنا صعود الأمم الى أورشليم ، بمعنى ايمان الشعوب بالمسيح ودخولهم الكنيسة المسيحية ،لاستقام المعنى فى كل النبوات، خاصة وأن من علامات مجىء المسيح الثانى انتشار الانجيل فى كل العالم .

ونحن نورد هنا بعض البراهين على صحة التفسير الروحى :

١ — ان الديانة اليهودية هى ديانة رمزية :

لا يختلف اثنان من مفسرى العهد القديم ان استخدام الرموز أمر طبيعى فى الكتاب المقدس ، وكل المسيحيين يؤمنون بأن النظام الموسوى كان رمزا الى ذبيحة المسيح ، ومتى ظهر المرموز اليه بطل الرمز .

وفى هذا المجال نرى الآتى :

(أ) الأمة الاسرائيلية فى العهد القديم ، كانت رمزا للكنيسة المسيحية فى العهد الجديد ، واختيار الأمة اليهودية فى العهد القديم رمزا لاختيار الكنيسة المسيحية ليكون النسل الروحى المختار المبارك فى العهد الجديد .

لذلك سمى المؤمنون فى العهد الجديد انهم نسل ابراهيم (غل ٣ : ٢٩) وأولاد أورشليم العليا (غل ٤ : ٢٦) واهل الختان (فى ٣ : ٣ ، كو ٢ : ١١) وسمى المسيحيون بأنهم اسرائيليون روحيا (غل ٦ : ١٦) .

وقد كان خروج شعب اسرائيل من أرض مصر رمزا للخلاص الروحى الذى نالته الكنيسة فى المسيح .

(ب) جبل صهيون المادى فى العهد القديم ، هو رمز للكنيسة فى العهد الجديد ، وقد وصف المسيحيون بأنهم آتون الى جبل صهيون (عب ١٢:٢٢).

(ج) الميراث الجسدى الذى وعد به الله اليهود فى العهد القديم وهو أرض كنعان صار رمزا الى ميراث الكنيسة المسيحية الروحى فى العهد الجديد . فالكنيسة المسيحية سترث الأرض بكمالها وليس أرض كنعان فقط . (رو ٤ : ١٣ ، ١٤ ، ١ بط ١ : ٤ ، ٢ بط ٣ : ١٣) . وما دامت الديانة اليهودية رمزية بكل متعلقاتها ، تكون قد بطلت بظهور المسيحية .

٢ — أن روح العهد الجديد وتعليمه ابطل الديانة اليهودية الى الأبد ، والعهد الجديد يعلن أن اليهود ليسوا الآن شعب الله الخاص . ولقد كان هدف الرسل الأطهار أن ينشئوا الديانة المسيحية بصورة تختلف تماما عن الديانة اليهودية .

ولقد لقبت النظم اليهودية بأنها أركان ضعيفة (غل ٤ : ٩) ، وأن الله قصد أن ينزع النظام اليهودى ليثبت النظام المسيحى (عب ١٠ : ١ — ٩) .

لذلك فلا يعقل ابدا أن يكون قصد النبوات تجديد تلك الأركان الضعيفة التى كانت تناسب الكنيسة فى طفوليتها وكانت نظير نير عبودية غير موافق لحرية الانجيل (غل ٤ : ٩ ، أع ١٥ : ١٠ ، عب ١٠ : ١) .

٣ — التفسير الحرفى يستلزم نتائج صعبة القبول وبعيدة القبول عند كل ذى عقل سليم .

فمثلا نقرأ فى (زكريا ١٢) أن الأرض تنوح عشائر عشائر كل عشيرة على حدتها ، ويذكر النبى أن العشائر ببيت داود ، وبيت ناثان ، وبيت لاوى ، وعشيرة شمعى ، وكل العشائر . وفى نبوات أخرى ميزت النبوة الكهنة عن اللاويين ، وأولاد صادوق الكاهن عن أولاد آخرين من الكهنة ، وكل سبط فى رتبته (أش ٦٦ : ٢١ ، ملا ٣ : ٣ ، خر ٤٤ : ١٥ ، حز ٤٨) .

وهذا بعيد التصديق . لأن الأسباط والعشائر قد انتهت ولا يمكن حفظها الى الآن ، ولقد كان حفظ الأنساب ضروريا الى مجىء المسيح لاثبات

مجيئه من سبط يهوذا حسب النبوات ، ولكن الآن زالت الأسباط ، بل ونهى الكتاب المقدس عن حفظ أنساب بلا فائدة (١ تى ١ : ٤) .

ومن أشهر الأصحاحات عند أصحاب التفسير الحرفى الأصحاح الرابع عشر من نبوات زكريا ، لكننا لو قرأنا الأصحاح ، وتصورنا تحقيقه حرفيا لأدركنا فساد التفسير الحرفى تماما .

ان أصحاب هذا التفسير يذكرون أنه يصف اعادة الأمة اليهودية الى مركزها حرفيا ، لكن كل ما جاء فى الأصحاح لا يمكن تصوره حرفيا مثل :

حدوث حرب مادية من كل الأمم ضد أورشليم فيها تؤخذ المدينة وتفضح النساء ، وخروج الرب نفسه (حرفيا) ليحارب الأمم بنفسه ، ووقوف أقدام الرب (حرفيا) على جبل الزيتون الذى قدام أورشليم من الشرق فينشق جبل الزيتون من وسطه (حرفيا) نحو الشرق ونحو الغرب الى واد عظيم وينتقل نصف الجبل نحو الشمال ونصفه نحو الجنوب ، ويكون يوم واحد معروف للرب لا نهار ولا ليل بل يحدث أنه وقت المساء يكون نور (حرفيا) ويكون فى ذلك اليوم أن مياها حية تخرج من أورشليم نصفها الى البحر الشرقى ونصفها الى البحر الغربى ... كل هذا لا يمكن أن يستقيم معناه مع التفسير الحرفى ، ويستلزم صحة التفسير الروحى .

— ٤ —

استخدام المجاز فى النبوات

ان أصحاب المذهب الحرفى ، الذين يقولون بضرورة تحقيق النبوات حرفيا ، ينكرون استخدام الأنبياء للمجاز فى نبواتهم للتعبير عن أمور روحية ، ونتيجة لذلك زعموا أن اتمام النبوات عن الأمة اليهودية يتم حرفيا . لكننا نرى أن أغلب كلام الأنبياء كان مجازيا وهذه بعض الأمثلة :

١ — فى حزقيال ٣٧ : ١ — ١٤ نقرأ عن رؤيا حزقيال . رأى حزقيال عظاما تملأ البقعة ، وتنبأ حزقيال على العظام اليابسة ، فدخل فيها روح وقامت على أقدامها جيشا عظيما جدا . وفى ختام الرؤيا يذكر النبى قول الرب :

« هكذا قال السيد الرب . هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم

وآتى بكم الى أرض اسرائيل . فتعلمون انى انا الرب عند فتحى قبوركم واصعادى اياكم من قبوركم يا شعبى . وأجعل روحى فيكم فتحيون وأجعلكم فى أرضكم فتعلمون أنى أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب » (حز ٣٧ : ١٢ — ١٤) .

وأصحاب التفسير الحرفى ، فسروا جزءا من النبوة حرفيا وهو عبارة « آتى بكم الى أرض اسرائيل » ، لكنهم ناقضوا انفسهم وسكتوا عن تفسير عبارة « أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم » .

بينما لو نظرنا الى النبوة كلها بأنها صورة مجازية لاعادة الحياة الروحية الى النفوس الميتة ، والاتيان بالكنيسة الى ميراثها الروحى ، لاستقام المعنى .

وبقية أصحاح ٣٧ يتحدث عن جمع شمل اسرائيل واقامة داود ملكا عليهم وتأسيس مملكة سلام أبدى وكل هذه المواعيد روحية للكنيسة وملكها الروحى يسوع المسيح .

٢ — ان السيد المسيح نفسه استخدم المجاز فى كلامه عندما قال عن جسده : « أنقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه » (يو ٢ : ١٩) وكان تعبيره مجازيا ، ولقد استخدم اليهود التفسير الحرفى ليلفقوا تهمة ضده .

كما قال يسوع لبطرس : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات » ولم يكن يقصد مفاتيح من معدن أو صلب ، وقال لنيقوديموس « ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » . كل هذه تعبيرات مجازية .

ونختتم هذا الجزء بقول بولس الرسول : « لأن ليس جميع الذين من اسرائيل هم اسرائيليون ، ولا لانهم من نسل ابراهيم هم جميعا أولاد . بل باسحق يدعى لك نسل . أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا » (رو ٩ : ٦ — ٨) .

اذا انتفت كل الصفات الجسدية ، والمواعيد الجسدية ، ولم يبق مكان لاسرائيل جسدى أرضى فى خطة الله ، ولا مكان لأمة أرضية ، بل صار كل شىء جديدا روحيا ، وكل المؤمنين هم أولاد ابراهيم ... ولهؤلاء المواعيد الروحية .

فلا رجوع الى فلسطين ، ولا بناء هيكل فى أورشليم ، بل رجوع الى الله ، وبناء روحى فى كنيسة المسيح فى كل العالم من جميع الشعوب .

— ٦ —

الألف سنة والقيـــامة الأولى

فى سفر الرؤيا وفى الأصحاح العشرين نقرأ هـــذه الأقوال : « ورأيت ملاكا نازلا من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده ، فقبض على التنين الحية القـــديمة الذى هو ابليس وقيده الف سنة . وطرحه فى الهاوية واغلق عليه وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعـــد حتى تتم الألف سنة ، وبعد ذلك لابد أن يحل زمانا يسيرا . ورأيت عروشا فجلسوا عليها ، وأعطوا حكما ، ورأيت نفوس الذين قتلوا من اجل شهادة يسوع ومن أجـــل كلمة الله ، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة . وأما بقيـــة الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة . هذه هى القيامة الأولى . مبـــــارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى . هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم ، بل سيكونون كهنة لله والمسيح ، وسيملكون معه الف سنة » (رؤ ٢٠ : ١ — ٦) .

وقد اتخذ بعض الناس هذه الآيات أساسا لعقيدة نظموها ورتبـــوها حسب تصورهم ، ووجدوا لها من آيات الكتاب ما يبدو أنه يؤيدها ، ثم أقاموا على هذه الآيات بناء شامخا هو عقيدة الألف سنة والقيامة الأولى .

ولدراسة هذا الموضوع بايجاز نقسم الدراسة الى ثلاثة أقسام :

١ — عقيدة الألف سنة فى اعتقاد من يؤمنون بها .
٢ — مناقشة هذه العقيدة كتابيا .
٣ — الرأى الانجيلى السليم فى حقيقة الألف سنة .

— ١ —

عقيـــدة الألف سنة

يؤمن أصحاب التفسير الحرفى للكتاب المقدس ، أن الله رتب فى مقاصده

السماوية فترة محدودة من الزمن فيهـا يسود البر والسلام على الأرض ، وهى تبدأ فجأة وتنتهى فجأة ، وخلالها يكون الشيطان مقيداً ، وفى نهايتها يحل الشيطان ليحاول اغواء كثيرين .

ولهذه العقيدة فروع متعددة تختلف فى التفاصيل ، ولكنها تتفق فيما ذكر قبلا ، وأهمها رأيان :

(١) من يعتقدون بمجىء المسيح الثانى قبل الألف سـنة (سـابقو الألف سنة) .

(٢) من يعتقـدون بمجىء المسيح الثانى بعد الألف سنة (لاحقو الألف سنة) .

وسنتناول بالشرح الموجز أهم ما يعتقده أصحاب كل رأى :

١ ــ سابقو الألف سنة :

يعتقد أصحاب هذا الرأى أن العالم فى وضعه الحاضر وضع فى الشرير ورئيسه الشيطان ، وأن هذه الفترة الحالية فترة انتظار ، ولا يمكن أن يعود العالم الى المسـيح بواسطة البشارة والكرازة ، لأن الشيطان يعمـل فى العالم ، ويمنع الناس من الايمان ، لذلك فهم يعتقدون أن المسيح سيجىء ثانية فجأة ، وعند مجيئه ستحدث الأمور الآتية :

(أ) يقوم الأبرار فقط من الموت بأجسادهم الأرضـية ويطلقون على هذه القيامة لقب « القيامة الأولى » .

(ب) يبـاد الاشرار .

(جـ) يعود اليهود الى فلسطين ويجـددون عبادتهم ويبنون الهيكل فى أورشليم .

(د) يقيد الشيطان ، ويعم البر والسلام الأرض .

(هـ) يملك المسيح بالجسد فى مدينة أورشليم مدة الف سنة ، بعد أن يبيد كل الحكومات والنظم الدينية والسياسية القائمة .

(و) يسود السلام فى العالم ، يسكن الذئب مع الخروف ، ولا تكون هناك حروب أبدا ، ويؤمن كل العالم بالمسيح .

وفى نهاية الألف سنة ، يحـل الشيطان ، ويحاول ضلال الناس ، ثم تحدث المعركة الفاصـلة التى ينتصر فيها المسيح على الشيطان ، ويقـوم الأشرار القيـامة الثـانية للدينونة وتحـل الضربات على الأرض ، وينتهى العالم .

٢ ـ لاحقو الألف سنة :

أما أصحاب الرأى القائل بأن المسيح سيأتى ثانية بعد الألف سنة ، فهم يعتقدون أن العالم ينتظر وقتا سعيدا ، فيه يقيد الشيطان ، ويعم السلام ، ويسكن الذئب مع الخروف ، وفى مدة الألف سنة أو المدة المحدودة المعينة يؤمن الناس الأحياء بالمسيح ، وفى نهايتها يحـل الشيطان ، ثم يأتى المسيح ثانية للدينونة وانتهاء العالم .

وقد قال بعضهم أن الألف سنة بدأت فى القرن الثامن الميلادى ، وآخرون قالوا انها بدأت فى عهد الاصلاح ، والبعض قالوا انها لم تبدأ بعد .

ـ ٢ ـ

مناقشة هذه العقيدة كتابيا

ان هذه العقيدة تستند على ما جاء فى الأصحاح العشرين من سـفر الرؤيا ، ونحن نعلم أن هذا السفر رمزى ، يتحدث بأسلوب غامض مجازى ، ولا ندرى لماذا يتمسك أصحاب هذه العقيدة بهذا الجزء ويفسرونه حرفيا ، بينما لا يفسرون باقى الأجزاء حرفيا مثل التنين العظيم الأحمر الذى له سبعة رؤوس وعشرة قرون الوارد فى ص ١٢ ، أو الفرس الأبيض والخيول البيضاء الوارد ذكرها فى ص ١٩ ، أو المدينة المربعة ذات السور والأساسات المكونة من الأحجار الكريمة والأبواب اللؤلؤية الوارد ذكرها فى ص ٢١ .

ان سفر الرؤيا سفر رمزى ، لا يجب أن نفسره تفسيرا حرفيا أبدا ، أو نجعل منه أساسا لعقيدة ، ثم نفسر باقى نبوات الكتاب فى ضوء ما نضعه من استنتاجات .

٢ — أن الكتاب المقدس يعلمنا أنه توجد قيامة واحدة لا قيامتان :

« تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) .

والدينونة واحدة ، وليس لها يومان كما يقول أصحاب هذا المذهب « لأنه أقام يوما هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل » (أع ١٧ : ٣١) .

اذا ما معنى « القيامة الأولى » الوارد ذكرها فى رؤيا ٢٠ ؟ . ان القيامة الاولى ليست قيامة جسدية ولكنها قيامة روحية وهذا يتفق مع قول يسوع المسيح : « الحق الحق أقول لكم ان من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة . الحق الحق أقول لكم أنه تأتى ساعة **وهى الآن** حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » (يو ٥ : ٢٤ ، ٢٥) .

فلو كان المقصود بالقيامة الأولى أن تكون قيامة من القبور بأجساد خالدة وممجدة ، فنحن لا نحتاج الى التأكيد فى رؤ ٢٠ : ٦ الذى يقول أنه ليس للموت الثانى على من لهم نصيب فى هذه القيامة ، فان ذلك يكون شيئا طبيعيا بالنسبة لهذه الأجساد الخالدة .

ان الموت الثانى هو الموت الروحى لا الجسدى ، وما دامت القيامة الأولى نجاة من الموت ، تكون القيامة الأولى قيامة روحية ، أى الخلاص من الخطية .

أما تفسير قول الرسول بولس فى تسالونيكى الأولى (٤ : ١٦) « والأموات فى المسيح سيقومون أولا » فيمكن معرفة المعنى الصحيح عندما نقرأ العدد التالى له «ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معه» فالرسول يقصد أن يقول اننا نحن الأحياء الباقين الى مجىء الرب لا نسبق الراقدين . ولا يشير أية اشارة الى قيامة الأشرار لأنه يتكلم عن المؤمنين مطمئنا أهل تسالونيكى على أمواتهم المؤمنين .

وعقيدة سابقى الألف سنة ، ترتبط تماما بعقيدة القيامة الأولى ، وما دامت القيامة الأولى معناها قيامة روحية وليست قيامة أجساد ، عندئذ تنتفى تماما فكرة الألف سنة الحرفية .

٣ — ان ملكوت المسيح — كما أوضحنا من قبل — ملكوت روحى ولا يمكن أن يكون هذا الملكوت جسديا فى أورشليم أو فى غيرها من البلاد .

كما أن هذه العقيدة مرتبطة بفكرة عودة اليهود الى فلسطين وتجديد نظام عبادتهم فى الهيكل ، وقد أوضحنا أيضا من قبل ، بما لا يقبل الشك ، أن رسالة الأمة اليهودية قد انتهت بمجيء المسيح الأول ، ورفضهم اياه ، واصبحت كل المواعيد من نصيب الكنيسة المسيحية روحيا .

٤ — ان أصحاب عقيدة الألف سنة يفسرون النبوات تفسيرا حرفيا ومن بين النبوات نبوة اشعياء النبى القائلة « لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب . فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » (اش ٢ : ٣ ، ٤) .

« فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معا وصبى صغير يسوقها (اش ١١ : ٦) .

وهم يعتقدون أن كل هذه المواعيد وغيرها سيتم حرفيا فى عصر الألف سنة ، وهذا وهم باطل ، لأن هذه المواعيد تمت روحيا فى عصر المسيحية ، أو العصر الانجيلى . واذا تساءلوا هل حقا يربض الذئب مع الخروف الآن ، نقول ان الله لا تهمه الحيوانات حتى يهمه السلام بينها ، لكن المقصود أن انجيل المسيح يغير نفوس البشر المتوحشة القاسية ، لتصير فى وداعة الحمل ، فشاول الطرسوسى الذى قال عنه أنه كان ينفث (كالحية) قتلا وتهديدا على تلاميذ الرب ، تجدد وصار رسولا خادما وديعا ، وقد حارب بولس وحوشا فى أفسس ، لكن الانجيل يغير الطبيعة المتوحشة الى طبيعة وادعة هادئة .

هذا هو السلام المسيحى ، فى العصر الانجيلى .

ومما هو جدير بالذكر أن اليهود لا يزالون يعتقدون بخرافة المواعيد الحرفية لهم فى عصر المسيا ، وهم يقعون فى الخطأ القديم الذى جعلهم يرفضون يسوع المسيح عندما جاء فى الجسد فى ملء الزمان . وأصحاب مذهب الألف سنة ، يقعون فى نفس الخطأ ، وما عقيدة الألف سنة سوى خرافة يهودية .

ومن يقرأ كتابات اليهود فى الفترة ما بين العهدين يتبين له نفس

الأشواق الجسدية . فمن سفر باروخ الثانى وهو كتاب يهودى ظهر فى القرن الأول قبل الميلاد نقرأ هذه الاقوال :

« يأتى المسيا فيخضع كل ما فى العالم ، ويجلس على كرسيه فى دورة ، ويبدو الفرح وتظهر الراحة وتأتى وحوش البرية من الأحراش وتخدم الناس ، ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان . فتخرج الأفاعى من جحورها وتقدم له كل ولاء وخضوع تام .. والأرض تخرج ثمرها مضاعفا آلاف المرات ، وسيكون على كل حزمة ألف غصن ، وفى كل غصن ألف عنقود ، وفى كل عنقود ألف عنبة ، وكل عنبة تنتج ألف كر من الخمر فيفرح الجياع بل يرون عجائب كل يوم ... » .

كل هذه وغيرها أشواق جسدية لشعب جسدى لا تتفق مع روح المسيحية فى شىء . لكن أصحاب مذهب الألف سنة ، يعتقدون اعتقادا قريبا من هذه الخرافات اليهودية .

أما مذهب لاحقى الألف سنة ، فانهم وان اختلفوا فى بعض الأمور عن مذهب سابقى الألف سنة ،لكنهم اعتقدوا بوجود فترة محددة يعم فيها السلام بكيفية تشبه الى حد كبير اعتقاد سابقى الألف سنة ، كذلك اعتقدوا بفكرة تقييد الشيطان ووجود وقت على الأرض لا يكون الشر فيه قائما على الاطلاق ، كما انهم اعتقدوا أن المسيح لا يأتى الا بعد نهاية هذه الفترة المحددة التى أطلق عليها الألف سنة .

ويظهر خطأ أصحاب هذا الرأى من حقيقتين :

(أ) أن الشر سيبقى مع الخير فى العالم الى انقضاء العالم ، وهذا ظاهر فى مثل الحنطة والزوان ، الذى ذكره يسوع وشرحه بنفسه .

(ب) أن عقيدتهم بمجىء المسيح ثانية بعد نهاية الألف سنة ، تخالف المبدأ الكتابى الثابت أن يسوع المسيح سيأتى فجأة ، وأنه قد يأتى فى أى وقت ، وفى ساعة لا يعلمها الناس ولا ينتظرونها .

— ٣ —

الرأى الانجيلى السليم فى حقيقة الألف سنة

اننا لا نستطيع أن نفسر التعبيرات المجازية فى الكتاب المقدس تفسيرا

حرفيا ابدا ، أو حتى تتقيد بنظام محدد ومقاييس ثابتة فى التفسير ، فالزمن بالنسبة له سبحانه وتعالى لحظات لا قيمة لها بالنسبة للأبدية ، وقد قيل : « لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة ، وألف سنة كيوم واحد » (٢ بط ٣ : ٨) .

ان الله فى عمله غير محدود بالأزمنة والأوقات، فهو يعمل فى يوم واحد، بل فى هزيع من الليل ، وفى طرفة عين ، ما يمكن أن يعمل فى ألف سنة ، وفى هذا قال موسى : « لأن الف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل » (مز ٩٠ : ٤) .

اذا فلا حساب للزمان فى النبوات ، بل كلها تعبيرات للدلالة على عمل الله فى البشر أثناء حياتهم الأرضية .

هذا عن التعبير « الف سنة »

نأتى الآن الى التعبير « القيامة الأولى » ، وقد شرحنا أنها قيامة روحية لا قيامة أجساد ، قيامة أجساد قيامة من الخطية بالمسيح يسوع ابن الله الذى ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح ، وأقامنا معه ، وأجلسنا معه فى السماويات » (أف ٢ : ٥ ، ٦) .

والدليل على ذلك أن يوحنا الرائى لم ير أجسادا بل رأى نفوسا ، رأى نفوس القديسين لذلك يقول : « ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع » . وهى توافق تماما رؤيا فتح السفر الخامس الواردة فى (رؤيا ٦ : ٩-١١) . ففى هذه الرؤيا رأى يوحنا نفوس الذين قتلوا من اجل كلمة الله ومن أجل الشهادة ، رآهم تحت المذبح يقدمون صلواتهم الى الله لكى ينتقم لدمائهم . وهنا فى رؤيا ٢٠ رأى نفس هذه النفوس وقد تم الانتقام لدمائهم ، وصار حق المسيح منتصرا بعد ان كان فى خطر عدم النجاح من قبل. وما علامة انتصار حق الانجيل ؟ ان علامته هى اتيان النفوس الخاطئة الى معرفة الانجيل ونوال الخلاص هذه هى القيامة الأولى وهى روحية ، والألف سنة وهى فترة بل فترات نهضة روحية فيها تظهر مبادىء الانجيل مبادىء القديسين التى ماتوا من أجلها ، تظهر هذه المبادىء وتحيا بواسطة الناس الأحياء الذين على الأرض .. هؤلاء الأحياء المؤمنين ، سيكونون كهنة لله والمسيح ، وسيملكون معه . واليس هذا هو نصيب جميع المؤمنين أنهم « ملوك وكهنة » ؟ .

اذا فالألف سنة هى حوادث جارية متعددة ، طويلة أو قصيرة ، فيها تنهض المبادىء المسيحية ، ونحيا فى نفوس البشر ، فى نهضات روحية ، لا يستطيع الشيطان أن يتغلب عليها ...

وما معنى « تقييد الشيطان » اذا ؟ وهل الشيطان الآن حر يعمل كما يشاء ؟ لنقرأ ما جاء فى رسالة يهوذا عن الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم اى الشياطين فهو يقول بالوحى : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » (يهوذا ٦) .

اذا فالشيطان مقيد منذ السقوط ، وعندما أراد أن يشتكى أيوب ذهب أمام الله شاكيا ، بل مستأذنا أن يجرب أيوب ، وسمح الله له أولا قائلا : « هوذا كل ما له فى يدك . وانما اليه لا تمد يدك » (أيوب ١ : ١٢) . وفى المرة الثانية عندما اراد الشيطان أن يجرب أيوب فى جسده قال له الله : « ها هو فى يدك ولكن احفظ نفسه » (أيوب ٢ : ٦) .

والصورة الواردة فى سفر الرؤيا عن تقييد الشيطان ثم حله زمانا يسيرا ، هى صورة رمزية عن انتشار الشر فى العالم ، فكلما حدثت نهضة روحية كان هذا تقييدا للشيطان ، وانحصار لعمله ، وكلما ساد فتور بين الناس كلما كان هذا حرية للشيطان ...

فليست الألف سنة اذا حدثا معينا محددا ، لكنها أحداث دائمة جارية تحدث مرات ومرات على تعاقب العصور . وما دمنا نحيا فى العالم فاننا نرى التقدم نحو الخير ، متلازما مع التأخر نحو الشر ، هذان العاملان يتصارعان فيحدثان أزمات يستخدمها الله لمجده ، فينتهى عصر ، ويبدأ آخر ، وهكذا تتعاقب الأزمات مع النهضات ، أو السلسلة من البدايات والنهايات الى أن يأتى المسيح ثانية وينتهى التاريخ ، وتبدأ الحياة الأبدية الخالية من الشر تماما .

— ٧ —

الارتداد وأعداء الكنيسة

— ١ —

الارتداد

ذكر بولس الرسول فى رسالته الثانية الى تسالونيكى أن يوم المسيح لا يأتى ان لم يأت الارتداد أولا (٢ تس ٢ : ٣) . وفى رسالته الأولى الى تيموثوس يقول : « ولكن الروح يقول صريحا أنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضـــلة وتعاليم شياطين ، فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قـــد خلقها الله لتتناول بالشكر » (١ تى ٤ : ١ — ٣) .

ونحن ندرس هذا الارتداد من حيث نوعه وزمانه .

١ — نوعه :

(أ) فساد فى التعليم : « تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين » .

(ب) وتدين ظـــاهرى طقسى : « فى رياء أقوال كاذبة مانعـــين عن الزواج ... آمرين أن يمنع عن أطعمة » .

(جـ) وانهيار أخلاقى : « عالمين هـــذا أنه سيأتى فى آخر الأيام قـــوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم (٢ بط ٣ : ٣) : كما قال يهوذا فى رسالته : « فاذكروا الأقوال التى قالهـــا سابقـــا رسل ربنا يسوع المسيح فانهم قالوا لكم أنه فى الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات فجورهم .

(د) وهو ارتداد صعب على المؤمنين : « ولكن اعلم هذا انه فى الأيام الاخيرة ستأتى أزمنة صعبة » (٢ تى ٣ : ١) .

٢ — زمانه :

أما وقت هذا الارتداد فهو **فى الأزمنة الاخيرة**، وهذا ينطبق على أى وقت فى عصر الانجيل فقد قال كاتب الرسالة الى العبرانيين : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » (عب ١ : ١) .

وقال بولس عن عصر الانجيل : « نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور » .

فمن ناحية الزمان يمكن أن ينطبق على عصرنا ، ومن ناحية النوع ، فقد أرينا فى تاريخ الكنيسة كل ما أشير اليه من فساد فى التعليم كما نسمع كل يوم عن التعاليم المضلة ، ورأينا فى تاريخ الكنيسة التدين الظاهرى الطقسى ، كما نتبين مقدار الانهيار الاخلاقى الذى يعانيه العالم اليوم ...

فليس من الضرورى أن يكون الارتداد حادثا ننتظره فى المستقبل ، بل هو قد حدث فعلا وهو حادث الآن .

— ٢ —

اعداء الكنيسة

ان أهم أعداء الكنيسة الذين تنبأ عنهم العهد الجديد هم :

١ — انسان الخطية الوارد ذكره فى رسالة تسالونيكى الثانية ٢ : ٣ — ١٠ .
٢ — ضد المسيح الوارد ذكره فى رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٨ — ٢٣ .
٣ — وحش البحر الوارد ذكره فى رؤيا ١٣ .
٤ — وحش الأرض الوارد ذكره فى رؤيا ١٣ .

فالى أى شىء ترمز هذه الصور الواردة فى نبوات العهد الجديد ؟ يحسن أن نقرأ بعض ما جاء عنها فى العهد الجديد من أوصاف ، لتكون لنا فرصة تقدير ما يمكن أن نشير اليه :

١ ـ انسان الخطية (٢ تس ٢ : ٣ ـ ١٢) .

ومن قراءة هذه الآيات نفهم عن انسان الخطية ما يلى :

(أ) يجلس فى هيكل الله كاله مظهرا نفسه أنه اله .

(ب) مجيئه من الشيطان وله قوة وآيات وعجائب كاذبة .

(ج) الرب سيبدده بنفحة فمه .

وفى الغالب تشير هذه الأوصاف الى سلطة دينية ، ترتبط بالارتداد والمنع عن الزواج وبعض الاطعمه ، وان طريق التغلب على هذه السلطه هى نفحه فم الرب اى اعلان كلمته . وقد اعتقد البعض ان هـذه السلطه هى كنيسه العصور الوسطى قبل عصر الاصلاح ، وان زوال الدوله الرومانيه كان سببا فى ظهور سلطتها . وان نشر كلمه الله فى عصر الاصلاح ساعد على زوال جزء من سلطه هذه الكنيسه ، وان الانتصار النهائى سيكون عند مجىء المسيح ثانية .

٢ ـ ضد المسيح (١ يو ٢ : ١٨ ـ ٢٣)

ومن قراءة هذه الآيات نفهم أن هناك :

(أ) ضدا للمسيح معينا موعودا بأنه سيأتى .

(ب) أنه اتى أضداد للمسيح كثيرون .

(ج) أن ضـد المسيح هو من ينكر لاهوت المسيح وعقيدة الثالوث الأقدس .

ويبـدو أن أضـداد المسيح التى ظهرت هى بعض الأديان والمذاهب الدينية والفلسفية التى أنكرت لاهوت المسيح .

وقد ظهر منهـا فى عهد يوحنا الرسول جماعة الغنسويين ، ثم ظهر مذهب أريوس ، ثم ظهرت ديانات ومذاهب أخرى أنكرت لاهوت المسيح مثل جماعة شهود يهوه وغيرهم .

٣ — وحش البحر (رؤيا ١٣ : ١ — ١٠)

ونحن نعتقد أن سفر الرؤيا سفر رمزى غامض ليس من السهل أو من الضرورى تفسيره الا أننا من قراءة هذه الآيات نتبين ان هذا الوحش :

(أ) طالع من البحر .

(ب) له عدة رؤوس .

(ح) أعطى سلطانا على الأرض مدة معينة .

(د) يضطهد القديسين .

ويبدو أن المقصود بهذا الوحش مذهب سياسى أو سلطة سياسية تحاول أن تسود العالم ، لأن ظهوره طالعا من البحر يشير الى ظهوره فى وسط الاضطرابات الدولية والفتن الشعبية الجارية فى العالم . لأن الكتاب المقدس عبر عن الهيجان والاضطراب بالبحر . ويتأكد ذلك من قول الرائى فى ص ١٧ : ١٥ أن المياه التى رآها هى شعوب وجموع وأمم والسنة. وترمز الرؤوس الى ملوك أو امبراطوريات واحدة تلو الأخرى .

وفى الغالب يشير وحش البحر الى سلطة سياسية معادية للمسيحية تحاول أن تسود العالم ، وستكون لها السيادة مدة معينة ، وتضطهد المؤمنين .

وقد تكون هذه السلطة الدولة الشيوعية وقد تكون غيرها . وعلي أى حال هى سلطة زمانية .

٤ — وحش الأرض (رؤيا ١٣ : ١١ — ١٨)

ومن قراءة هذه الآيات نتبين أن هذا الوحش :

(أ) طالع من الأرض .

(ب) يعمل بسلطان الوحش الأول ويجعلهم يسجدون له .

(جـ) يضل الناس بالآيات .

(د) لا يقدر احد ان يشترى أو يبيع الا الذى له سمة الوحش .

(هـ) عدد الوحش ٦٦٦ — وهو عدد انسان .

ويبدو أن هذا الوحش يشير الى سلطة فكرية . فهو ليس خارجا من البحر بل من الأرض . والأرض كناية عما هو ثابت وهادىء .. تشير الى أفكار الناس .

ويغلب على الظن أن هذا الوحش يشير الى الفلسفة المادية الملازمة للقوة السياسية الملحدة ، والتى تتحكم فى البيع والشراء لارتباطها بحياة الناس الاقتصادية . كما انها بالعلم تصنع عجائب تذهل الناس .

وقد تنوع تفسير الشراح للرقم ٦٦٦ وقد حسبه بعض الناس لمجموع حروف هتلر أو نابليون او غيره . لكننا نعتقد أن اختلاف اللغات والأرقام يجعل كل هذه المحاولات بعيدة عن الصواب .

فى الغالب أن رقم ٦٦٦ يشير الى رقم ٦ مكررا ثلاث مرات ، دليلا على النقص التام ، لأن عدد ٦ يشير الى المادة الناقصة لأن الله خلق العالم المادى فى ستة أيام واليوم السابع هو الراحة الروحية . فرقم ٧ يدل على الكمال ، ورقم ٦٦٦ يشير الى الفلسفة المادية الناقصة . وقد قيل انه عدد انسان بمعنى أن هذه الفلسفة مادية وانسانية ليس فيها من الروحانية شىء .

فى ختام هذه الدراسة . يظهر لنا أن كل الحوادث السابقة لمجىء المسيح ثانية قد تمت منذ زمن طويل .

فالانجيل انتشر فى كل العالم .

وباب المسيحية فتح أمام الأمم .

وعاد كثيرون من اليهود الى المسيحية .

وحدث الارتداد .

وظهر اعداء الكنيسة .

ودخلت الكنيسة فى عصر الألف سنة عدة مرات أثناء النهضات الكثيرة التى حدثت وتحدث ...

ونحن الآن فى انتظار ناديننا هاتفين « آمين تعال أيها الرب يسوع » .